جنّة المأوى

للفقيه الكبير الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ره)



تحقيق: سيد محمد علي القاضي الطباطبائي

تقديم و ترتيب: مهدي الانصاري القمي

مؤسسة الشهيد الانصاري القمي لاحياء التراث



جنة المأوىٰ

للامام المجاهد

الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء

تحقيق

العلامة سيّد محمد علي القاضي الطباطبائي

تقديم و ترتيب

مهدي الأنصاري القمي

مؤسّسة الشهيد الأنصاري القمي لإحياء التراث

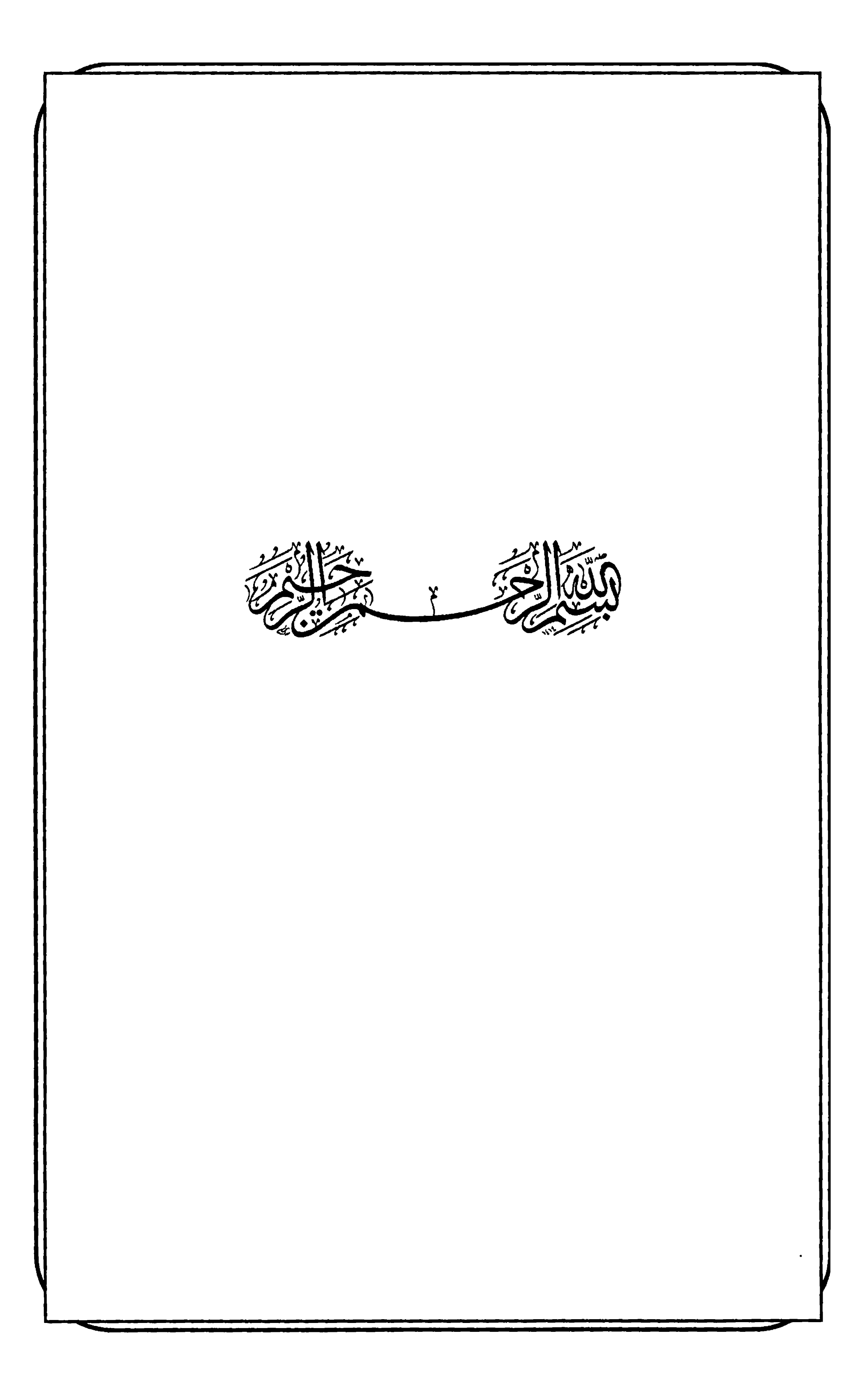
قم المقدّسة ١٤٢٠ هـ. ق

▼
جنة المأوىٰ
تأليف: محمد حسين آل كاشف الغطاء
تحقيق: محمد على القاضي الطباطبائي
تقديم و ترتيب: مهدي الانصاري القمي
منشورات دليل ما
الطبعة الاولىٰ: ١٤٢٩ هـ.ق ـ ١٣٨٧ هـ.ش
طبع في: ١٥٠٠ نسخة
المطبعة: نگارش
السعر مُجلّداً: ٤٥٠٠ توماناً
ردمك: ٧ـ ٣٧٩ـ ٣٩٧ـ ٩٦٤ـ ٩٧٨
العنوان: ايران، قم، شارع معلم، ساحة روح‌الله، رقم ٦٥
هاتف وفكس: ٧٧٣٣٤١٣ـ٧٧٤٤٩٨٨ (٩٨٢٥١)
صندوق البريد: ١١٥٣ـ ٣٧١٣٥
WWW.Dalilema.com
info@Dalilema.com

انتشارات دليل ما

مركز التوزيع:
١) قم، شارع صفائيه، مقابل زقاق رقم ٣٨، منشورات دليل ما، الهاتف ٧٧٣٧٠١١ ـ ٧٧٣٧٠٠١
٢) طهران، شارع إنقلاب، شارع فخررازي، رقم ٣٢، منشورات دليل ما، الهاتف ٦٦٤٦٤١٤١
٣) مشهد، شارع الشهداء، شمالي حديقة النادري، زقاق خوراكيان، بناية گنجينه كتاب التجارية، الطابق الأول، منشورات دليل ما، الهاتف ٥ ـ ٢٢٣٧١١٣
٤) النجف الأشرف، سوق الحويش، مقابل جامع الهندي، مكتبة الإمام الباقرالعلوم ﷺ ، الهاتف ٠٧٨٠١٥٥٣٢٨٩

سرشناسه	: آل كاشف الغطاء، محمد حسين، ١٨٧٧ ـ ١٩٥٤ م.
عنوان و پديدآور	: جنة المأوىٰ / محمد حسين كاشف الغطاء ؛ تحقيق محمد علي القاضي الطباطبائي ؛ تقديم و ترتيب مهدی الانصاري القمي.
مشخصات نشر	: قم: دليل ما، ١٣٨٧.
مشخصات ظاهری	: ٣٥٢ ص.
شابک	: ISBN 978 - 964 - 397 - 379 - 7
وضعيت فهرست‌نويسی	: فيپا.
يادداشت	: عربی.
يادداشت	: كتابنامه به صورت زيرنويس.
موضوع	: شيعه ـ دفاعيه‌ها و رديه‌ها.
موضوع	: كلام شيعه اماميه ـ قرن ١٤.
موضوع	: شيعه ـ عقايد.
شناسه افزوده	: قاضی طباطبائی، محمد علی، ١٢٩١؟ ـ ١٣٥٨.
شناسه افزوده	: انصاری، مهدی، ١٣٣٤ ـ
شناسه افزوده	: مؤسسة الشهيد الانصاري القمي لإحياء التراث.
رده‌بندی کنگره	: BP ٢١٢/٥/ ٧آ ج ٩ ١٣٨٧
رده‌بندی ديويی	: ٢٩٧/ ٤٧٩
شماره كتابشناسی ملی	: ١٢٠١٤٨٨



بسم الله الرحمن الرحيم

من حياة الامام المؤلّف

هو الشيخ محمّد الحسين بن العلامة الشيخ على بن الحجة الشيخ محمّد رضا بن الشيخ الأفقه موسى بن جعفر بن الشيخ خضر بن يحيى بن سيف الدين المـالكى الجناجى النجفى.

أشهر مشاهير علماء الاسلام في الشرق وأبعدهم صيتاً واغزرهم علماً في العالم الاسلامى و العربي بل هو من عظماء المجتمع الانسانى وكبراء العالم البشرى ومـن الشخصيات الافذاذ واكابر شيوخ الاسلام وأعاظم فقهاء الشيعة الاعلام وأحـد اركان الدين المجددين وروّاد النهضة ودعاة الاصلاح ورث زعامة الدين عن آبائه الفطاحل واجـتمعت فـيه خـصال الكمـال والفـضائل وقـام بـالاعمال الجـلائل والاصلاحات الخطيرة.

ولد الامام كاشف الغطاء في سنة « ١٢٩٤ هـ. » في النجف الأشرف وأسرته من قبيلة بنى مالك من قبائل العراق المعروفة وتعرف الآن بـ« آل على » يقيمه قسمه منهم الآن في نواحى الحلة وينتهى نسبهم الى مالك بن الحارث الأشـتر النـخعى رضوان الله عليه من خواص اصحاب امير المؤمنين عليه السلام.

كان فقيهاً قوى الحجة والبرهان مجتهداً في المـبانى لا مـقلداً في المـبنى واسـع

الاطلاع حرّاً في آرائه ونظرياته كان يتنزع كثيراً من الفروع من ذوق عربى سليم قد ارتكز على فهم نصوص الاخبار والروايات التى يتنبى عليها المذهب الجعفرى ويمتاز بالجرأة في ابداء الرأى الذى يراه قد ارتكز على الحجة وسانده العقل وكتابه تحرير المجلة وهو من أهم آثاره دليل قوى على تضلعه في الفقه وجلالة مؤلفه وعظمته في مقام الاستنباط.

لمّا بلغ العاشرة من عمره الشريف شرع بدراسة العلوم العربية ثم قرأ علوم البلاغة كالمعانى والبيان والبديع مع العبقرية الفذّة والثقافة الأدبية في بنيته التي نشأ فيها فانّ في بيته تسلسل العلماء والأدباء منذ قرنين وهو يتعلم الآداب بين أظهرهم منذ ترعرعه وشبابه ثم درس الرياضيات من الهيئة والحساب واضرابها وبرع في الآداب براعة لا يدانيها فيها أحد وصار أستاذاً ماهراً في النظم والنثر وكفاك شاهداً كتابه «العبقات العنبرية» وأخذ بدراسة سطوح الفقه وأصوله واتّمها وهو بعد شابٌ فأخذ بالحضور عند الاساتذة الكبار في حلقات العلم وحضر دروس الطبقات العليا كالمحقق الخراسانى والسيد اليزدي والهمدانى و السيد محمّد الاصفهانى وميرزا محمّدتقى الشيرازى ومحمّدباقر الاصطهباناتى والشيخ احمد الشيرازى والعلامة على محمّد النجف‌آبادى وحضر في الحديث والرجال عند العلامة المحدث النورى.

اما اخلاقه وعاداته وسلوكه كانت تنطبق على أخلاق العباقرة والعظماء والنوابغ من الناس شديد التمسك بالآداب السلامية والتعاليم الدينيه خصوصاً أدب أئمة أهل البيت عليهم السلام وتعاليمهم العاليه فقد امتاز بمحافظته القوّية، وحضور البديهة، وحدّة ذهنه وتوقدّه وصفاء نفسه فلم يكن يحل حقداً وضغينة على أحد، ويعفو عمّن أساء اليه، ويقابل الجاهلين والمخطئين بالحلم ورحابة الصدر.

سافر عام ١٣٢٩ هـ. من النجف الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج ومن مكة

توجه الى دمشق ومنها الى بيروت ومكث في ربوع سورية ومصر ثلاث سنوات وفي سفره للحج كتب رحلته التي أسماها « نهزة السفر ونزهة السمر » وفي مدة توقفه بمصر درّس الفقه مرة في الفصاحة والبلاغة أخرى في جامع الأزهر وكان يهجم على نوادي التبشير التي تنعقد كل ليلة في كنيسة من كنائس الامر يكان ومدارسهم ورد على الخطيب المبشّر والّف كتاب « التوضيح ».

وكذلك اشترك في الحركة الوطنية مع بعض أحرار سوريا وطبع في هذه السفرة كتابيه الشهيدين « الدين والاسلام » وكتاب « المراجعات الريحانية ».

وفي عام ١٣٥٠ هـ سافر الى فلسطين وحضر المؤتمر الاسلامي في القدس الشريف بعد دعوات متكره من لجنة المؤتمر وأتَمَّ به في الصلاة جميع اعضاء المؤتمر وخلّفهم عدد كثير من اهالي فلسطين يناهز عددهم عشرين الف نسخة وكان ذلك ليلة المعراج ٢٧ رجب في مسجد الأقصى وخطب خطبة تاريخية ارتجالية طويلة طبعت مستقلّة.

وفي عام ١٣٥٢ هـ توجه الى ايران عن طريق كرمانشاه ورجع من طريق بصرة ومكث نحو ثمانية أشهر متجولاً في المدن داعياً الايرانيين الى التمسك بالمبادي الاسلامية وقد خطب باللغة الفارسية في مدن: كرمانشاه وهمدان وطهران وقم في الصحن الفاطمي بعد أن فوّض اليه الزعيم المرجع الحائري اليزدي صلاة الجماعة فكان يخطب بعدها وهكذا في شاهرود والمشهد المقدس واصفهان وشيراز وكازرون وبوشهر، واهواز وعبادان واجتمع مع ملك ايران (البهلوي) في طهران بعد أن طلب منه ملاقاته واجتمع مرّتين متواليتين معه ونصحه وتذاكر معه في شؤون اسلامية وأمور دينيه.

وكذلك سافر الى ايران عده مرّات للاصطياف او زيارة مرقد الامام الرضا عليه السلام او المعالجة.

وسافر في صيف عام ١٣٧٠ هالى لبنان وفي جمادى الاولى ١٣٧١ هسافر الى كراتشى للحضور في مؤتمر الاسلامى.

اما مواقفه الاصلاحية فهى معروفة في تاريخ العراق والمسلمين:

١ ـ اخماد فتنة عبد الرزاق الحصان في كتابه «العروبة في الميزان» الذي طعن فيه العلويين وشيعتهم ومجّد الأمويين ودولتهم واحداث هياج في بغداد والعتبات المقدسة وبعض مدن العراق وخاصة في النجف الأشرف.

٢ ـ اخماد ثورة عشائر الفرات عام ١٣٥٣ ه.

٣ ـ ابطال العادات المؤذية من العراق في العشرة الاولى من شهر ربيع الاول من كل عام. عام ١٣٥٣ ه.

٤ ـ منع الشغب والمظاهرات التى حدثت في وزارة نور الدين محمود.

٥ ـ موقفه من مؤتمر بحمدون تحت رعاية الولايات المتحدة الامريكية وكتب في ردّهم «المثل العليا في الاسلام لا في بحمدون».

اما مؤلفاته المطبوعة في الحكمة والكلام والاخلاق والفقه وغيرها فكثيرة:

١ ـ الدين والاسلام او الدعوة الاسلامية، ٢ ـ المراجعات الريحانية، ٣ ـ الآيات البينات في الردّ على الفرق الضّالة، ٤ ـ التوضيح فيما هو الانجيل ومن هو المسيح، ٥ ـ الفردوس الاعلى، ٦ ـ اصل الشيعة وأصولها، ٧ ـ الارض والتربة الحسينية، ٨ ـ نبذة من السياسة الحسينية، ٩ ـ الميثاق العربي الوطني، ١٠ ـ المثل العليا في الاسلام لا في بحمدون، ١١ ـ المحاورة مع السفيرين، ١٢ ـ عين الميزان (في الجرح والتعديل)، ١٣ ـ نقد كتاب «ملوك العرب» للريحانى، ١٤ ـ مختارات من شعر الأغانى، ١٥ ـ الخطبة التاريخية في القدس، ١٦ ـ خطبة الاتحاد والاقتصاد، ١٧ ـ الخطب الأربع، ١٨ ـ مبادئ الايمان، ١٩ ـ مقتل الامام الحسين عليه السلام، ٢٠ ـ المسائل القندهارية، ٢١ ـ حاشية على التبصرة للعلامة الحلي،

٢٢ ـ وجيزة الاحكام ، ٢٣ ـ زاد المقلدين ، ٢٤ ـ مناسك الحج ، ٢٥ ـ حاشية على العروة الوثق ، ٢٦ ـ حواشي على سفينة النجاة ، ٢٧ ـ تحرير المجلة (فقه مقارن) ، ٢٨ ـ حواشي على عين الحياة ، ٢٩ ـ حاشية على مجمع الرسائل ، ٣٠ ـ تعليقات وتراجم على ديوان السيد جعفر الحلي ، ٣١ ـ تعليقات على ديوان السيد الأعظم السيد محمّد سعيد الحبوبى ، ٣٢ ـ تعليقات على الوساطة بين المتنبّي وخصومه ، ٣٣ ـ تعليقات على معالم الاصابة ، ٣٤ ـ تعليقات على « الكلم الجامعة والحكم النافعة » ، ٣٥ ـ حاشية على كتاب الاسفار لصدر المتألهين ، ٣٦ ـ حاشية على رسالة العرشية لصدر المتألهين ، ٣٧ ـ حاشية على رسالة الوجود لصدر المتألهين ، ٣٨ ـ دائرة المعارف العليا ، ٣٩ ـ حاشية على رسائل الشيخ الانصارى ، ٤٠ ـ حاشية على مكاسب الشيخ الانصارى ، ٤١ ـ تنقيح المقال في مباحث الالفاظ ، ٤٢ ـ حاشية على الكفاية للخراسانى ، ٤٣ ـ رسالة في الجمع بين الاحكام الظاهرية والواقعية ، ٤٤ ـ حاشية على القوانين ، ٤٥ ـ رسالة في الاجتهاد والتقليد ، ٤٦ ـ مغنى الغوانى عن الأغانى ، ٤٧ ـ ديوان الشعر (الشعر الحسن من شعر الحسين) ، ٤٨ ـ نزهة السمر ونهزة السفر ، ٤٩ ـ ترجمة حياته مفصلاً بقلمه : (عقود حياتى) ، ٥٠ ـ تعاليق على أمالى السيد المرتضى علم الهدى ، ٥١ ـ تعاليق على أدب الكاتب لابن قتيبة ، ٥٢ ـ تعاليق على الوجيز في تفسير القرآن العزيز ، ٥٣ ـ تعاليق على نهج البلاغة ونقود على شرح الشيخ محمّد عبده ومؤاخذات عليه ، ٥٤ ـ تعليقات على الفتنة الكبرى لطه حسين ، ٥٥ ـ منتخبات من الشعر القديم مجموعة كبيرة ، ٥٦ ـ منتخبات من الاحاديث والأخبار والتراجم وغيرها ، ٥٧ ـ تعريب كتاب « الهيئة » ، ٥٨ ـ تعريب كتاب « حجة السعادة في حجة الشهادة » ، ٥٩ ـ تعريب وتخليص رحلة : « ناصرخسرو » الحكيم المشهور ، ٦٠ ـ كتاب صحائف الابرار في وظائف الاسحار ، ٦١ ـ كتاب في استشهاد الحسين عليه‌السلام ، ٦٢ ـ رسالة عن الاجتهاد

عند الشيعة ، ٦٣ ـ العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية في تراجم علماء النجف وتاريخها الحديث ، ٦٤ ـ جنّة المأوى ـ هذا الكتاب بين يدي القارىء العزيز.[١]

وأخيراً في صباح الجمعة ١٥ ذى القعدة ١٣٧٣ هـ سافر الى بغداد لمعالجة التهاب الذي عاد اليه وانتابه قبل سنة ، في مستشفى الكرخ وبقى شهراً واحداً ورغب في الخروج من المستشفى والسفر الى ايران للاستجمام في ربوع ايران الى أن وصل الى قرية كرند ، الواقعة بين خانقين وكرمانشاهان في الاراضى الايرانية ، وبعد وصوله اليها ولم تستقر به النوىٰ ووقعت الوقعة العظمى والمصيبة الكبرى التي عمّت العالم الاسلامي ، اختطفه ريب المنون وانتقل من دار الفناء الى دار البقاء الى جوار ربه الكريم بعد ادائه لفريضة الفجر صباح يوم الاثنين ١٨ ذى القعدة سنة : (١٣٧٣ هـ) وقد أشار الاستاذ طالب الحيدرى في قصيدته التي ابن بها شيخنا المغفور له الى أن موت شيخنا الفقيد كان مقصوداً قال :

مات الجرىء الفذ يدفعه ... اخلاصه ليقول مندفعاً
ما مات حتف الانف أحسبهم ... قد جرّعوه من الرّدى جرعا
قتلوه ثأراً منه أو حذراً ... والله اعلم بالذى وقعا

فسلام الله عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً .

---

(١) الذي رتبناه واضفنا اليه ما يشبهه من اسئله غير فقهيه من كتابه الثاني « الفردوس الأعلى » مع تلخيص من تعاليق العلامة القاضي الطباطبائي ﷺ القيمة والعميقة والعلمية علىٰ الكتابين .

१ ١ ٣

مولد النّبوي الشريف ﷺ

صدق الله العليُّ العظيم حيث يقول: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ .(١)

في هذا الشهر المبارك شهر ربيع الاول الذى قد يطلق عليه شهر النور وشهر المولود المبارك لاتفاق المسلمين على أنّ أيامه نزلت الرحمة من السماء الى الارض. وأنبثق النور الالهى من الملاء الاعلى، أشرقت الدنيا كلها بنور ربها، وجاء عن رب العالمين سيد الانبياء والمرسلين بشيراً ونذيراً، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيراً، وعلى سطح هذه الكرة حففة تزعم أنها من البشر وليست هى من البشر، وتسمّى أنفسها بالمسلمين وما هى من المسلمين، تقيم الاحتفالات وتضع المهرجانات تكريما وتعظيما لهذا المولود المبارك الذى تقول: انه نبى الرحمة، وان الله أخرجنا به من الظلمات الى النور، فيجب علينا اظهار الفرح والسرور واعادة تلك الذكريات العليّة الطيّبة.

---

(١) سورة ١٥ آية ٤.

نعم يحتفل المسلمون بعيد مولد نبيّهم الاعظم فى هذا الشهر، ولم يكن شيء من هذه الاحتفالات فى القرون الاولى يوم كان الاسلام فى أوج عزه وبرج رفعته وعظمته، يوم كان المسلمون يعرفون حق المعرفة معنى الاحتفال الصحيح لمولد نبيهم ﷺ.

الاحتفال الصحيح الذى يبتهج به النبى ﷺ ويسرّه هو الاخذ بتعاليمه واتّباع سنّته والعمل بقرآنه، الاحتفال الصحيح أن يكون المسلم مسلماً حقيقة ومعنى لاصورة و لفظا، وقد جعل سلام الله عليه للمسلم علامات كثيرة أقلها وأولها وأن يهتم المسلم بأمور المسلمين حيث قال: من لم يهتم بأمور المسلمين فليس من الاسلام بشيء وعلى ضوء هذه القاعدة يجب أن نمتحن أنفسنا ونضع فى الميزان اسلامنا، هاهم اليهود فى كل شهر أو كل يوم، تشنّ الغارة على قرية من قرى المسلمين فى فلسطين تقذفهم بالقنابل الجهنّمية، وتنسفها نسفا وتذرها قاعا صفصفاً، وتهلك تحت انقاضها ومبانيها جميع من فيها، يضعون بالمسلمين ما لم يضعه حتى فرعون مع آبائهم بنى اسرائيل، فانه كان يذبّح أبنائهم ويستحيى نسائهم، أما بنوا اسرائيل اليوم فيذبحون بالنار والحديد الرجال والنساء والاطفال، وتتكرر هذه العملية منهم فى كل سنة عدّة مرّات وهم بين سمع المسلمين وبصرهم وبين سبع دول كل واحدة تزعم أنها مسلمة، وهى مشغولة بنفسها لا يهمّها من امر اولئك المساكين مقدار بعوضة، وهكذا الحال مع المسلمين فى المغرب العربى وما تعانى تونس، ومراكش، والجزائر من فرنسا من الشنق والحرق و الاعدام لأولئك الاحرار الكرام، واعطف بنظرك ثانيا او ثالثا الى المحميات التسع وعدن واسمع ان كنت ذاسمع وبصر ما يصنعه الاستعمار الجبّار فى مسلمى تلك الديار من الاستيصال والدمار، يقولون: ان عدد المسلمين أجمع على أقل تقدير [مليار و] أربعمأة مليون، فلو أن الربع من هؤلاء كانوا مسلمين حقّا.

وكان فيهم أقل علامات المسلم وهى الاهتمام بأمر اخوانهم المسلمين لانقذوهم من تلك المهالك، ولو أن ما ينفقه المسلمون فى هذه الاحتفالات من الاموال، و ما يبذلونه فى المواليد من مصر وغيرها ليس فى مولد النبي ﷺ فحسب بل فى مواليد مشايخ الطرق: كالبدرى، والاحمدى، والدسوقى، وأمثالهم وما يتفاخرون به من البذخ فى السرادق و الاضوية الكهربائية والمشروبات الكحولية وغيرها لو تجمع هذه الاموال وترسل الى المشرّدين من عرب فلسطين فتحفظ ما بقى من رمق حياتهم التى اصبحت رهن وطأة الزمهرير والمطر الغزير، وتمدّهم بالسلاح والعتاد وتحفزهم الى الجهاد، أما كان خيراً للمسلمين من تلك الاعمال التى ما كان المسلمون يعرفون شيئاً فى العصور الاولى؟ وما تأخّر المسلمون واندحروا وذلّوا الا من العصر الذى شاعت وانتشرت فيه هذه المحدثات التى أماتت العزائم وسلبت من المسلمين كل الحميّة والغيرة، ولو ان ما يبذله العرب بل عموم المسلمين كل ليلة على الملاهى وفى المقاهى والخمور والفجور والمقامرات يجمعونه لانقاذ فلسطين عوض أن تتسرب تلك الاموال الى جيوب الاجانب والمستعمرين فتعود وبالاعلينا وسلاحا للفتك بنا ولو أن الحكومات العربية بل الدول الاسلامية منعت رعاياها من صرف الاموال فى تلك الموبقات، وأنفقتها فى تلك المهمّات لحازت الوزن الثقيل بين الامم وسعدت هى ورعاياها.

وأشهد بالله شهادة حق لو كان عندالمسلمين ذرّة من الغيرة والاسلام بمعناه الصحيح لما صبروا وتطامنوا لهذا الذل والصغار وتحمل الخزى والعار، ولما أبقوا على وجه الارض مهيونيا يذكر، نعم وما أصدق قوله عليه السلام: « **ماكره قوم طعم الموت الا ذلّوا** »، و زبدة المختصر والحق المحض أن البلية ما أشعل نارها على فلسطين الا الحكومات العربية، فهى أصل الداء، ويجب أن يكون منها الدواء، ولكنى أخشى

أن تأتى هنا كلمة اميرالمؤمنين عليه السلام لاهل العراق عموما اولاهل الكوفة خصوصا حيث يقول لهم: «أريد أن أتداوى بكم أنتم دائى كناقش الشوكة بالشوكة و ضلعها معها» واذا لم تبادر الحكومات العربية التى يعبر عنها الصياهنة بالدعائم السبعة المنهارة تارة و بالفيران السبع أخرى؛ و امامها (هرّ) يريد أن يبتلعها، فاذا لم يحفزها كل هذا التحدّى الى الوثبة و تعجيل الضربة، وتمادت على المماطلة والتسويف كرامة لسواد عيون أسيادهم ذوى العيون الزرقاء، نعم اذا تمادوا فى حبال هذا الوبال كان لزاما على الشعوب العربية أن تنهض و تشق الطريق بنفسها لتأخذ ثارها وتغسل عارها، فاما موتة حرّ شريفة او حياة نظيفة:

فاما حياة تبعث الشرق ناهضاً

واما ممات وهو ما يرقب الغرب[١]

وبعد ذلك يحسن منها أن تقيم الاحتفال بالمواليد النبوية والاعياد الاسلامية، أما فى هذه الحال فحق عليهم اقامة المآتم، ولبس الحداد والمآتم، ولاشك أن رسول الله صلى الله عليه وآله يطل عليكم أيها الناس من سماء عليائه ساخطا عليكم فى هذه الاحتفالات والزائفة التى ما هى الا لهو ولعب، وتيقنوا أنكم اذا لم تتداركوا هذا السيل الجارف من البلاء فلاشك ان مصيركم جميعا الى الفناء، ولا يبقى للعرب ذكر الا فى التاريخ الاسود لاغير، وتصح فيكم الاية التى افتتحنا بها كلمتنا هذه: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، هذا هو الاحتفال الصحيح لعيد المولود النبوى صلى الله عليه وآله.

---

(١) رأيت هذا البيت فى ضمن ثلاثة ابيات بخطه قدس سره و هى من اشعاره و اولها:

ولى كل يوم موقف و مقالة ❊ أنادى ليوث العرب و يحكم هبوا ❊ ثم ذكر البيت المذكور ثم قال: وقفت على احياء قومى براعتى ❊ و قلبى و هل الا البراعة و القلب ❊.

مولد النبى الكريم وبعثته

وانت لمـــا ولدت أشرقت الار ض وضـــائت بـنورك الافـق[1]

فى أخريات القرن السادس من ميلاد المسيح عليه السلام كانت الارض ثـوْرة فسـاد وضلالة؛ وحمأة طيش وجهالة؛ من بغى عدوان وعبادة أوثان وحروب طاحنة؛ وأحقاد ملتهبة وغارات متواصلة، ليس فى ظلمتها المتراكم بـعضها عـلى بـعض بصيص من نور هدى ولابارقة أمل فى سداد.

لاجرم أن الانسانية بروحها الطـاهرة ونـفسها المجـردة عـن سـلطان الهـوى والشهوات كانت تعج وتضج الى بارئها أن يبرّبها ويبرئها ويعطف عليها فيبعث لها من يبلسم[2] جراحها، ويصف بها صلاحها ويدلّها على سعادتها الدائمة وحـياتها الخالدة؛ ويحكم فيها سلطان العدل والعقل فيصلح الفـاسد مـن كـل نـواحـيها، ولاريب أن الرّب ـ جل شأنه ـ ما خلق الانسانية ليرمى بها فى تيّار مـن الشـقاء تتقاذف بها أمواجه، وتترامـى بهـا أعـاصيره طـول الابـد، بـل خـلقها لـلنعيم والسعادة، وللهنا والرحمة ونعمة الخلود فى الابدية هنالك حيث الحرة[3] السوداء والجبال الجرداء والحجارة الخشناء والعرصات القاحلة والرمال المـلتهبة، هـناك حيث لازرع ولاضلوع ولاشجراء ولانضراء، هناك بـين أطـواد تهـامة وجـبال فاران وربوات حوريث وساعير، هناك من جوامع الجبروت وصوامع الملكوت

---

(١) هذا البيت للعباس عمّ النبى صلى الله عليه وآله و بعد قوله:

فنحن فى ذلك الضياء و فى النور وسبل الرشاد نخترق

انظر الانوار المحمدية للنبهانى ص ٢٥ ط بيروت.

(٢) البلسم مادة صمغية تضمد بها الجراحات.

(٣) الحرة الارض ذات حجارة نخرة سود كانها أحرقت بالنار.

وغيب الغيوب وسرّ الهوية الاحدية وأعماق الابدية وأمواج العناية الازلية، هناك في غسق الليالي المدلهمة وحنادس الجهل والجاهلية هناك في الوسط الذي أماته الجهل و أعياه الهوى وسخره سلطان الشهوات واستحكمت فيه غرائز الرذيلة.

هناك انبثق بر كان[1] من النور الالهي والقبس الربوبي فبزغت أنوار شمس المحمدية ﷺ وهبت في الاكوان نسمات البشرى بحامل مشعل السعادة الابدية.

ها ان محمّداً ﷺ (ولذكره المجد والشرف) قد وجد و ولد ونمى ونشأ يمثل روح الاخلاق الفاضلة في ابّان صباه، وريعان شبيبته وفي جميع أطواره وأدواره منيعا وديعا، أمينا ورزينا، عفيفا شريفا، فكوراً وقوراً، قوي الارادة عظيم الهمة، فحل العزيمة، دقيق الاحساس رقيق العواطف، رحيم القلب حليم النفس، جميل الصورة حسن السيرة، مغناطيس النفوس محبوب القلوب ما كذب قط ولا خان و لامان، ولامكر ولاغدر، ولاسجد لصنم ولا انثنى لوثن كل ذلك وما اليها من السجايا الغالية والمزايا الباهرة والمعارف السامية كانت طباعا لاتطبعا ومواهب لامكاسب، من غير معلم و لامرشد، ولامربّ ولامدرّب، ولامدرسة ولامدرّس، ولامطالعة كتب ولامراجعة صحف وكانّه قبل أن يتجاوز شعوب مكة قد عرف كل الشعوب وخبر أحوال الامم وسبر طبقات البشر. ودرس نفسيات الخلائق وقلبها بحثا وعلما فعلم ما هي ادواء البشرية وما عللها وامراضها، وما هو دوائها وعلاجها وما هو السبيل الى رحمة تلك الانسانية المعذّبة وتخليصها من قديم شقائها ومزمن دائها.

ثم ان محمّداً (خلد الله شريعته و أعلى كلمته) عند ما بلغ أشده واستوى جدّه وشاع في أحياء العرب اريج ذكره، واستبحر في الارض خليج فخره، وبدا

---

(١) البركان جبل النار انظر المنجد، ص ٣٣، ط ـ ٩.

للحاضر والبادى عظيم شأنه ورفيع شأوه، ووقف قومه على منيع مقامه وبـازخ أعلامه حتى اذا قرب من الاربعين طفق يطلب الخلوة لنفسه ويعتزل عـن أبـناء جنسه وصار يترهّب تلك الرهبانية الصحيحة التى لاتحجف بـواجب شيء مـن النفس او البدن، بل تعطى كلاً من تكميل قسطه وتوفى بحسبه شرطه، وتسـتوفى حظوظها منه على مدرجة الصواب و أحسن الانتخاب والاستقامة على حد المركز والوسط والاعتدال بين الاطراف من غير ميل ولا انحراف، وهـذه اول تـرشيحة الوحى وترشحة للنبوّة، وتأهل للبعثة وتسديد من الغيب فجعل ينقطع ويـتجرّد ويروح الى معلّمه الروح المجرد[1] ويقيم خارج البلد فى شعب (حراء) يتحرّى مهب نفحات العناية من بين وارداته القلبية، ويترقب خلع التـشريف والكـرامـة مـن متحف الربوبية ويطامع اسرار الملك والملكوت مما رقمه قلم الازل عـلى صـحيفة نفسه القدسية، ويتأهب للهبة بما تفرسه حـدسه وحـدسته نـفسه، وتـقدمت له دلائله، وهتفت فيه بشائره، من تشريفه بتلك المنزلة الشريـفة، وتـعينه لهـاتيك الوظيفة، بعثه بتلك المصلحة العامة، والمسألة الهامة البالغة أقصى مبالغ الصعوبة والحاجة والكلفة والمشقة ودفعه الى تقحم ذلك المأزق المـتلاحم والتهـجم عـلى

---

(١) قال اميرالمؤمنين سلام الله عليه فى خطبته المباركة المعروفة بالقاصعة:

«ولقد قرن الله به صلى الله عليه و آله من لدن ان كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طـريق المكارم، و محاسن اخلاق العالم ليله و نهاره. ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه يرفع لى فى كل يوم من اخلاقه علماً و يأمرنى بالاقتداء به ولقد كان يجاور فى كل سنة بحراء فأراه و لايراه غيرى. و لم يجمع بيت واحد يومئذ فى الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه و آله و خديجة و انـا ثـالثهما ارى نـور الوحـى و الرسالة، و اشمّ ريح النبوة و لقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحى عليه الخ» و مما روى فى حاله مع الملك و عصمته به ما روى عن الامام الباقر سلام الله عليه انه قال: و كل الله بمحمد صلى الله عليه و آله ملكا عظيماً منذ فصل عن الرضاع يرشده الى الخيرات و مكارم الاخلاق و يسده عن الشرو مساوى الاخلاق و هو الذى كان يناديه السلام عليك يا محمّد يا رسول الله و هو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد، فيظن أن ذلك من الحجر و الارض فيتأمل فلا يرى شيئاً. انظر الى شرح النهج لابن ميثم ره، ج ٤، ص ٣١٤.

غيوم ذلك البلاء المتراكم، ولكن «على قدر اهل العزم تأتى العزائم» وعند العظم تصغر العظائم، فأول ما كان له من طلائع النبوة وقدامى الحى والبعثة وقوع الرؤيا الصادقة منه التى تجيء كفلق الصبح له،[١] ثم تعقب ذلك سماع الصوت دون معاينة الشخص قائلا له غير مرة: يا محمّد انك رسول الله، فكانت تأخذه عند ذلك من الوحشة والدهشة، واللذة المشوبة بالعجب والانس المشتبك بالغرابة حال يقصر أبلغ يراع بليغ عن تصويرها، ويكل لسان كل مثيل عن تمثيلها، وكان لتلك الحال روعة تدفع لجسمه الشريف مثل الهزة و الفزة[٢] ويصيبه الافكل والرعدة كدأب المبتهج المستبشر.

نعم ثم تدرّج الوحى اليه على مقتضيات الحكمة، اذ التعاليم ثمة وان كانت اللآهية ولكن لها على قداستها وجهة بشرية، فلاجرم ترد متدرجة حسب القوابل ومقتضيات الاساليب والعوامل، فتجلّى له الملاك بالوحى المبين، والكلام الصادر بألفاظه ومعانيه، ومقاصده ومبانيه من مصدر الناحية الربوبية والمعمل الالهى والعلم غير المتناهى، قائلاله ـ وهى أول سورة نزلت عليه من ذلك الكتاب المقدس والطراز الانفس ـ ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ ﴾[٣] فقرأها وانصرف عنه،

---

(١) لأهل السنة فى بدء الوحى اخبار عجيبة و احاديث موضوعة رواها البخارى و مسلم فى صحيحيهما و الطبرى و ابن الاثير فى تاريخهما يجل مقام النبوة و الرسالة من نسبة القضايا المذكورة فيها الى رسول الله ﷺ بل تلك الاخبار الموضوعة بالخرافات اشبه منها بالاحاديث و احق ان تجعل مسخرة للناظرين لارواية للراوين و لاوسع فى المقام لذكرها و بيان ما فيها من الشطحات والاباطيل و الاكاذيب و قد نقل شطراً منها شيخنا العلامة الكبير المحقق الشيخ محمّد حسن المظفر النجفى قدس سره فى دلائل الصدق و بين ما اشتملت عليها هذه الاخبار من الخرافات بل الكفريات انظر دلائل الصدق، ج ١، ص ٤١٢.

(٢) طير فوأده و افزعه و ازعجه.

(٣) سورة ٩٦ آية: ٦ ـ ٢.

ثم جائه بعدها بسورة الفاتحة، ثم انقطع الوحى زمانا ولكن ارفاقا بـه واشـفاقا عليه، فما أحسبك الا خبيراً بأن قوى البشرية والاخلاط العنصرية وكل ما عملته او عملت فيه الطبيعة والمادة يضعف ويكلّ ويتأثر وينفعل عـند هـجوم مـافوق الطبيعة عليها من مشاهدة تلك الارواح المقدسة، والانوار القاهرة التى هـى مـن عالم الملكوت و صقع الجبروت، وهذا أمر ضرورى محسـوس فى كـيان الطـبيعة وبيئة المادة وخلية العناصر، فانك لو حبست طفلاً فى مختبأ مـن الارض حـتى اكتملت فطرته وتم تمييزه وعقله. ثم اخرجته فجأة الى هذا العالم المحسوس فـوقع بصره دفعة على شموسه المتألقة، وأجوائه المتّسعه؛ وأشجاره المـتسقة، وأنهـاره المتدفقة الى غير ذلك من غرائب الصنع وعجائب الابداع لما شككت أنـه يـنشق قلبه وينذهل له، ويأخذه مـثل الادوار والدهشـة والانـبهار والهـزة والرعـدة، وتأتى الصدمة على عقله، والصككة[1] على جسمه والضغطة على فؤاده وقـلبه، ولاشك أن عالم الغيب من عالم الشهادة على تلك النسبة بل وبأضعافها المتضاعفة فما ظنّك بهذا الجسد البشرى المؤلف من تلك المواد العنصرية السريـع الانحـلال والانفعال الضعيف التأليف؛ وزد عليه الملاك من العوالم المـلكوتية، او تحـل لمـن له قبس من سذق[2] الهياكل الجبروتية، كيف لاتتلاشى عناصره و تتفرق أجزائه و تثور الى الاثير دقائقه الا بماسك من يد القدرة التى لاتغلب و القوة التى لاتعجز عن شيء و لاتنكب.

ألا فبعين عناية الله جسد محمّد ﷺ «ألا فسلام الله عـلى جسـمه المـقدس و روحه المجرد» ألا لاجرم لو عرضته عند نزول الوحى عـليه تـلك الهـزة والفـزة ولاغرولو اتقدت الحرارة الغريزة فى تامور صدره حتى يتغير لها وجهه و يضطرب

---

(١) اى الاضطراب.

(٢) السذق ليلة الوقود و هى ليلة مشهورة عند الفرس فارسى معرب.

بدنه، وتنتقل الرطوبات الداخلية وتترشح على سطح بشرته فيتجلله العرق ويأخذه شبه الحياء والفرق؛[١] ثم اذا سرّى عنه سكنت الحرارة، وقبل الجسم الهواء اللطيف من خارج فيبرد المزاج و تأخذه مثل القشعريرة والنفضة الباردة؛ لمباغتة البرودة للحرارة دفاعا، فيأتى الى مرقده الشريف و يقول: زمّلونى او دثّرونى، فتردّ عليه ثيابه، وتجمع فوقه غطائه ليتسخّن ويستريح ويأمن، ففى احدى ضجعاته ما أهاب به الوحى قائلا: ﴿ **يٰا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَ رَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَ ثِيٰابَكَ فَطَهِّرْ * وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَ لاٰ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ** ﴾[٢]

---

(١) اى الفزع.

(٢) سورة ٧٤ آية: ٧ـ٢.

﴾ ٢ ﴿

هل كان النبي محمّد ﷺ أمّياً ؟

منّا يؤيد أن نبيّنا المحبوب محمّد ﷺ ليس بأمّي وانما يقرء ويكتب بلغات كثيرة . بينما ان الآخر يؤيد انه صلوات الله عليه أمي لايعرف من القرائة والكتابة شيئاً مذكوراً عليه .

الجواب:

ان كلّاً منكما قد وصل الى طرف من الحقيقة وأصاب جانبا من الصواب ، أما القائل ان النبي ﷺ كان أمّيا فقد أصاب ولكن بمعنى انه ما كان يقرأ ويكتب لا أنه لايعرف القرائة والكتابة وكونه أمّيا بهذا المعنى ، أى عدم تعاطيه للقرائة والكتابة عليه اجماع المسلمين و منصوص عليه في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ وَ مٰا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتٰابٍ وَ لاٰ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَرْتٰابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾[1] ولكن لم يثبت من

---

(١) سورة ٢٩ آية: ٤٨.

خاطب الله نبيه ﷺ و قال: و ما كنت تتلو من قبله من كتاب اى : و ما كنت تقرأ قبل القرآن كتابا

←

الاجماع ولا من الكتاب انه لم يكن يعرف الكتابة والقرائة بحيث يكون فاقداً لهذا الكمال، ومن هنا تبيّن أن الاول منكما الذى يقول انه ليس بأمى ان أراد انه يعرفها فهو مصيب، وان أراد انه كتب وقرأ فهو مخطىء ومخالف لنص الآية المتقدمة.

والخلاصة ان النبى ﷺ كان حائزاً لكمال الكتابة والقرائة من حيث الملكة والقدرة لان النبى ﷺ يلزم أن يكون متّصفا لجميع صفات الكمالات بل يلزم ان يكون أكمل أهل زمانه، ولاريب ان الكتابة والقرائة كمال وفقد هما نقص، ولكن مصلحة التبليغ ورعاية الاعجاز فى محيطه وزمانه اقتضت حسب الحكمة ان لا يتعاطاهما تكميلا للمعجزة، وهذه هى الحقيقة الناصعة.

هذا مختصر الجواب الذى سبق منا من عهد بعيد، اما الان فعندنا جواب لعله أحق وأدق وأولى بالقبول وهو ان الكمالات والبشرية جسمانية او روحية انما هى بالنسبة الى غاياتها تكون نقصاً او كمالا، وتوضيح ذلك ان البصر مثلا انما هو كمال النظر الى حصور الغاية التى ترتبت عليه ـ و هى رؤية الاشياء ـ و العمى نقص النظر الى عدم حصول الرؤية فيه، فلو أن شخصا يرى الاشياء من دون حاجة الى

← و المعنى انك لم تحسن القراءة قبل ان يوحى اليك القرآن و لا تخطه بيمينك معناه و ما كنت ايضا تكتبه بيدك اذا لارتاب المبطلون اى ولو كنت تقرأ كتابا او تكتبه لوجد المبطلون الى اكتساب الشك فى امرك و القاء الريبة لضعفة الناس فى نبوتك و لقالوا انما تقرأ علينا ما جمعته من كتب الاولين فلما ساويتهم فى المولد و المنشأ ثم أتيت بما عجزوا عنه وجب ان يعلموا انه من عندالله تعالى و ليس من عندك اذا لم تجر العادة ان ينشأ الانسان بين قوم يشاهدون احواله من عند صغره الى كبره و يرونه فى حضره و سفره لايتعلم شيئا من غيره ثم يأتى من عنده بشىء يعجز الكل عنه و عن بعضه و يقرأ عليهم اقاصيص الاولين. أنظر مجمع البيان ج ٤، ص ٢٨٧ ط صيدا. قال العلامة المجلسى قدس سره اختلفوا فى ان النبى ﷺ هل كان يقدر ان يقرأ و يكتب ام لا؟ و الذى يقتضيه الجمع بين الاخبار انه ﷺ لم يكن تعلم الخط والقراءة من أحد من البشر لكنه كان قادراً على الكتابة و عالماً بالمكتوب بما علم به سائر الامور من قبل الله تعالى و لم يكن يقرأ و يكتب ليكون حجته على قومه أتم و اكمل انظر مرآة العقول، ج ١، ص ١٤٧، ط ١.

العين، فهل عدم العين نقص فيه فى حال انه يرى الاشياء أحسن ممّا يراه صاحب العين، فالقرائة والكتابة كما لهما بالنظر الى معرفة الاشياء والاطلاع على مقاصد الغير او ابلاغ مقاصده الى الغير، فلو ان شخصا يعرف مقاصد الناس من دون أن ينظر الى كتبهم ورسائلهم ويستطيع أن يبلغ مقاصده الى الناس من غير حاجة إلى الكتابة، فهل هذا نقص فيه او هو كمال بل هو فوق الكمال؟ و هذه هى صفة النبى ﷺ فى أمّيته، وهذا جواب مبتكر لم يسبق اليه أحد وهو عين الحقيقة والواقع هذا.

۳

هل القرآن أفضل من محمّد ﷺ أم محمّد أفضل ؟

هل القرآن أفضل من محمّد ﷺ أم محمّد أفضل من القرآن ، و كيف ذلك! واذا كان محمّد أفضل من القرآن فهل انّ علياً عليه السلام أفضل من القرآن ؟ وما هو الدليل على ذلك ؟

الجواب

بمقتضى الحديث المشهور والمتفق عليه عند الفريقين وهو قال النبي ﷺ : «انی تارك فيكم الثقلين : كتاب الله و عترتى اهل بيتى لن يفترقا حتى يردا على الحوض » ، مقتضاه تساوى القرآن والعترة ، ويؤيد ذلك أن عليا عليه السلام هو الكتاب الناطق والقرآن هو الكتاب الصامت وكل منهما محتاج الى الاخر ، فالامام يفسّر القرآن ويوضّح ما أشكل منه ، فالقرآن محتاج الى الامام و الامام محتاج الى القرآن ، لأنّه يشتمل على أحكام الله ونواميسه وشرائعه ، فكل منهما محتاج الى الاخر ، والنّبى ﷺ وعليّ صلوات الله عليهما نور واحد وما يجرى لاحدهما يجرى على الاخر عدا النبوة . واعلم أن السؤال عن الأفضلية عنّا هو من مقام الفضول ،

لايجوز عند ذوى العقول، ولا يسأل العبد عنها يوم القيامة، وما كلّفنا الله سبحانه وتعالى بها ولا يعاقبنا على عدم معرفتها[١] وانما كلّفنا العبادات: الصلاة، والصوم وغيرهما، وهى التى يعاقبنا على الجهل بها، وهى التى يلزمك أن تسأل عن أحكامها وفروعها فاللازم عليك ان لاتسأل عن مثل تلك الأسألة التى لافائدة فيها ولاطائل تحتها؛ اذا سئلت فقل لكل فضل، وعلم الافضلية عندالله، وهذه من أحسن النصائح، ولم يثبت هذا من قول النبى ﷺ سل عن امور دينك الخ ـ وهذه الاسألة ليست من أمور الدين ولامن أصول الدين ولامن فروعه.

---

(١) و قد جاء فى الاثر اسكتوا عما سكت الله عنه.

نظرا الى ذكر حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين قوله عليه الصلاة و السلام فى الكلام الذى تكلم به يوم الغدير و أسئلكم: «عن ثقلى كيف خلفتمونى فيهما فقيل له: و ما الثقلان يا رسول الله؟ فقال الاكبر منهما كتاب الله سبب، طرف منه بيدالله و طرف بأيديكم» هذه رواية زيد بن أرقم، و فى رواية ابى سعيد الخدرى: «حبل ممدود من السماء الى الارض، و الاصغر منهما عترتى اهل بيتى، انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض». و فى رواية أخرى: «حبلان ممدودان من السماء الى الارض»، فان الكلام يعود على الثقلين. و هذه استعارة لانه عليه الصلاة و السلام شبّه كتاب الله بالحبل الممدود بين الله و بين خلقه يعصم منهم من اعتصم به، و يستنقذ من المهاوى و المعاطب من اعتلق بطرفه، و ليس هناك يدعلى الحقيقة تعصم المتعلق بها و تستشيل المتورط، و انما ذلك على التمثيل و التشبيه، لان المستنقذ من الورطة و المنهض من السقطة فى الاكثر انما يجتذب بيده و يستعين بسببه فأخرج عليه الصلاة و السلام كلامه على العرف و المعروف و الامر المعهود. و من روى حبلان ممدودان و اراد باحد الحبلين العترة فالمعنى انه عليه الصلاة و السلام اقام عترته مقام الحبل الممدود الذى يكون عصمة المستعصم و نجاة المستسلم كما قلنا فى القرآن. و هذا الخبر بتمامه هو خبر يوم الغدير الذى يقوم فيه ﷺ: من كنت مولاه فعلى مولاه. اللهم و ال من والاه و عاد من عاداه و اخذل من خذله و انصر من نصره...

انظر «المجازات النبوية» ص ١٦٦، ط مصر.

تواتر حديث الثقلين مما لايشك فيه و عبارة الحديث: «كتاب الله و عترتى اهل بيتى» و اما حديث: «كتاب الله و سنتى» فهو خبر واحد مروى من طريق العامة و لاربط له بحديث الثقلين الذى اتفقت الامة كافة على تواتره و ليس ذلك الخبر الواحد منه.

﴿ ٤ ﴾

ما معنى قول النبى ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام اذا فاضت نفسى؟

ورد فى الحديث عن النبى عليه السلام قال: يا على اذا فاضت نفسى(١) فتناولها بـيدك

---

(١) ثبت فى كتب التواريخ و السير و لاسيما سيرة رسول الله ﷺ انه لما قرب وفاته ﷺ و حان خـروج نفسه المقدسة قال لاميرالمؤمنين عليه السلام: ضع يا على راسى فى حجرك فقد جاء امرالله فاذا فاضت نفسى فتناولها بيدك و امسح بها وجهك ثم وجهنى الى القبلة و تول امرى وصلّ على اول الناس و لا تفارقنى حتى تواربنى فى رمسى و استعن بالله تعالى فاخذ على راسه فوضعه فى حجره. قال الشيخ المفيد رحمه الله ثم قبض ﷺ و يد اميرالمؤمنين عليه السلام اليمنى تحت حنكه ففاضت نفسه فيها فرفعها الى وجهه فمسحه بها ثم وجهه و غمضه و مد عليه ازاره و اشتغل بالنظر فى امره (ا هـ)

قال اميرالمؤمنين عليه السلام فى خطبته الشريفة فى نهج البلاغة: «و لقد قبض رسول الله ﷺ و ان راسه لعلى صدرى و لقد سالت نفسه فى كفى فامررتها على وجهى».

قال ابن ابى الحديد المعتزلى فى شرح النهج يقال: ان رسول الله ﷺ قاء دمـايسيرا وقت مـوته و ان عليا عليه السلام مسح بذلك الدم وجهه.

و قال ابن ميثم البحرانى رحمه الله فى شرحه اراد بنفسه دمه ثم ذكر ما نقلناه عن ابن ابى الحديد و تـبعهما المفتى الشيخ محمّد عبده المصرى فى شرحه ايضا فراجع.

اقول: قىء رسول الله ﷺ دماً يسيرا وقت موته لم يثبت صحته و لم يـصرح بـه الاكـثر فـى سـيرة رسول الله ﷺ و لعل منشأ هذا النقل هو حـمل لفـظ «نـفس» عـلى مـعنى الدم و لذا قـال الشـارح الخوئى رحمه الله: و الاظهر عندى ان يراد بالنفس نفسه الناطقة القدسية التى هى مبدء الفكر و الذكر و العلم

←

وامسح بها وجهك، فالى أيّ نفس كان يشير ؟.

الجواب

فاعلم أنه قد ورد في الاخبار المعتبرة أن كميلاً وهو من خواص أصحاب أميرالمؤمنين سلام الله عليه قال: سيدى أريد أن تعرّفنى نفسى فقال: ياكميل من أيّ نفس تسأل؟ فقال: يا مولاى وهل هى إلّا نفس واحدة؟ فقال ياكميل انما هى أربع: النامية النباتية، والحسية الحيوانية والناطقة القدسية[١] والالهية الملكوتية[٢] ثم ذكر له خواص كل نفس فى بيان وافى، ولاريب أن لكل واحدة من هذه النفوس مراتب ودرجات، وأن النباتية والحيوانية تضمحل وتفنى بموت الانسان وانما يبقى الناطقة القدسية الموجودة فى عامة البشر، وادناها ما يقارب نفس البهائم: ﴿ **إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾،[٣] وأعلاها روح القدس المتصلة بمبدأها الاعلى وهى أرواح الانبياء والائمة عليهم السلام التى اتصلت به وما انفصلت عنه، وتتصل بهذه الأبدان البشرية للتبليغ والهداية مدة، ثم تنفصل عنها وهى فى جميع احوالها لاتنفكّ متعلقة بحظيرة القدس وسدرة المنتهى، وفى دعاء الناحية المقدسة من أدعية رجب؛ **لافرق بينك وبينها الا أنهم عبادك وخلقك**، وهى العقل الاول الكلى وأول

← والحلم و النباهة و لها خاصية الحكمة و النزاهة فيكون محصل المراد بالكلام ان روحه الطيبة الكاملة التى هى المصداق الحقيقى لقوله: قل الروح من امر ربى و المقصود الاصلى بقوله: ونفخت فيه من روحى، لما فارقت جسده الطاهر فاضت بيدى فمسحت بها على وجهى و لعل هذا مراد من قال ان المراد بسيلان النفس هبوب النفس عند انقطاع الانفاس هذا و انما مسح بها وجهه اما تيمنا او لحكمة عظيمة لانعرفها الله‌هـ

(١) يعبر علماء النفس عن هذه النفس بالشعور او الوعى.

(٢) يعبر عنها؛ (أنا) العالم النفسى فرويد، و يعبر عنها بعض علماء النفس (فوق الشعور) و فوق الشعور مرتبط باللاشعور.

(٣) سورة ٢٥ آية: ٤٧.

ما خلق الله الذی به یثیب وبه یعاقب ، وهو الحقیقة المحمدیة التی تحمل الرسالة العظمی وزعامة الانبیاء الکبیرة والسیادة علی کل ما خلق الله ؛ لما انفصلت من بدنه العنصری الشریف أمر خلیفته أن یتحملها بأمرالله ویتوجه الیها ویمسح بها وجهه کنایة عن قبولها والتبرّك بها کما یمسح الانسان وجهه بالاشیاء المقدسة من القرآن او التربة ، وکان النور واحداً من بدء الخلیقة وقبلها فی الازل ؛ لم یزل ینتقل فی الاصلاب الطاهرة والارحام المطهرة الی أن وصل الی عبدالمطلب فانشطر شطرین : شطر لعبدالله ، والاخر لابی طالب ، فکان الاول رسول الله والثانی أمیرالمؤمنین ، وبوفاة رسول الله رجع النور واحداً فی علی عليه السلام کان هذا مختصر ما یمکن أن یقال فی هذا المجال ، وهنا أسرار الٓهیة ، وحقائق عرفانیة لایتسع المقام للکشف عنها ، وفیما ذکرناه کفایة ان شاء الله تعالی.

۵

ليلة ولادة اميرالمؤمنين سلام الله عليه

﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَ مَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي نَجّٰانٰا مِنَ الْقَوْمِ الظّٰالِمِينَ * وَ قُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبٰارَكاً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾[1] ﴿ وَ قٰالَ ارْكَبُوا فِيهٰا بِسْمِ اللّٰهِ مَجْرٰاهٰا وَ مُرْسٰاهٰا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[2].

هذه السفينة فى الزمن الاول والعهود المتوغلة فى القدم أول مركب نجى به جميع من على وجه الارض من المؤمنين المستضعفين، تخلّصوا من سطوة الغاشمين، وسيطرة الظالمين، بعد الجهود الطائلة، واتمام الحجة من شيخ الانبياء زهاء ألف سنة، وبعد أن عامت السفينة فى أمواج الطوفان الذى غمر هذه الكرة بأجمعها سنة كاملة، ﴿ قِيلَ يٰا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاٰمٍ مِنّٰا وَ بَرَكٰاتٍ عَلَيْكَ وَ عَلىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ﴾[3] نعم هذه السفينة هى السفينة التى شبّه رسول الله ﷺ أهل بيته بها فى الحديث المشهور بين الفريقين: أهل بيتى كسفينة نوح من ركبها نجى، ومن تخلّف عنها هلك وهوى.

---

(١) سوره ٢٣ آية: ٣٠ ـ ٣١.

(٢) سورة ١١ آية: ٤٤.

(٣) سورة ١١ آية: ٥١.

ومن يتدبّر حال العصور التى قبل الاسلام وما كان العالم فيه لاجزيرة العرب فقط، بل حتى الدول العظمى فى تلك القرون من الفرس والروم، من يتدبر ما كانت فيه تلك الامم من الجهل والجور والاستبداد يعرف طوفان البلاء الذى غمر الدنيا يوم ذاك، ويعرف شدةالحاجة الى من ينقذ ذلك الخلق البائس من تلك الغمرات، فبعثت العناية الازلية المنقذ الاعظم حبيبه محمّداً ﷺ ولكن قبل أن يتم رسالته، وينقذ عموم البشر من ذلك الشر الذى توغل فى النفوس و استفحل من عهد قديم قضت الحكمة أن يعود الى الملكوت الاعلى الذى جاء منه، واكمالاً للرسالة، وابلاغا للغاية أشار الى من يتم به الغرض، وتقوم به الحجة، فقال قبل رحلته بقليل: انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى أهل بيتى، وبهذا اتجه أن يصدع الوحى بقوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾[1] وجد نبى الرحمة عند قرب رحيله أن العالم لايزال بعد مغموراً بطوفان الجهالة: والضلالة لاتزال مستحكمة، وأنه لابد لهذا الطوفان من سفينة تنجى من أراد النجاة؛ فقال: أهل بيتى هم السفينة، وفى دعاء شعبان: **اللهم صل على محمّد وآله الفلك الجارية فى اللجج الغامرة، يأمن من ركبها ويغرق من تركها**. بيد ان سفينة نوح ما نجت من الطوفان ورست على الجودى الّا محمّد وآله كما أشارالى ذلك العباس بن عبدالمطلب[2] فى مقطوعة تنسب اليه يمدح ابن أخيه ﷺ فيقول:

من قبلها طبت فى الظلال و فى ... مستخصف حيث يخصف الورق

---

(١) سورة ٥ آية: ٦.

(٢) عباس بن عبدالمطلب عم رسول الله ﷺ سيد من سادات اصحابه و اصحاب اميرالمؤمنين عليه السلام ولد قبل عام الفيل بثلاث سنين على قول الواقدى و قال ابن حجر فى الاصابة: ولد قبل رسول الله ﷺ بسنتين. كان طويلا جملا أبيض مات سنة اثنتين و ثلاثين.
انظر تنقيح المقال، ج ٢، ص ١٢١ ط النجف، والاصابة، ج ٢، ص ٢٦٣ ط مصر.

ثم هبطت البلاد لابشر أنت، ولا نطفة و لا علق
بل ملك تنقذ السفين و قد ألجم نوحا و قومه الغرق

صانع السفينة الاولى شيخ المرسلين؛ و واضع السفينة الثانية سيد المرسلين، السفينة الاولى خشب يجرى على الماء، والسفينة الثانية نور هبط على الارض من السماء، واضعها محمّد ﷺ وربّانها ومسيّرها أخوه وصنوه وصهره الامام الذى في شأنه نزلت: ﴿ **إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبٰارَكَةٍ إِنّٰا كُنّٰا مُنْذِرِينَ** ﴾.(١)

ولا نستطيع فى مقامنا هذه أن نأتى على اليسير من فضائل هذا الامام العظيم فضلا عن الكثير، ومن ذا يقدر على احصاء نجوم السماء من مناقبه من شجاعته وبلاغته وزهده وسوابقه فى الاسلام، التى هى كلمات الله، ﴿ **وَ لَوْ أَنَّ مٰا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاٰمٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مٰا نَفِدَتْ كَلِمٰاتُ اللّٰهِ**(٢) **قُلْ لَوْ كٰانَ الْبَحْرُ مِدٰاداً لِكَلِمٰاتِ رَبِّي** ﴾.(٣)

انما المناسب فى المقام هو التعرض لولادته فى هذه الليلة المباركة وانما نتعرض لشأن واحد من شؤون ولادته سلام الله عليه، وهو ولادته فى الكعبة على أشهر الروايات(٤)، ولعل غيرها من مدسوسات النواصب الذين يريدون أن يستروا ضوء الشمس بأكفهم، وولادته فى الكعبة طفحت بها الكتب ونظمتها الشعراء

---

(١) سورة ٤٤ آية: ٣.

(٢) سورة ٣١ آية: ٢٧.

(٣) سورة ١٨ آية: ١١٠.

(٤) قال الحاكم فى «المستدرك» ٣: ٤٨٣: و قد تواترت الاخبار ان فاطمة بنت أسد ولدت اميرالمؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه فى جوف الكعبة.

وقال احمد بن عبدالرحيم الدهلوى الشهير بشاه ولى الله والد عبدالعزيز الدهلوى مصنف (التحفة الاثنى عشرية فى الرد على الشيعة) فى كتابه: ازالة الخفاء: تواترت الاخبار ان فاطمة بنت اسد ولدت أميرالمؤمنين عليا فى جوف الكعبة فانه ولد فى يوم الجمعة ثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة فى الكعبة و لم يولد فيها أحد سواه قبله و لابعده.

حديثا وقديما و آخرهم عبدالباقى الشهير[١] فى مستهل قصيدة له :

أنت العلى الذى فوق العلى رفعا ببطن مكة وسط البيت قد وضعا

وهي منقبة لم يشاركه فيها أحد فى الاسلام، وقد ذكروا أن مريم عليها السلام لما جائها المخاض بعيسى عليه السلام آوت الى بيت المقدس لتضعه فيه، فنوديت أخرجى يا مريم فهذا بيت العبادة لابيت الولادة، وفاطمة بنت أسد لما أحسّت بالطلق وهى فى الكعبة انسدّت أبوابها ولم تقدر على الخروج حتى وضعت عليّاً سلام الله عليه. لعل فى هذه الحادثة الغريبة أسراراً ورموزاً أجلها وأجلاها أن الله سبحانه كأنه يقول: أيها الكعبة انى سأطهّرك من رجس الاوثان، والانصاب والازلام بهذا المولود فيك، وهكذا كان فان النّبى صلى الله عليه وآله دخلها عام الفتح و الاصنام معلّقة على جدرانها ولكل قبيلة من قبائل العرب صنم، فأصعد عليا عليه السلام على منكبه وصار يحطّمها ويرمى بها الى الارض؛ والنّبى صلى الله عليه وآله يقول: ﴿ **جَاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً** ﴾[٢]، وقد نظم الشافعى هذه الفضيلة بأبيات تنسب له؛ يقول فى آخرها:

---

(١) عبدالباقى بن سليمان بن احمد العمرى الفاروقى شاعر كبير و مؤرخ ولد بالموصل فى بيت علم و ادب سنة: (١٢٠٤) هو انتقل الى بغداد فاستمر فيها الى ان توفى (١٢٧٨) هق وله اشعار و قصائد فى مدح أهل البيت و بيت الوحى عليهم السلام و لاسيما اميرالمؤمنين عليه السلام. وفى بعض النسخ: المصرع الاخير كمايلى: «ببطن مكة عند البيت اذوضعا»

قال شهاب الدين الالوسى صاحب التفسير الكبير فى «سرح الفريدة الغيبية فى شرح القصيدة العينية» عند شرح البيت المذكور ما هذا لفظه: «وكون الامير كرم الله وجهه ولد فى البيت امر مشهور فى الدنيا و ذكر فى كتب الفريقين السنة و الشيعة ـ الى ان قال ـ و لم يشتهر وضع غيره كرم الله وجهه كما اشتهر وضعه بل لم تتفق الكلمة عليه، و ما أحرى بامام الائمة ان يكون وضعه فيما هو قبلة للمؤمنين؟ و سبحان من وضع الاشياء فى مواضعها و هو احكم الحاكمين. انظر ص ١٥ و انظر الاعلام للزركلى، ج ٣، ص ٤٧٤ و ريحانة الادب، ج ٣، ص ١٧٦، و لشيخنا العلامة الكبير الشيخ محمّدعلى الاردوبادى رحمه الله كتاب «على وليد الكعبة».

(٢) سورة ١٧ آية: ٨٤.

و علـى واضـع أقـدامـه   فى محـل وضـع الله يـده[١]

فانّ النّبی ﷺ كان يحدّث عن المعراج قائلا: ان الله عزّ شأنه وضع يده على كتفى حتى أحسست بردها على كبدى.

وفى ولادته رمز آخر لعله أدق و أعمق: وهو أن حقيقة التوجه الى الكعبة هو التوجه الى ذلك النور المتولد فيها، ولو أن القصد مقصور على محض التـوجه الى تلك البنية وتلك البنية وتلك الاحجار لكان ايضاً نوعا من عبادة الاصنام (معاذ الله) ولكن التناسب يقضى بأن البدن وهو تراب يتوجه الى الكعبة التى هى تراب؛ والروح التى هى جوهر مجرد تتوجه الى النور المجرد، وكل جنس لاحق بجـنسه: النور للنور، والتراب للتراب والى بعض هذا أشار بعض شـعراء الفـاطميين[٢] اذ يقول عن الامام:

بـــشر فى العـــين الا أنـــه   من طريق العقل نـور و هـدى
جـــل أن تـــدركه أبـــصارنا   و تـــعالى أن نـــراه جســـدا
فـــهو فى التسبيح زلفى راكـع   سمـــع الله بـــه مـــن حمـــدا

---

(١) انظر الى الارشاد للديلمى ﵀، ج ٢، ص ٢٥ ط النجف و لكنه نسبه الى بعض الشعراء و لم يسمه.

(٢) الخلفاء الفاطميون يقال لهم: العبيديون ايضا، صارت السلطة و السلطنة بعنوان الخلافة لهم فى مصر و نواحيها من سنة = ٢٩٦ ـ ٥٦٧ و عددهم اربعة عشر نفسا، و هم من السادات الاشراف و المحققون متفقون على انهم من السادات العلويين و لاشك فى انتسابهم الى اهل البيت ﵈ و انكار نسبهم كـما صدر عن بعض المؤرخين ناش من التعصب البغيض ـ خذ اول صفحة (٤) ط مصر من تاريخ الخلفاء للسيوطى فانك ترى من آثار العداوة و البغضاء و الحكم بالكفر و الالحاد فى حق الخلفاء الفاطميين شيئا عجيبا و ذنبهم فى هذا التجامل عليهم من خصمائهم ليس الّاكونهم من الشيعة و الازهر الشريف من آثارهم، و من صدع بالحق و دافع عنهم كالمقريزى يرمونه اعدائهم بالكلمات الخاطئة و بالبهتان و الافتراء و بكل أفيكة.

و سيأتى فى كلمات شيخنا الامام ﵀ الدفاع عن الفاطميين، و انظر ايضا لمزيه البصيرة فى حقهم الى مقدمة: «تبيين المعانى فى شرح ديوان ابن هانى» الاندلسى المغربى للدكتور زاهد على الهـندى ط مصر سنة ١٣٥٧ هـ.

تـدرك الافكـار مـنه جـوهرا   كـاد مـن اجـلاله أن يـعبدا
فـهو الكـعبة و الوجـه الذى   وحّـد الله بـه مـن وحّـدا

وهذا السطران من الشعر إن كان فيه شيء من الغلوّ ففيه كثير من الحقيقة، وفيه لمعات من التوحيد، نعم نتوجه بأبدائنا فى صلواتنا الى الكعبة وبأرواحنا الى النور الذى أشرق وأضاء فيها، نتوجه اليه فنجعله الوسيلة الى الله كما قال عز شأنـه: ﴿ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾، نتوجه اليه كى يوجّهنا الخير والسداد، فالتوجه منّا اليه والتوجيه منه لنا.

نعم كتاب الله والعترة سفن النجاة والعروة الوثقى التى لانـفصام لهـا ولايـضلّ ولايزل من تمسك بها، ولكن ليس التمسك قول بـاللسان وثـرثرة[١] بـالألفاظ، التمسك عقيدة راسخة، وأعمال صحيحة بنيّة خالصة، وقلب طاهر سليم، وأخلاق فاضلة التى هى روح الدين وجوهر الاسلام والتى طفح[٢] بها الكتاب والسـنة، ولكن أين نحن من مراحل هذه الفضائل والاخذ بهذه الوسـائل، أبهـذا التـفسّخ الاخلاقى والتفكك الاجتماعى ونبذنا الكتاب والسنة وراء ظهورنا، نـريد ان نـعد أنفسنا من المسلمين، وبالعروة الوثقى متمسكين، كلّا وكلّا لو كان لنا من الاسلام ذرواً[٣] وذرة لما سقطنا هذا السقوط الشائن ولما فشلنا هذا الفشل المخزى.

امتحنت (فلسطين) بمحنة الصهيونية منذ اربعين سنة، وما زالت تتقدم والعرب والاسلام تتأخر، وقد اقتحمت معاركها الاولى ولم أزل منذ عشرين سـنة أقـرع المنابر وأقرع الاسماع بـالخطب النـارية: وأنـشر المـقالات المـلتهبة فى الصـحف وغيرها وأهيب بالمسلمين وأدعوهم الى الوحدة وجمع الكلمة، وان الاسلام بنى

---

(١) (ثرثر، ثرثرة) الشيء: بدده، ـ الكلام: كثره فى تردد و تخليط.

(٢) طفح الاناء: امتلاء وفاض. ـ الاناء ملاه (لازم متعد)

(٣) (ذرا يذرو ذرواً) الريح التراب: اطارته و فرقته. ـ الحنطة: نقاها فى الريح.

على دعامتين (كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة) وأصرخ الصرخات الداوية ان يصلحوا الوضع بينهم لانقاذ فلسطين الدامية وكنت من زمن بعيد أبث شجواى فى أبيات منها:

نهضت فقيل أى فتى فلما ... خبرت القوم طاب لى القعود
و انى بعد مجهدة و قومى ... كضاربة و قد برد الحديد
لنا فى الشرق أوطان ولكن ... تضيق بنا كما ضاقت لحود
نقيم بها على فقر و ذل ... و نظماً لا يساغ لنا ورود
مواعيد السياسة بينات ... تكيد بها السياسة من تكيد
و عود كلها كذب و زور ... فكم والى مَ تخدعنا الوعود
اذا ما الملك شيد على خداع ... فلا يبق الخداع و لا المشيد
اذا لم تبتن ملكا صحيحا ... فلا تغنى الجيوش و لا البنود

ومن هذه الشعلة ثلاثة أبيات ذكرتها فى مقدمة الجزء الاول من مؤلفنا (الدين والاسلام) الذى طبع فى مطبعة العرفان قبل ٣٨ سنة و هى:

فلا طلعت على الشمس يوما ... اذا عن مجد قومى لا أذود
أموت و قد بلوت النفس جهدا ... كما تحمى عزينها الاسود
كذلك فلتكن للعرب نفس ... و الا ما الحياة و ما الوجود

نعم كنا نعتز بذكر العرب ونرتاح بالانتساب اليهم، ثم دارت رحى الزمان فصرنا نخجل من ذكر العرب والعروبة و ما يشتق منها، ونودّ لو كنا من الخزر والبربر ولم نكن من هذه الامة، وانطبق علينا تماما قول القائل:

ورثنا المجد عن آباء صدق ... اسأنا فى ديارهم الصنيعا
اذ الحسب الرفيع تواكلته ... بناة السوء أوشك أن يضيعا

فلسطين قلب البلاد العربية تحقيقا، تحفّ بها كالهالة، مصر و بلاد المغرب، وسوريا، ولبنان، والعراق، والاردن، والحجاز، وأقطار الجزيرة، فاذا هلك القلب فما حال بقية الاعضاء؟ ولاشك ان الوضع اذا بقي على هذا فلنا فلسطينات أخرى في زمن قريب (لاسمح الله) ألا يخطر على بالكم قول شاعر الفردوسي الذائع، الفردوسي العربي حيث يقول:

حثّوا رواحلكم يا أهل أندلس	**ليس البقاء بها الا من الغلط**
من جاور الشر لايأمن عواقبه	**كيف الحياة مع الحيّات في سفط**
العقد يبترّ من أطرافه و أرى	**عقد الجزيرة مبتورا من الوسط**

مصيبة المسلمين عظيمة، وأعظم منها أن المصائب من شأنها أن تنبّه الشعور، وتعطي لأهلها دروساً وعبرة، وتجمع الشمل وتوحد والكلمة، أما مصيبتنا بفلسطين فما صنعت شيئا من ذلك، وتلقاها زعماء العرب وقادتها الذين ذبحت فلسطين على مذبح مطامعهم الدنيّة وجشعهم[١] الخبيث نعم تلقوها، برحابة صدر، وبرودة دم وما كفاهم ذلك حتى مكنوا اليهود طابعين من البقية الباقية من أراضي فلسطين التي يسكنها الالوف من عرب المسلمين و جعلوهم عبيداليهود، يعطون ﴿ **الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صَاغِرُونَ** ﴾[٢] وكانت أهالي فلسطين تأمل من ملوك العرب نصرهم، ويا ليتهم كفّوها شرّهم ولم يكونوا سماسرة[٣] للمستعمرين؛ ومنفّذين لارادتهم، وسوف يعلمون كيف تدور الدائرة عليهم، ﴿ **ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَ يُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾.[٤]

---

(١) جشع حرث و طمع اشد الحرص و اسوأ الطمع.

(٢) سورة ٩ـ آية: ٣٠.

(٣) السمسار المتوسط بين البائع و الشاري و الساعي للواحد منهما في استجلاب الاخر، ما لك الشيء و قيمه، سمسار الارض: العالم بها، جمع سماسرة.

(٤) سورة ١٥ـ آية: ٤.

نعم كل ما أصابنا انما هو من محاربتنا للدّين و نبذ القرآن، وترك العمل بتعاليم الاسلام، وما أفسد هذا الشباب الخليع المستهتر الّا هذه المدارس التى جعلت الدين فيها قشراً لالب فيه، وجسداً لاروح له.(١)

أيها المسلمون عودوا الى ماكان عليه أسلافكم تعدلكم عزّتكم، أكرموا القرآن بالعمل به كى يعيد لكم كرامتكم، أترجون صلاحا او اصلاحا من هذا الشباب الواهن المتجرفى تيّار شهواته، وقد فسد المعلّمون والمتعلمون فاناالله وانا اليه راجعون؛ ضاع الرعيل و قائده.

٧ اصل بليّتنا معاشر المسلمين هو الاستعمار، وكل رزية وبلية فالاستعمار أصها وفرعها ونبعها ومطلعها، وما جرّ علينا بلاء الاستعمار ومكّنهم من نفوسنا وأموالنا وأولادنا وأخلاقنا وتقاليدنا الا زعمائنا وقادتنا.(٢)

---

(١) هذه المدارس الرسمية للشباب فى الشرق سواء كانت فى العراق او فى ايران او غيرهما من الممالك الشرقية. فاقدة للفضائل كلها فان الروح الغربى نفذت فى جسدها و سلبت منها كل الفضائل الانسانية و الكمالات النفسانية و التعاليم الدينية الروحية و قد جاءت روح الغربى بالتوحش باسم التمدن فنزعت كل الفضائل منا. قال شيخنا الامام ﷺ فى الجزء الاول من كتابه: «الدين و الاسلام» ما هذا لفظه:
نفذت الروح الغربية فى جسد الشرق و جسم العالم الاسلامى فانتزعت منه كل عاطفة شريفة و احساس روحى و شرف معنوى و مجد باذخ و استقلال ذاتى الى ان قال ـ تسمع بالمسلم الشرقى الذى يلهج بالمحاماة و الذب عن الدين الاسلامى و التناصر له فاذا وقع بصرك عليه وجدته غربيا من قرنه الى قدمه غربى الاهواء غربى الازياء غربى الاميال، غربى الشكل، غربى اللباس غربى الظاهر كله. (والله اعلم بالباطن) غربيا فى كل شيء و ليس عليه من اثر الاسلام شيء تقليداً اعمى، وجهلا مطبقا، و اعجاباً بزخارف الدنيا و سفاسف الامور، و اغترارا بالعرضيات عن الحقائق و الجوهريات (ا هـ)
و لذلك ليس فى اكثر المعلمين و غيرهم فى هذه المدارس فى الشرق حفظ مجدهم و شرفهم الدينى و الوطنى و حفاظة الاستقلال الذاتى و انما همّهم و اهتمامهم على اخذ الرواتب من وزارة المعارف و تحصيل الدرهم و الدينار من اى طريق حصل و اى سبيل وصل و لااهتمام لهم لتربية الشباب بالتعاليم الروحية و الآداب الدينية و لانتيجة لهذا الطريق الذى سلكوا الا الفوضى و جرّ الشباب الى الشيوعية الحمراء و السوداء.

(٢) هم السبب الوحيد على فساد أخلاق الناس و سوقهم الى التوحش و الهمجية و نعم ما قيل:
و ما افسد الناس الا الملوك ... و أحبار دين و رهبانها

ومــلوكنا قــد أســلمونا للعدى　　لله درّ مــــلوكنا مــــا تــصنع

ومــا أفســد الاســلام الاغـصابة　　تأمّـــر نــوكاها[1] ودام نــعيمها

وأضحّت قناة الدين فى كفّ فـاجر　　أقيم لاصلاح الورى و هـو فـاسد

و هل يستقيم الظل و العود أعـوج　　يـــقولون بــــالزبيبة عــــود

أما قضيتنا فى الزبيبة عمود ،[2] كل أحديراه و يشكو بثّه الى الله .

لمثل هذا يـذوب القـلب مـن أسـف　　لو كــان فى القـلب اسلام و ايمـان

أيّها المسلمون احفظوا أولادكم من هذا الشرّ المستطير والدّاء الذى يفسد دينهم ودنياهم ؛ أنشئوا لهم مدارس أهلية مثقّفة ثقافة دينية تـتلائم مـع روح العـصر ، واستحضروا لهم معلمين من أهل الصـلاح و الفـضيلة ، فـان أهـم واجب عـلى المدارس الاهـلية او الحكـومية جـعل الدروس الديـنية فى الدرجـة الاولى مـن الاهمية ، وتجعل امتحانا وشهادة ولايتسنى للاهلين انشاء المدارس الكافية للتعليم الّا بتشكيل الجمعيات الخيرية المخلصة كى تتعاون عـلى هـذه الاعـمال الجـليلة ، والمشاريع الحيوية ، ومن المعلوم ان الجمعيات مثل كل كائن يحتاج فى نموه وبقائه الى غذاء ، وغذائه المال ، فلا تتهاونوا فى التعاون والمسـاعدة كـلّ حسب امكـانه ومقدوره ، القليل من الكثير كثير. فتعاونوا واجـتمعوا فـان يـدالله مـع الجـماعة والاجتماع خير و بركة. وآخر وصيتى ونصيحتى أقولها بدأ وعوداً ولاأخـص بهـا المسلمين بل أقول : أيها البشر عليكم بالقرآن ففيه سلامتكم بل سعادتكم .

ولو عمل الناس به وأخذت الدول بـتعاليمه لاسـتراحت البـشرية مـن هـذا التكالب و التحارب ، وعرف كلّ حدّه وحقّه ، القـرآن القـرآن اجـعلوه الجـامعة

---

(١) اى حمقاها.

(٢) و لايخفى لطفه.

العربية والوحدة الاسلامية ، وتجنّبوا الخلافات المذهبية ، والخصومات الطائفية ، وليعمل كل على مذهبه فى فروعه بغير جدال ولاخصومة ؛ وأقصى الآمال والأمانى ان تتوحد الحكومة والامة فتكون الحكومة كأب بارّ بالرعية ، والرعية كأبناء فى معاونة الحكومة كى يسعد الجميع ويكون العراق كما يقال عن جمهورية أفلاطون والمدينة الفاضلة للفارابى .

وأهم ما يجب على المراجع المسئولة انتخاب الموظفين المهذبين الذين لايقطعون الصلة بين الحكومة والرعية بسوء تصرفاتهم ولا يجعلون الحكومة كذئاب مفترسة لهذا القطيع الوديع باستعمال الضغط الفظيع من الغرسة[1] والكبرياء والشره الى الرشوات وارتكاب المنكرات ، حاسبوا أنفسكم ايها الناس قبل أن تحاسبوا واجعلوا نصب أعينكم المسئولية العظمى ؛ يا ايها الناس ﴿ **وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ فَلاٰ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰاةُ الدُّنْيٰا وَ لاٰ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ** ﴾ .[2]

---

(١) غطرس غطرسة على فلان: تكبر ـ الرجل: تطاول على أقرانه.

(٢) سورة ٣١ آية: ٣٤.

٦

يوم ميلاد مولانا اميرالمؤمنين عليه السلام

قال الله سبحانه في محكم كتابه: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَ وُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَدَاءِ ﴾[1].

نعم في مثل هذا اليوم أو هذه الليلة أشرقت الأرض بنور ربّها وجيء بوارث النبيّين وجامع علوم الاولين والاخرين، امام الشهداء وسيّد الصديقين، واحتفالنا بانبثاق هذا النور الالهي في مثل هذا اليوم ليس كاحتفال الامم بيوم ولادة ملوكها وعظمائها وسلاطينها ورجال نهضتها، بل احتفال بالنعمة العظمى والآية الكبرى والمثل الاعلى الذي تنزلت الأحدية به من عليا ملكوتها الشامخ وجبروتها الباذخ وقدسي تجردها الى عوالم الناسوت، وتقمص المادة لتعود المادة روحا والجسد عقلا، والموت حياة، نحتفل بذكرى ولادة بحر العلم الخضم الذي تدفق بنهج البلاغة وهو نبع من ينابيعه، وشرعة من مشاريعه، ولا جائت العصور ولا انجلت الدهور عن كتاب بعد كتاب الله العظيم أنفع ولا أجمع ولا ألمع وأنصع منه في اقامة

---

(١) سورة ٣٩ آية: ٧٠.

براهين التوحيد ودلائل الصنعة ، وأسرار الخليقة ، وأنوار الحقيقة وتهذيب النفس ، وسياسة المدن ، وحكمة التشريع والعظات البليغة ؛ والحجج الدامغة ، وانارة العقول ، وطهارة النفوس ، بينا تراه يفيض بينابيع الحكمة النظرية والعملية ويرهق على توحيد الصانع ويغرق فى وصف الملائكة والمجردات بياناً ، ويمثل لك الجنة والنار عياناً كفيلسوف الّهى ، وملاك روحى اذاً به يعطيك قوانين الحرب وسوق الجيوش وتعبئة العساكر كقائد حربى ومغامر[١] عسكرى ، لاتلبث ان تجد فيه ما يبهرك من عجيب وصف الطاووس والخفاش والذرة النملة فيصفها دقيقا . ويستوعب فيها من عجائب التكوين ، وغرائب التلوين ، وما أودع صانعها فيها من مزايا الفكرة ، وبدائع القدرة ، حتى يخيل لك من دقة الوصف أنه هو الذى أبدع تصويرها ؛ وقدّر مقاديرها وركّب أعضاءها ، وربط مفاصلها ، هو صانعها ومبدعها وصوّرها وقدّرها ، وشقّ سمعها وبصرها .

الامام الذى وضع الدنيا تحت قدميه ، وكانت ـ وهى العزيزة لغيره ـ احقر شىء لديه ، الامام الذى عرف حقيقتها وأعطاها حقها ، فقال : يا دنيا غرّى غيرى قد طلّقتك ثلاثا لارجعة لى فيك يا صفراء ويا بيضاء ، غرّى غيرى ، الامام الذى لولا ضرب ماضيه ما اخضر للاسلام عود ، ولاقام له عمود ، بل لولاه لما استقام الوجود ولاعرف المعبود ، الامام الذى اليه تنتهى سلاسل الصوفية ، ومنه نشأت علوم العربية ، ومنه عرف حكماء الاسلام الاستدلال بالادلة العقلية ، الامام الذى قال للسائل وهو يخطب على المنبر (عادثمنها تسعا)[٢] ثم استمر فى خطبته وهى

---

(١) اى مقاتل ذوبطش الذى لايبالى بالموت.

(٢) اشارة الى الجواب الذى اجاب به الامام عليه السلام للسائل فى المسألة المعروفة بالمنبرية و نقلها العامّة عن اميرالمؤمنين عليه السلام انه سأل عنه و هو على المنبر يخطب عن رجل مات و ترك امرأة و ابوين و ابنتين كم

←

آية من آيات العلم النظرى ومعجزة من معجزات العقل البشرى، وهى واحدة من آحاد وفريدة من افراد، فماذا يقول المادح والمطرى بعد آيات القرآن ومدائح الفرقان، فمن الحق أن يقول القائل:

← نصيب المرأة فقال: صار ثمنها تسعاً فلقبت بالمسألة المنبرية.

و استدل بها العامّة على صحة العول فى الفرائض يعنى:

اذا زادت السهام المقدرة على قدر الفريضة يجعل النقص موزعاً على جميع الورثة و اول مسألة وقع العول فى الاسلام فى زمان عمر حين ماتت امراة فى عهده عن زوج واختين فجمع الصحابة و قال لهم: فرض الله تعالى للزوج النصف و للاختين الثلثين فان بدعت للزوج لم يبق للاختين حقهما و ان بدعت للاختين لم يبق للزوج حقه فاشيروا على فاتفق رأيهم على العول، ثم اظهر ابن عباس الخلاف و بالغ فيه و قال من شاء باهلته عند الحجر الاسود ان الله تعالى لم يذكر فى كتابه نصفين و ثلثا.

و بطلان العول من ضروريات مذهب اهل البيت عليهم السلام و عليه اجماعهم و اتفقت الشيعة الامامية على بطلانه تبعاً لائمتهم عليهم السلام و قالوا: ان الزوجين يأخذان حقهما و كذا الابوان و يدخل النقص على البنات و من تقرب بالابوين او بالاب من الاخوات و قد صح اميرالمؤمنين عليه السلام انه قال: ان الذى احصى رمل عالج ليعلم ان السهام لاتعول على ستة لو يبصرون وجهها لم تجز ستة.

فالقارى العزيز جد خبير لان المسألة المعروفة بالمنبرية التى رواها العامّة على خلاف ضرورة مذهب اهل البيت عليهم السلام و لذا فقهاء الامامية قالوا لعلها صادرة من باب التقية و مماشاة على وفق راى القوم او استفهام انكارى او هو تهجين للعول اى صار ثمنها الذى فرض الله تعالى له عند القائل بالعول كذلك، او سأل كيف يجىء الحكم على مذهب من يقول بالعول؟ فبين الجواب و الحساب و القسمة و النسبة فان على مذهب من يقول بالعول: للابوين السدسان و للبنتين الثلثان و للمراة الثمن عالت الفريضة. فكان لها قلق من اربعة و عشرين ثمنها فلما صارت الى سبعة و عشرين صار ثمنها تسعاً فان ثلاثة من سبعة وعشرين تسعها و يبقى اربعة و عشرون للابنتين ستة عشر و ثمانية للابوين سواء.

واما على مذهب اهل البيت عليهم السلام فلا يدخل النقص على المرأة و الابوين بل ينقص من البنتين واخبارهم و احاديثهم ببطلان العول متظافرة و لفقهاء الامامية على بطلانه ادلة كثيرة و الزامات وفيرة وتشنيعات مفصلة فى الكتب الفقهية الاستدلالية فراجع.

وغرض شيخنا الامام رحمه الله هو الاشارة الى ما نقله العامّة انفسهم فى كتبهم من استحضاره عليه السلام فى الجواب فى اثناء خطبته و الزام لهم باقرارهم فى هذا الموضوع مع قطع النظر عن ان مضمون هذا المنقول على خلاف ضرورة مذهب اهل البيت عليهم السلام فى مسألة العول.

انظر الى مطالب السئول للشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعى ص ٢٨ و تاسع البحار ص ٤٦٣ ط امين الضرب و غيرهما.

غاية المدح فى عـلاك ابـتداء　　　ليت شعرى ما تصنع الشعراء

فصلوات الله عليك يا أميرالمؤمنين وعلى المعصومين من أولادك الميامين وعلى الصالحين من شيعتك ومحبّيك.

٧

يوم الغدير

سلام الله ورحمته وبركاته عليكم أيها المؤمنون الذين منّ الله عليهم بالهداية فخرجوا من الغواية الى عصمة الولاية و استمسكوا بالعروة الوثق وحبل الله المتين.

اخوانى و أولادى حرسكم الله، أمّدكم كلمتى هذه فى مائدة الغيب وأقدم لكم هذا الغذاء الروحى من طعام الالهام، وأملى عليكم هذا من الملاء الاعلى والروح الامين و استفتح مقالى بالآية النيرة التى تنزلت من المبدة الاسمى فى هذا اليوم الأغر السعيد:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلاٰمَ دِيناً ﴾(١)، و الاستضائة بكل واحدة من هذه المصابيح الثلاثة يستدعى البيان الكثير والشرح الوافى، ولكن نكتفى بلمحة من الكلمة الاولى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ أرأيتكم لوان رجلا من ذوى العقل والحجى، منقطع النظير فى عقله وشرفه ونبله يتكفل بتربية أولادله صغار وكبار والمحافظة على ما هم من أموال

---

(١) سورة ٥ آية: ٦.

وعقار، وأشرف على الرحيل من هذه الدار الى دار القـرار، وهـم بـعد لم يـبلغوا رشدهم الكامل، ولا يزالون فى أشد الحاجة الى مـن يـقوم بشـؤونهم، ويـنهض بأعباء تربيتهم وحل مشكلاتهم، ورفع خـصوماتهم، فـلوتركهم ولم يـنصب قـيما عليهم يحسن التربية، ويحل المشكلة، ويدفع المعضلة، ويرفع الخصومة، ولانص على ولىّ فيهم، أفلا يكون ذلك نقصاً فى مروؤته، واخلالاً بـرسالته وتـفريطاً فى أمانته ؟ نعم وان شريعة الاسلام المقدسة ما تـركت شـيئا الا وجـعلت له حـقه؛ ولاعملا الا وعينت حكمه، ولا موضوعا الا وقدرت حدّه؛ وأودعت كل ذلك فى كتاب لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولكن هذا الفرقان المجيد فيه **﴿ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَ أُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهَا إِلاَّ اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾**؛ وهم من يستمد مـن يـنابيع الوحـى ومطالع الانوار الأزلية، ولو أن الرسول لم يعرّف الامـة بمـن اخـتصه الله بمـعرفة التنزيل والتأويل، والمحكم والمتشابه والمجمل والمبيّن، والنـاسخ والمـنسوخ، لو لم ينصب للناس اماما ولم ينص على خليفة يقوم مـقامه لكـانت رسـالته نـاقصة، والابصار الى كمالها شاخصة؛ نعم لولا تعيين الولى على المسـلمين لخـان الامـانة فيهم؛ ولو ترك التعيين اليهم لزادت المحنة وعظمت بالاختلاف البلية؛ ولو تـركوا هلكوا فى أى واد سلكوا، والشريعة التى ما تـركت شـيئاً الا وذكـرت حـكمه، وقدرت حدّه، وعينت حقّه حتى أرش الخدش، وقصّ الشعر، و تقليم الاظـافر كيف يسوغ للعقول القبول بأنها قد أهملت هذا الامر العظيم، او فوضته الى اختيار الضعفاء القاصرين مهما كانت منزلتهم فى الدين، ومن ذلك ينفتح لك الطريق الى معرفة وجوب عصمة الامام، و ينضتح مغزى قوله تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾**؛[١] يا رسول الله ان لم تبلغ النص

---

(١) سورة ٥ آية: ٧٢.

على خليفتك بعدك فكأنك ما بلغت شيئا مما أرسلت به ، يعني اذا لم تبلغ ما أمرك الله به ، اذا لم تعيّن الامام فكل ما بلغته من الشرائع و الاحكام أعدام ، ولذا لا يقبل الله عملا بدون الولاية ، وهي الدعامة التي يستقر الايمان الاعليها.

ومنذ عرف الرسول ﷺ أنه قد أزف[1] رحيله من الدنيا لم يجد بداً من امتثال أمره تعالى لإكمال الدين و اتمام الرسالة ؛ وأداء واجب الوظيفة ورفع المسئولية فجمع المسلمين في غدير خم عند منصرفهم من حجة الوداع و كان الجمع ينيف او ينوف على الالوف ، فنص على عليّ عليه السلام وقال : من كنت مولاه فهذا على مولاه ، ويعني هذا بالواضح المكشوف ان الولاية التي كانت لي من الله هي لعليّ فعلا ويقوم بها من بعدي عملا ، وبعد أن انهى النبي ﷺ تلك الخطبة البليغة[2] دخل المسلمون بأجمعهم على عليّ عليه السلام وسلموا عليه بامرة المؤمنين وفيهم من قال له : بخ بخ لك يا على أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، و نظّم شاعر الاسلام و شاعر النبي ﷺ حسان تلك الواقعة بصورتها الصحيحة في أبيات مشهورة اولها:

يناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخم و أسمع بالنبي مناديا[3]

---

(١) ازف اى اقترب.

(٢) انظر الخطبة الشريفة في الاحتجاج للطبرسي(ره) و تفسير الصافي للعلامة الكاشاني(ره) و بحارالانوار ج ٩ = ص ٣٢٤ = ٣٢٨ ط امين الضرب.

(٣) و بعده قوله:

فقال: فمن مولاكم و نبيكم؟ ... فقالوا و لم يبدوا هناك التعاميا
الهك مولانا و انت نبينا ... ولم تلق منا في الولاية عاصيا
فقال له: قم يا على فانني ... رضيتك من بعدي اماماً و هاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه ... فكونوا له اتباع صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه ... و كن للذي عادا عليا معاديا

ولد حسان قبل مولد النبي ﷺ بثمان سنين و توفى سنة: (٥٥) او (٥٤) و لحسان ترجمة ضافية في

←

وفى هذا اليوم او ذلك اليوم اتجه ان يتنزل الوحى بقوله تعالى: اليوم أكملت لكم دينكم؛ ولولا ذلك لكان الدّين ناقصا غير كامل و لا يرتضى هذا النقص أى عاقل، و لايتجه أى معنى للآية بوجه من الوجوه بدون ذلك النص والنصب.

نعم قد كمل الدين و تمت النعمة من حيث التبليغ والرسالة و اتمام الحجة، أما من حيث التطبيق والعمل به من الامة فذاك شيء آخر لا أريدان أخوض فيه كى لا أخدش عاطفة او أمسّ كرامة طائفة، او أثير غبار جدل وخصومة ولكنى أختم كلمتى هذه المتواضعة التى جرت على سير القلم وعفو الخاطر، أختمها فى بيتين لشاعر أهل البيت فى الصدر الاول من الاسلام، حيث يقول فى احدى هاشمياته المشهورة:(١)

← الغدير للعلامة الكبير الشيخ عبدالحسين الامينى ج ٢، ص ٣٤ = ٦٥ و صار حسان عثمانيا بعد ما كان علويا و قال له الصحابى الكبير سيد الخزرج قيس بن سعد بن عبادة الانصارى: يا اعمى القلب و اعمى البصر و الله لولا ان ألقى بين رهطى و رهطك حربالضربت عنقك ثم اخرجه من عنده. انظر تاريخ الطبرى ٥ ـ ٢٣١ و شرح النهج لابن ابى الحديد، ج ٢، ص ٢٥.

(١) هو شاعر اهل البيت الطاهر و مادحهم و الصادع بالحق فى حقهم الكميت بن زيد الاسدى صاحب القصائد الهاشميات ولد سنة: ٦٠ و مات مقتولا شهيدا سنة: ١٢٦ هـ قوله: و يوم الدوح دوح...

مذكور فى الهاشميات بتفسير ابى رياش احمد بن ابراهيم القيس ص ١٥٢ ـ ١٥٣ طبع ليدن. و فى الغدير، ج ٢، ص ١٨٠ = ١٨٣.

قال الشيخ أبوالفتوح فى تفسيره ٢ ص ١٩٣: روى عن الكميت قال: رايت أميرالمؤمنين عليه السلام فى المنام فقال: انشدنى قصيدتك العينية فانشدته حتى انتهيت الى قولى فيها:

و يوم الدوح دوح غديرخم   أبان له الولاية لو اطيعا

فقال صلوات الله عليه: صدقت ثم انشد عليه السلام:

و لم ار مثل ذاك اليوم يوما   و لم ار مثله حقا اضيعا

و روى القاضى ابوالفتح الكراجكى رحمه الله فى كتابه القيم كنز الفوائد ص ١٥٤ باسناده عن هناد بن السرى قال: رايت اميرالمؤمنين على بن ابيطالب فى المنام فقال لى: يا هناد قلت: لبيك يا اميرالمؤمنين قال: انشدنى قول الكميت:

←

ويوم الدوح دوح غديرخم أبـان له الولايـة لو أطـيعا

ولكـــن الرجـــال تــبايعوها فلم أر مـثلها خـطراً مـبيعا

رفع الله درجاتنا أجمعين فى أعلى عـليين مـع النـبيين والصـديقين والشهـداء والصالحين و حسن اولئك رفيقا.

← و يوم الدوح دوح غدير خم....

قال فانشدته فقال لى: خذاليك يا هناد فقلت: هات يا سيدى فقال عليه السلام:

و لم أر مثل ذاك اليوم يوما و لم أر مثله حـقاً أضـعيا

٨

هل الخلفاء هم من أهل النار ؟

أنا شافعي المذهب ولكن صديق حميم لبعض الاثنى عشريين الاقحاح، نخوض بعض الأوقات في الخلافات المذهبية، وقد أخبروني أن أبابكر وعمر وعثمان وسائر العشرة المبشّرة بالجنة عندكم هم من أهل النار، أفيمكن هذا بعد ان قال الله في كتابه العزيز: **﴿ وَ السّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾**،[1] اليس هؤلاء هم السابقون الاولون من المهاجرين ؟ اوليس هم كذلك؟ وعمر بن الخطاب من الذين قال الله تعالى فيهم: **﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللّٰهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ ﴾**،[2] وأخبروني أنهم يلعنون أكثر الصحابة بدل أن يترحموا عليهم، فهذا هو حقنا لسلفنا ؟ أما قسّم الله المؤمنين الى ثلاث درجات المهاجرون: والانصار والذين جائوا من بعدهم ؟ وقد وصفهم بأنهم يقولون: **﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَ لِإِخْوانِنَا الَّذِينَ**

---

(١) سورة ٩ آية: ١٠١.

(٢) سورة ٤٨ آية: ١٩.

سَبَقُونٰا بِالْإِيمٰانِ وَ لاٰ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنٰا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنٰا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ ﴾(١) ما وصفهم بأنهم يقولون ربنا العن ـ فلانا وفلانا ـ ولاتمح فى قلوبنا غلاًّ.

الجواب:

اعلم أولاً وكن على يقين أن العقلاء والمهذّبين من الاثنى عشريين ليسوا بلعّانين و لاسبّابين، وان ائمتنا اهل البيت سلام الله عليهم حرّموا علينا السّب والشتم فنحن لانسبّ الخلفاء والصحابة المرضيين الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه، ولكن لابد لنافى الجواب أن نكشف لك الغطاء عن الحق الناصع والامر الواقع، ونـوضّح لك على وجه الاجمال والاشارة، ولاشك أنك حرّ والحرّ تكفيه الاشارة. والحق الذى لايسعك انكاره ولاشك انك تعرفه ويلزمك أن تعترف به هو ان الصحابة الذيـن صحبوا النبى من المهاجرين الذين هاجروا معه والانصار الذين نصروه ليس كلّهم مرضيّين ومشمولين بقوله تعالى: **﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ﴾**. ولا داخـلين فى اخواننا الذين سبقونا، والقرآن الكريم يفسّر بعضه بعضا ويدلّ بعضه على بعض، و يلزم ضمّ بعض الايات الى بعض حتى تتجلى الحقيقة ناصعة لامعة ولو كـان كـلّ الصحابة مرضيين قد رضى الله عنهم ورضوا عنه اذاً فأين محل قوله تعالى: **﴿ وَ مٰا مُحَمَّدٌ إِلاّٰ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مٰاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلىٰ أَعْقٰابِكُمْ ﴾**(٢) وليت شعرى وما أدرى ولعلّنى أدرى من هؤلاء الذين انقلبوا على أعقابهم؟ ومن المعلوم ان الاستفهام فى الاية انكارى، ومعناه ومورده ان يقع عمل من شخص او أشخاص فينكره المتكلم بصورة الاستفهام، ومعنى انكاره الاشارة الى انه عـمل منكر وشىء شنيع.

---

(١) سورة ٢ آية: ١١.

(٢) سورة ٣ آية: ١٤٤.

وأزيدك ايضاحاً ودلالة ودفعا لما عرضك من الشبهة ذاك أنه كما أن القرآن يفسّر بعضه بعضا كذلك السنة النبوية والاحاديث تفسر القرآن وتوضّحه وتشرحه، انظر صحيح البخارى الذى هو أصح كتب الحديث عند الشافعية وغير الشافعية من المذاهب الاربعة فانك تجد فيه وفى أخيه صحيح مسلم عدّة أحاديث عن رسول الله ﷺ مختلفة الاساليب متّحدة المعنى، ويأخذ بعضها بيد بعض، منها قوله ﷺ **انا فرطكم على الحوض ليرفعن الى رجال منكم ثم ليختلجن دونى فأقول أى رب أصحابى، فيقال انك لاتدرى ما أحدثوا بعدك، فيؤمر بهم الى النار، فأقول سحقاً سحقاً لمن غيّر وبدّل بعدى**؛ ويقول فى بعضها لاصحابه: **لاترجعوا بعدى كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**، ويقول فى حديث ما لفظه أو مضمونه: **يؤمر بجماعة من أصحابى الى النار، فأقول ما شأنهم؟ فيقال: انهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى**. وهذا الذى امليه عليك هومن مطالعاتى ومحفوظاتى قبل خمسين سنة ولافرصة حالا على تجديد المراجعة فراجع أنت اذا شئت حتى يتّضح لك جليا أن ليس كل الاصحاب ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه، وان الكثير والاكثر قد ارتدّوا بعد رسول الله ﷺ و انقلبوا على أعقابهم بنص القرآن والاحاديث النبوية من كتبكم انتم لامن كتب الشيعة الاثنى عشرية، واتخطّر انى أحصيت من الصحيحين البخارى ومسلم اكثر من عشرين حديثا بأسانيد متعددة وعبارات مختلفة كلّها تنص صريحا ان أكثر الاصحاب بعد رسول الله ﷺ غيّروا وبدّلوا، ورجعوا الى جاهليتهم الاولى، وارتدوا على ادبارهم وانقلبوا على أعقابهم؛ وما رضى الله عنهم و لارضوا عنه، واسخطوا الله و رسوله بأعمالهم راجع الصحيحين[١] تجد ذلك جلياً واضحاً.

---

(١) يأتى نصوص الروايات الواردة عن النبى ﷺ فى حق الصحابة نقلا عن الصحيحين فى تعاليقنا الملحقة بآخر الكتاب ان شاء الله تعالى.

ثم هب اننا أغمضنا النظر عن الكتاب والسنة وتلك الادلة الباهرة فلنرجع الى الحس والوجدان، فانه أقوى شاهد وبرهان، لنرجع الى الامر الواقع والقضية الراهنة، أرأيت لو وجدت شخصين يختصمان فى أمر معين حتى تبلغ بهما الخصومة الى حد أن يستحل أحدهما قتل الاخر فهل تجد بعقلك مالا للحكم بأن الحق مع كل واحد منهما؟ اى أن الحق فى جهتين متناقضتين فى السلب و الايجاب، كلا، فالحق لايتناقض والسلب والايجاب نقيضان، والنقيضان لايجتمعان كما لايرتفعان، أليس الخليفة عثمان منَ الصحابة المبرّزين و المهاجرين الاولين؟ أليس قد اجتمع على قتله أهل المدينة؟ وكلّهم او جلّهم من الصحابة بالضرورة، ومعهم جمع من رجال الاقطار الاسلامية، ثم قتلوه تلك القتلة الشنيعة، وقد قال رسول الله ﷺ فى حديث متواتر لايحل قتل المسلم الا بواحدة من ثلاث: ردّة عن ايمان، او زنيّة من احصان، اوقصاص فى قتل نفس محترمة، وأنا لا أدرى بأى واحدة من هذه الثلاث استحلوا قتل الخليفة، و لعل أهل المدينة أعلم وأدرى.

ثم أليس طلحة و الزبير من أخصّ أصحاب رسول الله ﷺ ومن المجاهدين السابقين و المهاجرين الأولين وسيف الزبير هو السيف الذى طالما كشف به الكرب من وجه رسول الله ؟ ثم ألم يخرجا على أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام ؟ وخدعا المرأة المسكينة عايشة أم المؤمنين التى تجمّلت ثم تبغّلت، وقد قتلا فى تلك الحرب الضروس، وما قتلا حتى قتل بسبب بغيهما على امام زمانهما الذى بايعاه ثم نكثا بيعته بغيا عليه، ما قتلا الا بعد أن قتل فى تلك الوقعة اكثر من عشرة آلاف قتيل تقريباً أو تحقيقاً، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي** ﴾[1] و ما أدرى هل

---

(١) سورة ٤٩ آية: ٩.

أن طلحة و الزبير (والهفي عليهما) هل هما من الذين عناهم رسول الله بقوله: **أرى جماعة من أصحابي يؤخذ بهم الى النار فأقول: رب أصحابي، فيقال لي: ما تدرى ما أحدثوا بعدك، انهم رجعوا القهقرى و ارتدوا بعدك.**

امّا معاوية الذى تعدّونه ايضا من الصحابة و بغيه على أميرالمؤمنين عليه‌السلام فى حرب صفين التى قتل فيها من الفريقين أكثر من عشرين ألف قتيل على ما خطر ببالى، فلا أعدها فى عداد تلك الحوادث لأن معاوية و أباه أباسفيان والحكم و ابنه مروان ما أسلموا ولا آمنوا بالله طرفة عين لاقبل الفتح ولا بعده وانما دخلوا فى صورة الاسلام لهدم دعائم الاسلام، وقد قتل معاوية غير من قتله من المسلمين فى صفّين خيرة الرجال من الصحابة كعمرو بن الحمق[1] وحجر بن عدى وأصحابه العشرة قتلهم صبراً وظلماً وعدوانا، وفظايع معاوية ومحاربته لله ولرسوله، وقتله لريحانتى رسول الله الحسن و الحسين أكثر من ان تحصى وتعد، وهو عندكم صحابى من الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه فان كان هذا هو الاسلام فعلى الاسلام السلام؛ والبقاء على الكفر خير من هذا الاسلام اى اسلام معاوية وأبى‌سفيان والحكم ومروان الوزغ ابن الوزغ كما قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وعلى كل فلا أحسب الآن الحق

---

(١) عمرو بن الحمق الخزاعى صحابى جليل فى غاية الجلالة و الوثاقة من اصفياء أميرالمؤمنين عليه‌السلام و خواصه وصاحب اسراره، سقى النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله: اللهم امتعه بشبابه فمرت عليه ثمانون سنة لاترى فى لحينته شعرة بيضاء علمه اميرالمؤمنين عليه‌السلام اسم الله الاعظم وقال سيد الشهداء عليه‌السلام فى كتابه الى معاوية: «او لست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله العبد الصالح الذى ابلته العبادة فنحل جسمه و صفرلونه» و رأسه اول راس حمل فى الاسلام و شهروه على قناة الى معاوية.
الحمق بالحاء المهملة المفتوحة والميم المكسورة والقاف خفيف اللحية.
انظر تنقيح المقال، اسدالغابة، الغدير، ج ١١ رجال الكشى.
حجر بن عدى الكندى الصحابى جلالته اشهر من ان يحيط بها القلم ويجرى عليها الرقم من جلة الشهداء الاحرار المجاهرين بالحق والصادعين بمحبة اميرالمؤمنين عليه‌السلام قتله معاوية سنة: (٥١) او (٥٣) هانظر تنقيح المقال و اسدالغاية و غيرهما.

قد تجلّى لديك وسطعت شمس الحقيقة عليك والكناية أبلغ من التصريح.[١]

ويشهدالله والمسلمون انى أكره الخوض فى هذه المكربات التى تثير الدفائن، و تنثر بذور الضغائن فى صدور طوائف المسلمين ولكن الحاحك فى طلب الجواب بعثنى الى تحرير هذه الكلمة على جرى القلم وعفو الخاطر، وكره منّى، وليس هذا من خطتى وخطواتى وأنا مذخمسين سنة أدعوالى توحيد كلمة المسلمين ونبذ الشحناء والبغضاء، والاعتصام بحبل الله المتين من الالفة وعدم الفرقة، والاخذ بالاخوة التى عقدها القرآن بين المسلمين، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[٢]: ويشهد لذلك مؤلفاتى كمقدمة «أصل الشيعة» الذى طبع زهاء عشر طبعات وترجم الى عدة لغات وغيرها، ولكنى وجدتك قد أحرجتنى وهددتنى بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الْهُدَىٰ ﴾[٣] ولم أجد بداً لرفع

(١) يوضح هذا الجواب ردقيس بن سعد الانصارى على النعمان بن بشير الانصارى فى صفين عندما دعاه الى اللحقوق بمعاوية قائلا: والله ما كنت اراك يا نعمان تجترى، على هذا المقام.
اما المنصف المحق فلاينصح اخاه من غش نفسه، وانت والله الغاش لنفسه المبطل فيما انتصح غيره، اما ذكر عثمان فان كان الانجاز يكفيك فخذه: قتل عثمان من لست خيرا منه وخذله من هو خير منك، واما اصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث، واما معاوية فلو اجتمعت العرب على بيعته لقاتلتهم الانصار، واما قولك انا لسنا كالناس فنحن فى هذه الحرب كما كنا مع رسول الله ﷺ نلتقى السيوف بوجوهنا و الرماح بنحورنا حتى جاء الحق وظهر امرالله وهم كارهون، ولكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية الا طليقا اعرابيا او يمانيا مستدرجا، وانظر اين المهاجرون والانصار والتابعون باحسان الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه. انظر كتاب (الامامة والسياسة لابن قتيبة) الذى اثبتنا من تأليفات ابن قتيبة فى مقالنا الضافى المنتشر فى مجلة (العرفان) المجلد ٤٣، ج ٥، ص ٥٠٨ واجبنا جوابا تحليليا عن الاشكالات الواهية التى اوردها الاستاذ احمد صقر المصرى فى مقدمة «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ص ٢٧ ط مصر. حققنا ان كل ما ذكره تبعاً وتقليداً لبعض المستشرقين فى نفى ذلك الكتاب عن ابن قتيبة كذب واختلاق فراجع وطالع مقالنا مع امعان النظر.

(٢) سورة ٤٩ آية: ١٠.

(٣) سورة ٢ آية: ١٥٩.

المسؤلية من الاشارة الى طرف من الواقع. ان لم يكن الحق كله فناحية من نواحيه، ولعلها تلق ضوئها الصاحى على سائر ضواحيه؛ وأختم كلمتى هذه بكلمة وجيزة لجدى الاعلى الشيخ جعفر الكبير صاحب كتاب كشف الغطاء (قده) حيث يقول فى خاتمة كلام له: أخضر أحوال القوم بين يديك وتوجه للنظر فيها بكلتى عينيك وتفكر فى الفروع والايقاع لتعلم حال الاصول وينقطع النزاع، لعل البصرة تبصرك وجملها ينذرك، وصفين تصفيك؛ وكربلا والكوفة تكفيك. واختلاف ذات البين وحصول الشقاق فى الجانبين أبين شاهد على أن الحق فى جانب واحد، وان الحكم بحقّية الطرفين اعتقاد فاسد (انتهى) وأقول، ﴿ إِنَّكَ لاٰ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ ﴾[1] سبحانك ﴿ رَبَّنٰا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنٰا وَ إِلَيْكَ أَنَبْنٰا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾.[2]

(١) سورة ٢٨ آية: ٥٦.

(٢) سورة ٦٠ آية: ٤.

۹

فاطمة الزهراء عليها السلام

طفحت و استفاضت كتب الشيعة من صدر الاسلام والقرن الاول: مثل كتاب سليم بن قيس[1] ومن بعده الى القرن الحاد يعشر وما بعده بل والى يومنا كل كتب

---

(١) كتاب جليل معتمد صنفه سليم بن قيس الهلالى المتوفى حدود سنة: (٩٠) هـ من اولياء اميرالمؤمنين عليه السلام و صاحبه ومن خواصه.

وكتابه من الاصول الشهيرة المعتمدة عند الخاصة والعامة قال الامام الكبير النعمانى رحمه الله فى كتاب الغيبة ما هذا لفظه: وليس بين جميع الشيعة ممن حمل العلم ورواه عن الائمة عليهم السلام خلاف فى ان كتاب سليم بن قيس الهلالى أصل من اكبر كتب الاصول التى رواها اهل العلم وحملة حديث اهل البيت عليهم السلام واقدمها لان جميع ما اشتمل عليه الاصل انما هو من رسول الله صلى الله عليه وآله واميرالمؤمنين عليه السلام والمقداد وسلمان الفارسى وابى ذرو من جرى مجراهم ممن شهد رسول الله صلى الله عليه وآله واميرالمؤمنين عليه السلام وسمع منهما وهو من الاصول التى ترجع الشيعة اليها و تعول عليها (ا هـ).

وقال ابن النديم فى الفهرست: هو اول كتاب ظهر للشيعة. ومراده انه اول كتاب ظهر فيه امر الشيعة كما اشير اليه فى الحديث المروى عن الامام الصادق عليه السلام فى توصيفه بانه ابجد الشيعة قال عليه السلام: **من لم يكن عنده من شيعتنا ومحبينا كتاب سليم بن قيس الهلالى فليس عنده من امرنا شيء ولايعلم من اسبابنا شيئا وهو ابجد الشيعة وهو سرمن آل محمّد صلى الله عليه وآله.**

و قال القاضى بدرالدين السبكى المتوفى سنة: (٧٦٩) هـ فى كتابه محاسن الوسائل فى معرفة الاوائل: ان اول كتاب صنف للشيعة هو كتاب سليم بن قيس الهلالى (ا هـ) ولكن القارىء العزيز خبير ان كتاب

←

الشيعة التي عنيت بأجوال الائمة، وأبيهم الاية الكبرى وأمّهم الصدّيقة الزهراء صلوات الله عليهم أجمعين، وكل من ترجم لهم وألّف كتابا فيهم، أطبقت كلمتهم تقريبا او تحقيقا في ذكر مصائب تلك البضعة الطاهرة: انها بعد رحلة أبيها المصطفى ضرب الظالمون وجهها و لطموا خدّها، حتى احمرّت عينها وتناثر قرطها، و عصرت بالباب حتى كسر ضلعها، واسقطت جنينها، وماتت وفي عضدها كالدملج، ثم أخذ شعراء أهل البيت سلام الله عليهم هذه القضايا والرزايا، ونظّموها في أشعارهم ومراثيهم وأرسلوها ارسال المسلمات: من الكميت[١] والسيد الحميري[٢] ودعبل الخزاعي[٣] والنميري[٤] والسلامي[٥] و ديك الجن[٦] ومن بعدهم ومن قبلهم الى هذا العصر، وتوسّع أعاظم شعراء الشيعة في القرن الثالث عشر والرابع عشر الذي نحن فيه، كالخطي[٧] والكعبي[٨] والكوازين.[٩]

← السنن تصنيف ابى رافع المتوفى في العشر الخامس الذى اشترى معاوية داره بعد موته هو مقدم عادة على تصنيف سليم المتوفى سنة: (٩٠).

(١) الكميت الاسدى شاعر اهل البيت عليهم السلام وخطيب بنى اسد وفقيه الشيعة توفى (١٢٦) هـ

(٢) السيد الحميرى اسماعيل بن محمّد سيد الشعراء له شهرة طائلة وفضائل جمّة توفى ببغداد (١٧٩ هـ

(٣) دعبل بن على الخزاعى من مشاهير شعراء اهل البيت عليهم السلام صنف كتاب طبقات الشعراء توفى (٢٤٥) هـ

(٤) النمرى منصور بن سلمة الزبرقان الشاعر الجزرى البغدادى شاعر اهل البيت عليهم السلام ومادحهم فى ستار التقية توفى (٢١٠) هـ

(٥) محمّد بن عبدالله السلامى البغدادى الشهير من أشعر شعراء العراق قال الشعر وهو ابن عشر سنين فى المكتب توفى (٣٩٣) هـ

(٦) عبدالسلام الملقب بديك الجن استاد ابى تمام ولقيه أبونواس فى «حمص» لانه لم يخرج منها فلم يذهب للعراق ولا لغيرها من الاقطار توفى (٢٣٦) هـ

(٧) راجع ترجمتهما فى شعراء الغرى للشيخ على الخاقانى النجفى صاحب «مجلة البيان» الصادرة فى النجف الاشرف.

(٨) راجع ترجمتهما فى شعراء الغرى للشيخ على الخاقانى النجفى صاحب «مجلة البيان» الصادرة فى النجف الاشرف.

(٩) الشيخ حمادى الكواز توفى (١٢٨٣) هولم يتجاوز عمره (٣٨) سنة واخيه الشيخ صالح المواز ←

وآل السيد مهدى الحلّيين(١) وغيرهم ممن يعسر تعدادهم، ويفوت الحصر جمعهم و آحادهم، وكل تلك الفجائع والفضائع وان كانت فى غاية الفظاعة والشناعة ومن موجبات الوحشة والدهشة ولكن يمكن للعقل ان يجوزها وللاذهان والوجدان ان يستسيغها، وللافكار ان تقيلها و تهضمها، ولاسيما وان القوم قد اقترفوا فى قضية الخلافة وغصب المنصب الالهى من أهله ما يعد أعظم وأفظع.

ولكن قضية ضرب الزهراء ولطم خدّها مما لايكاد يقبله وجدانى و يتقبله عقلى، ويقتنع به مشاعرى، لالأن القوم يتحرجون ويتورعون من هذه الجرأة العظيمة، بل لان السجايا العربية والتقاليد الجاهلية التى ركزتها الشريعة الاسلامية وزادتها تأييداً و تأكيداً تمنع بشدة أن تضرب المرأة أو تمد اليها يدسوء، حتى أن فى بعض كلمات أميرالمؤمنين عليه السلام ما معناه: أن الرجل كان فى الجاهلية اذا ضرب المرأة يبقى ذلك عاراً فى أعقابه ونسله.

ويدلّك على تركّز هذه الركيزة بل الغريزة فى المسلمين وأنها لم تفلت من أيديهم وان فلت منهم الاسلام: أن ابن زياد و هو من تعرّف فى الجرأة على الله و انتهاك حرماته لما فضحته الحوراء زينب عليها السلام، وأفلجته و صيّرته أحقر من نملة، وأقذر من قملة، وقالت له ثكلتك أمك يا ابن مرجانة، فاستشاط غضبا من ذكر أمه التى يعرف أنها من ذوات الاعلام، وهمّ أن يضربها، فقال له عمرو بن حريث وهو من رؤوس الخوارج و ضروسها انها امرأة لاتؤاخذ بشىء من منطقها، فاذا كان ابن مرجانة امتنع من ضرب العقيلة خوف العار و الشنار وكلّه عار و شنار، و بؤرة

← توفى (١٢٩٠) هو عمره (٥٧) سنة ونجله الاصغر الشيخ عبدالحسين الكواز ابن الشيخ صالح المذكور توفى حوالى سنة: (١٢٩٥) هو هو ابن نيف وعشرين سنة تقريبا.

انظر البابليات، ج ٢، ص ٥٨ ـ ٨٧ ـ ١٠٨ للشيخ محمّد على اليعقوبى الخطيب.

(١) انظر الى تراجمهم فى البابليات للخطيب الشيخ محمّد على اليعقوبى رحمه الله.

عهار مع بعد العهد من النبي ﷺ فكيف لايمتنع اصحاب النبي ﷺ مع قرب العهد به من ضرب عزيزته، وكيف يقتحمون هذه العقبة الكؤود ولو كانوا أعتى وأعدى من عاد و ثمود. ولو فعلوا او همّوا أن يفعلوا أما كان فى المهاجرين والانصار مثل عمروبن حريث فيمنعهم من مدّ اليد الاثيمة، وارتكاب تلك الجريمة، ولا يقاس هذا بما ارتكبوه و اقترفوه فى حق بعلها سلام الله عليه ـ من العظائم حتى قادوه كالفحل المخشوش فان الرجال قدتنال من الرجال ما لاتناله من النساء.

كيف والزهراء سلام الله عليها شابّة بنت ثمانية عشر سنة، لم تبلغ مبالغ النساء واذاكان فى ضرب المرأة عار وشناعة فضرب الفتاة أشنع وأفظع، ويزيدك يقينا بما أقول أنها ـ و لها المجد والشرف ـ ما ذكرت ولاأشارت الى ذلك فى شيء من خطبها[1] ومقالاتها المتضمنة لتظلمها من القوم وسوء صنيعهم معها مثل خطبتها الباهرة الطويلة التى ألقتها فى المسجد على المهاجرين والانصار، و كلماتها مع اميرالمؤمنين عليه السلام بعد رجوعها من المسجد؛ وكانت ثائرة متأثرة أشد التأثر حتى

(١) لعل عدم اشارة الصديقة الطاهرة سلام الله عليها الى اعمال القوم من الضرب واللطم وكذا عدم اشارة اميرالمؤمنين عليه السلام الى تلك الاعمال الصادرة منهم فى حق الزهراء البتول عليها السلام انما هو من جهة عدم الاعتناء لما صدر منهم من تلك الاعمال الرذيلة فان الاكابر والاعاظم من الرجال فضلا عمن هو فى مقام العصمة والولاية لايعبأون بما يصدر من الاراذل والاخسة فى حقهم من الوهن وعدم رعاية الاحترام بمثل الضرب واللطم فان تلك الاشخاص فى انظارهم المقدسة كالانعام بل هم اضل، فهل ترى ان حيوانا اذا ركض شخصاً جليلا ان يقابله بمثل عمله وسوء صنيعه؟ أو يأتى هذا الشخص الى حشد من الناس واندية قوم شاكيا من عمل هذا الحيوان؟ بل اذا خاطبهم الجاهلون بالاقوال الشائنة والافعال الشنيعة كالضرب واللطم والشتم وامثالها مروا كراما وقالوا سلاما وكان عدم اشارة اميرالمؤمنين عليه السلام وكذا الصديقة الطاهرة عليها السلام الى اعمال القوم لهذه العلة، واما شكواها من غصب الخلافة وغصب فدك فان لهذين الامرين من الاهمية والاعتناء ما ليست لغيرهما.
وقضية مالك الاشتر و سخرية رجل و وهنه عيه وعدم اعتنائه له معروفة فماظنك بسيده وسيد الموحدين اميرالمؤمنين عليه السلام وسيدة نساء العالمين عليها السلام ولكن شيخنا الاستاذ رحمه الله هو اعرف وابصر بما جادت به يراعته الشريفة، عليه من الله تعالى شآبيب الرحمة.

خرجت عن حدود الآداب التى لم تخرج من حظيرتها مدة عمرها، فقالت له: يا ابن ابيطالب افترست الذئاب وافترشت التراب ـ الى ان قالت: هذا ابن ابى فلانة يبتزنى نحلة أبى وبلغة ابنى، لقد أجهد فى كلامى، والفيته الالد فى خصامى، ولم تقل أنه او صاحبه ضربنى، او مدّت يد الىّ وكذلك فى كلماتها مع نساء المهاجرين والانصار بعد سؤالهن كيف أصبحت يابنت رسول الله؟ فقالت: اصبحت والله عائفة الدنيا كن، قالية لرجالكن، ولا اشارة فيها الى شيء من ضربة او لطمة، وانما تشكو أعظم صدمة وهى غصب فدك واعظم منها غصب الخلافة وتقديم من أخّر الله وتأخير من قدّم الله، وكلّ شكواها كانت تنحصر فى هذين الامرين وكذلك كلمات اميرالمؤمنين عليه السلام بعد دفنها، و تهيّج أشجانه وبلابل صدره لفراقها ذلك الفراق المؤلم، حيث توجه الى قبر النبى صلى الله عليه وآله قائلا: السلام عليك يا رسول الله عنّى وعن ابنتك النازلة فى جوارك الى آخر كلماته[1] التى ينصدع لها الصخر الاصم لو وعاها، وليس فيها اشارة الى الضرب واللطم ولكنه الظلم الفظيع والامتهان الذريع، ولو كان شيء من ذلك لأشار اليه سلام الله عليه، لان الأمر يقتضى ذكره ولايقبل ستره، ودعوى أنها أخفته عنه ساقطة بأن ضربة الوجه ولطمة العين لايمكن اخفاؤها.

وأما قضية قنفذو أن الرجل لم يصادر أمواله كما صنع مع سائر ولاته وأمرائه وقول الامام عليه السلام: انه شكر له ضربته فلا أمنع من أنه ضربها بسوطه من وراء الرداء وانما الذى استبعده او أمنعه هو لطمة الوجه وقنفذ ليس ممن يخشى العارلو ضربها من وراء الثياب او على عضدها[2] و بالجملة فانّ وجه فاطمة الزهراء هو

---

(١) نقلها سيدنا الرضى رحمه الله فى نهج البلاغة فراجع.

(٢) يظهر من هذا الكلام ان مراد شيخنا الامام رحمه الله من اول هذا المقال الى آخره هو استبعاد ان تصل يد

←

وجه الله المصون الذى لايهان و لايهون و يغشى نوره العيون ، فسلام الله عليك يا أم الائمة الاطهار ما اظلم الليل و أضاء النهار ، وجعلنا الله من شيعتك الابـرار ، و حشرنا معك ومع ابيك و بنيك فى دار القرار.

← أثيمة من أجنبى الى بدن الصديقة الطاهرة و وجهها سلام الله عليها بالضرب واللطم وهذا الاستبعاد فى محله فانه لايمكن ان يصل يداجنبى الى بدنها قطعاً واما الضرب من وراء الثياب والرداء فلا استبعاد فى ذلك فى نظره رحمه الله كيف وقد طفحت واستفاضت كتب الشيعة مـن صـدر السـلام الى اليـوم واطبقت كلمتهم أنها ضربت بعد ابيها حتى كسر ضلعها و اسقطت جنينها وماتت و فى عضدها كالدملج.
و وافقهم على هذا الرأى كبير علماء المعتزلة ورئيسهم ابراهيم بن سيار البـصرى المـعروف بـالنظام المتوفى(٢٢١) هاستاذ الجاحظ ، قال: (كما فى الجزء الاول من كتاب الملل والنحل للشهرستانى ، ص ٧٧، ط مصر ١٣٦٨ ه) ما هذا لفظه: ان عمر ضرب بطن فاطمة عليها السلام يوم البيعة حتى القت المحسن من بطنها وكان يصيح احرقوا الدار بمن فيها وماكان فى الدار غير على وفاطمة والحسن والحسين. (ا ه)
وهكذا نقله عنه صلاح الدين الصفدى فى الوافى بالوفيات كما فى العبقات للعلامة السيد حامد حسين الهندى ﷺ.
و قال المورخ الكبير على بن الحسين المسعودى ﷺ فى كتابه «اثبات الوصية» ما هـذا لفـظه : اقـام اميرالمؤمنين عليه السلام ومن معه من شيعته فى منزله بما عهد اليه رسول الله صلى الله عليه وآله فوجهوا الى منزله فهجموا عليه ، وأحرقوا بابه واستخرجوه منه كرها ، وضغطوا سيدة النساء بالباب حتى اسقطت محسنا وأخذوه بالبيعة فامتنع وقال لاافعل فقالوا نقتلك فقال ان تقتلونى فانى عبدالله واخو رسول الله و بسطوا يـده فقبضها ،و عسر عليهم فتحها فمسحوا عليها وهى مضمومة (ا ه) انـظر ص ١٢١ = ١٢٢ط النـجف.
وصريح قول المسعودى ﷺ : وبسطوا يده فقبضها ...
أن الامام اميرالمؤمنين عليه السلام لم يبايع أبابكر فما يلهج به بعض الجهال من النواصب أن الامام عليه السلام بايع الثلاثة فهو من الاغلاط فانه ان اراد الرضا والتسليم والبيعة حقيقة فلم يبايع اميرالمؤمنين عليه السلام ألبتة بهذا المعنى على وجه من الوجوه فعلى من ادعى ذلك اثباته ولا دليل له ، وان اراد بالبيعة اظـهار السـلم مراعاة لمصلحة الاسلام والمسلمين وخوفاً على نفسه وأهله مع عدم الاعوان ولكن مع مطل شديد وتقاعد طويل علمهما الخاص والعام ممن روى السير فذلك مما وقع منه عليه السلام ولاضير فى ذلك كما وقد حقق المطلب علمائنا الاكابر فى كتب الكلام فراجع الى الشافى للسيد ﷺ والى تلخيصه للشـيخ ﷺ حتى تجد المطلب واضحاً مكشوفاً ولايعبأ بأقوال الجهال من أعداء اهل البيت الطـاهر عليهم السلام حـيث يذكرون أمثال هذه المطالب التى أجاب علمائنا عنها قديماً وحديثاً ، فأى فائدة فى تكرارها.

﴿ ١٠ ﴾

عليٌّ عليه السلام فوق العبقريات

شاع فى هذه العصور الاخيرة بين حملة الاقلام و المؤلفين فى أرض الكنانة انتاج مؤلفات تنشر بعنوان (العبقريات) أى عبقرية كبير من رجالات الصدر الاول فى الاسلام، فهذا عبقرية الخليفة الاول، و ذاك عبقرية الثانى وهكذا، وفى غضون هذه المحاولات او الحالات وردتنى برقية مفصلة من جماعة من شخصيات ممن لهم مكانة فى العاصمة يندبونى فيها أحرّ ندبة الى تأليف كتاب فى عبقرية الامام (على بن ابيطالب) سلام الله عليه؛ و يتعهدون بنشره من فوره، فكتبت اليهم معتذراً بأنى لم أجد فى نفسى كفاية لايفاء هذا الموضوع حقه، وما كانت القضية قضية اعتذار ومدافعة بل هى حقيقة راهنة، وقضية مبرهنة فان الكتابة عن عبقرية شخصية بارزة كالخليفة الاول او الثانى أمر ممكن، وموضوع قريب التناول، ليس بينك و بينه الا أن تراجع كتب التاريخ، وهى على طرف التمام منك فتذكر فتوحهم وخدماتهم للاسلام، كحرب أهل الردّة، وتنفيذ جيش أسامة، وتجهيز الجيوش الى حروب القادسية والشام و ما الى ذلك: أما الكتابة عن شخصية كعلى بن أبى طالب عليه السلام الذى لاتعد مناقبه، ولاتحصى فضائله بل لو أراد الكاتب مهما كان

ان يكتب فى كل واحدة من مزاياه و خصائصه مؤلفا ضخما لما استطاع أن يوفيها حقها، ويستوفى جميع خصوصياتها، انظر مثلا الى شجاعته و مواقفه فى سبيل الدعوة الى الاسلام و تضحياته العظمى وهو ابن عشرين أودونها.

أنظر كيف اشتبك مع مشاهير الفرسان، وبارز جمهرة الابطال الذين يعد واحدهم بألف، فغلبهم وسقاهم الحتف، وهو يومئذ غلام لم يمارس الحروب. ولم يتمرّن على التقحم فى لهوات المنايا؛ وقد سارت بل صارت وقائعه؛ وفوزه الباهر فى بدر وأحد وحنين والاحزاب وما اليها، نعم سارت مسير الامثال ولاحاجة الى ذكره، ولكن لو أراد الكاتب مهما كان مطلعا و مضطلعا بالكتابة، وما لكا أعنة البيان أن يستوفى خصوصيات هذه الشجاعة من صبى نشأ وتربى فى بيت أبيه شيخ البطحاء أبى طالب، وفى حجر ابن عمه محمّد ﷺ، ربيب نعمة، وفى ظل راحة ودعة، لم ينشأ فى الصحارى والقفار والبيداء ولم يتعلّم الفروسية وتقحم الهيجاء، فمن اين أخذ هذه الدروس؟ وكيف استطاع التغلب على تلك النفوس؟ نعم لو اراد الكاتب تحليل هذه القضية المعمّاة، واستكناه أسرارها وبواعثها وتطبيقها على مجارى العادة نكص حائراً ووقف مبهوتا، دع عنك صفين والجمل والنهروان وهو شيخ كبير قد لهزه القتير[1] فلم يختلف حاله فى الشجاعة والبسالة بين ابان صباه وهو ابن العشرين وبينها وقد جاز عتبة الستّين، وهكذا لوأراد ان يكتب عن بلاغته، و معجز يراعته فى كلماته القصار، والجمل الصغار فضلا عن خطبه الطوال كالقاصعة والاشباح والملاحم، وخطبه فى وصف الطاووس والخفاش وأمثالها.

نعم لو أردت ان تدفع الكاتب الى ان يكتب عن بلاغة «نهج البلاغة» فقد

---

(١) القتير اول الشيب، ولهزه خالطه والمعنى خالطه الشيب. (الفقيد الامام)

يهـون عليه قلع كل واحد من أضراسه دون ان يتسلّق هذه العقبة الكؤود وهكذا كل واحدة من مزاياه و خصائصه التى اختصّ بها، ولم يشـاركه أحـد فـيها مـن الكبراء فى صدرالاسلام: مثل سبقه الى الاسلام، وعدم سجوده لصنم، وما عـبد غيرالله جل شأنه، ولاشرب خمراً فى جاهلية ولا اسلام، أما لو ضربت بفكرك الى زهده و عزوفه عن الدنيا جراب سويق الشعير الذى يحـدثنا عـنه الاحـنف بـن قيس[1] حين وصفه لمعاوية سويق الشعير الجاف بنخالته الذى عاش عليه طيلة حياته وهو خليفة المسلمين، واميرالمؤمنين، والاموال تجبى اليه من خراسـان الى الكوفة؛ و هو يقول: ألاوان امامكم قد اكتفى من دنـياه بـطمريه، و مـن طـعمه بقرصيه؛ فوالله ماكنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفرا، ولا أعددت لبالى ثوبى طمراً.[2] فهل يستطيع المتبحّر والمتحرى أن يأتينا بشخص منذعرفت الدنيا نفسها، و عرفها أهلها، يحوى واحدة من هذه الصفات بتلك الخصوصيات وهذا الذى ذكرناه قطرة من بحر ولحظة من دهر،[3] وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه:

---

(١) أحنف بن قيس أبو بحر التميمى السعدى البصرى تابعى كبير من العلماء الحكماء ولد فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يصحبه قال ابن الاثير: انه كان أحد الحكماء الدهات العقلاء (اهـ).
وكان لجلالته اذا دخل المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة لاتبقى حبوة الا حلت اعـظاما له شـهد صفين مع أميرالمؤمنين عليه السلام وبقى بعده الى زمان تولى مصعب بن الزبير على العراق وتـوفى بـالكوفة سنة: (٦٧) هـ
أنظر الى تنقيح المقال، والكنى والالقاب للمحدث القمى(ره) وأسد الغابة وغيرها.

(٢) ذكر اميرالمؤمنين عليه السلام هذه الكلمات النيرة فى كتاب له عليه السلام الى عثمان بـن حـنيف الانـصارى وهـو عامله على البصرة وقد بلغه انه دعى الى وليمة قوم من اهلها فمضى اليها. انظر الى نهج البلاغة، الطمر ـبالكسر ـالثوب الخلق.

(٣) وقد وصف ضرار بن ضمرة الكنانى أميرالمؤمنين عليه السلام فى مجلس معاوية حين مـادخل ضـرار عـليه فقال له: صف لى عليا فقال له: أوتعفينى؟ فقال: لاأعفيك. قال: اما اذ لابد فانه كان بعيدا لمدى شديد القوى يقول فصلا،

←

يا على ما عرف الله الّا أنا وأنت ؛ وما عَرَفَنا الّا الله.

وعلى افتنان الواصفين بوصفه　　يفنى الزمان و فيه ما لم يوصف

وان كان أعلى منه درجة او درجات، ولكن عليٌّ ﷺ الذات المترفعة عن أفق البشرية المتصلة بالعوالم الملكوتية فليست هى من ذوات العبقريان بل تجدها مشابهة للانبياء، فوق المخلوق دون الخالق، فلا يستطيع بشر أن يدركها او يأتى على خصوصيات مزاياها الا بمقدار ما يرى الناظر المتطلع الى أسمى كوكب فى وسط السماء لايبصر منه سوى ضوئه، ولايعرف شيئا من حقيقته وكنهه وباقى مزاياه، فعبقرية على بن ابى طالب ﷺ عبقرية روحانية ربوبية لاعبقرية بشرية، فلا يستطيع البشر أن يتطرقها ويحيط الا بالحواشي والوتوش[1] منها. فانها خارجة عن مقايس العقول ومدارك أفهام الانام، فيا ايها الناس لاتظلموا عليا ﷺ وهو فى الدار الأخرى كما ظلمه أسلافكم يوم كان فى هذه الدار الدنيا، ولو لم يكن له الّا قوله: ما هلك امرء عرف قدره وقيمة كل امرء ما يحسنه، و قوله: الظلم مودع فى النفوس: القوة تبديه و العجز يخفيه؛ لكفى. و هذه شعاعة من انواره الساطعة وأثماره اليانعة وكلمة الختام أن علياً ـ وعلى ذكره آلاف التحية والسلام ـ فوق العبقريات ولايقاس بمقاييس العقول.

← ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة نواحيه (عن لسانه) يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة. يقلب كفيه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن (جشب) كان والله كاحدنا يدنينا اذا أتيناه، ويجيبنا اذا سألناه، وكان مع تقربه الينا وقربه منا لانكلمه هيبة له فان تبسم فعن مثل لؤلؤ منظوم، يعظم اهل الدين، ويحب المساكين، لايطمع القوى فى باطله، ولاييأس الضعيف من عدله... الخ.

انظر نهاية الارب لشهاب الدين احمد بن عبدالوهاب النويرى، ج ٣، ص ١٧٦ ط مصر، وروى هذه القصة بتمامها العلامة الكراجكى ﷺ باسناده فى كتابه القيم «كنزالفوائد» ص ٢٧٠ ط تبريز فراجع.

(١) الوتش القليل من كل شيء.

امــام الهــدى هـل أبـدع الله آيـة لـمعناه أسمــى منك شأنـا وأشمـخا
كم استصرخ الاسلام يدعو فلم يجد لصرخــته الا حســامك مــصرخـا
وكم شاد للتوحيد عرشا مـن الهـدى وهــد عــروش المــشركين ودوخـا
وهل فاح للاصحاب نـشر ولم يكـن بــديع مــزايــاك العبير المضمخا
ولو وجــد المخــتار مـثلك فـيهم لمـا اختـار أن تـغدوله دونهـم أخـا
فمــن ذا الذى قــدذب عـنه بسيفه ومن ذا الذى بالنفس من دونه سخا
لذااخــتصه يــوم الغــدير بــرتبة ذووا الغدر فيها كـيدهم قـد تـفسخا
بها عـقد البـارى عـلى الخـلق بـيعة الى الحــشر لاتــزداد الا تــرسخا
فأصــبح مــولى المؤمنين وعـندها أتى نحــوه الثــانى (فـحيا وبخـبخا)
وسرعـان مـاخفوا لنـقض عـهدوهم فـيالك مـن عـهد مـع الغـدر أرخـا
وقد تنسخ الايام فـضلا لذى حـجى وفــضلك يأبى أن يــزول ويـنسخا
فــان حــاولوا ان يـنقصوك قـلامة على رغـمهم تـزداد بـالفخر فـرسخا
نــبوة حــق عــاضدتها امــامة ولكــن بــوحدانــية الحــق أرخـا
فيا (جنة الفـردوس) حسبك جـنة مـن النـاران حـط العـذاب ونـوخا
فأنت امـام الحـق ان ضـلت الورى وأنت الرخـا للـخلق ان اعـوزالرخـا

﴾ ١١ ﴿

يوم التاسع من ربيع الأوّل

أخبرونا عن أيام الربيع العشرة المنسوبة الى فرحة الزهراء سلام الله عليها و متى فرحت والرجل طعن في اليوم السادس والعشرين من ذى الحجة، ومات يوم التاسع والعشرين منه وذلك بعد وفاتها فكيف فرحت ؟

الجواب

ان المعروف عند كثير من الشيعة من قديم الزمان ان هذه الايام أيام فرح وسرور، كما ذكر ذلك السيد ابن طاووس في الاقبال حيث قال: وجدنا جماعة من العجم والاخوان يعظمون السرور في هذا اليوم اى اليوم التاسع من ربيع ويذكرون انه يوم هلاك كذا، و أشار الى الرواية الضعيفة المنسوبة الى الصدوق وقال السيّد رضوان الله عليه: لم أجد رواية يعتمد عليها تؤيد تلك الرواية، ولكن لعل فرح الشيعة بذلك اليوم من جهة ان الامام الحسن العسكرى سلام الله عليه توفّي على أصح الروايات يوم الثامن من ربيع الاول ويكون يوم التاسع أول يوم من امامة الحجة عجل الله فرجه، فينبغى أن يتخذه المؤمنون عيداً كما يتخذ الناس أيام

جلوس ملوكهم عيداً، ثم ذكر بعض التوجيهات لاحتمال كون قتل الرجل فى ربيع وكلّها فى غاية البعد، انتهى ما أفاده قدس سره مع شرح و توضيح منا.

وأقول ايضا ويحتمل أن يكون سبب فرحة الزهراء سلام الله عليها هو أن اليوم التاسع والعاشر من ربيع الاول هو يوم اقتران ابيها رسول الله صلى الله عليه وآله سيد الكائنات بوالدتها البرّة الطاهرة خديجة الكبرى ولاشك ان الزهراء كانت تظهر الفرح والسرور بذلك اليوم من كل سنة افتخاراً بذلك الشرف العظيم والخير العميم، ويكون قد بقيت عادة اظهار هذا الفرح متوارثا عند مواليها من الشيعة فى ذلك اليوم كل سنة، ولكن على مرور السنين جهلوا السبب ثم حورة بعض الدساسين الى غير وجهه الصحيح؛ وبقى الاسم عندهم وهو فرحة الزهراء عليها السلام والسبب مجهولاً.

وانما الفرح والسرور ان يجلس المؤمنون فى نواديهم الخاصة ويتلون القصائد والاشعار البديعة فى مدائح اهل البيت عليهم السلام وذكر مناقبهم ولو بالأصوات الحسنة التى لم تبلغ حدالغناء المحرّم وفقنا الله جميعاً للاعمال الصالحة والتجارة الرابحة فى الدارين ان شاء الله.

۱۲

هل النار محرّمة على ذرية الزهراء عليها السلام ؟

الأوّل

حدثتنا طائفة من الأخبار أن ذريّة الزهراء عليها السلام قد حرمت عليهم النار حتى لوكانوا من المخالفين، نعم يستثنى منهم من ادّعى الإمامة لنفسه فى تفسير قوله تعالى: ﴿ **فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ** ﴾ الاية ؟.

الجواب

يخطر على بالى كلام[1] للامام الرضا عليه السلام مع أخيه زيد المعروف بزيد النار الذى خرج على المأمون ولما ظفر به عفى عنه و وهبه للامام عليه السلام فقال الامام لزيد ما مضمونه او لفظه: **أغرّك يا زيد ما بلغك أن رسول الله صلى الله عليه وآله** قال: **ان الله حرّم فاطمة**

(۱) غير خفى على الباحث المتأمل ان كلام الامام الرضا عليه السلام غير خال عن شائبة التقية ومصلحة الوقت فى قبال سلطة المأمون مضافاً الى أن ما صدر عن زيد كان من حقوق الناس، قال رسول الله صلى الله عليه وآله كل حسب و نسب ينقطع يوم القيامة إلاّ حسبى و نسبى. والاولى أن يبقى جواب هذا السؤال مبهماً والعلم عندالله تعالى. فان المطلب يحتاج الى تحقيق عميق وبسط فى الكلام.

وذرّيتها على النار ، فانّ ذلك مختص بذرّيتها من صلبها كالحسن والحسين وزينب سلام الله عليهم ، والادلة القطعية عقلية تؤيد ذلك وتدل عليه كالحديث المشهور : خلق الله الجنة لمن أطاعه الخ ، نعم باب العفو والشفاعة والغفران باب آخر ولايختص بأبناء فاطمة سلام الله عليها بل يعمّ جميع شيعتها ومواليها ، والجميع ابنائها بالبنوّة الروحانية ـ رزقنا الله شفاعتها والموافات على ولايتها .

الثانى

لقد سجّل لنا التاريخ المتواتر فى تصرّف رسول الله ﷺ وأهل بيته فى هذا العالم (أى عالم المادّة) بل وفى العوالم الاخر كعالم المثال ، وعالم الصورة ، حتى انتهت الحقيقة المحمدية الى عالم السرمد كما فى حديث الاسراء ، وكسَير أميرالمؤمنين عليه السلام من المدينة الى المدائن ، وكصلاة ألف ركعة ، وكجواب الجواد عليه السلام عن ثلاثين الف مسألة فى مجلس واحد وكما أخبرتنا صوادر قدسية من الله عزوجل كقضية عزرة و عزير وأمثالها لأمثالهم ، فهل صدور هذه الكرامات منهم الّا تصرف فى الأكوان فى الأكوان كقصر الدهر ومدّه وهى ليست محالات عقلية لايجوز وقوعها ؟ فأرجو الجواب المقنع لأهل العصر الرّاقى مهد الحضارة المدنية ؟

الجواب

القضية تحتاج الى مزيد بسط وسعة ببيان لايسع المقام منه الا الاجمال والاشارة وهو أن العوالم أربعة: اللاهوت ؛ و الجبروت ، والملكوت ، والملك والثلاثة الاولى كلّها مجردة عن المادّة والمدّة ، أما عالم الملك وهو العالم المادّى و ماتحت العرش فهو قسمان: قسم يحتاج الى مادة فقط وهو عالم الافلاك والكرات النيّرة المعلّقة فى الفضاء التى ينشىء الزمان من حركاتها فتكون المدة ؛ وقسم يحتاج الى مادة ومدّة

معاً وهو عالم الصنع و ما تحت فلك القمر ، وكل عالم له الهيمنة على مادونه والتصرف فيه ، فعالم الملكوت المجرد عن المادة والمدة له التصرف فى عالم الملك للابداع والايجاد من دون اعداد ولا استعداد ، ولا مادة و لا امتداد ، و بهذا المفتاح تنحل جميع المشكلات فى باب المعجزات والعروج (الجسمانى) و أضرابها ، فان العبد اذا تحقق بحقيقة الحق و تخلق بأخلاق الروحانيين غلبت عليه صفات الأرواح المجردة و صار له السلطنة على العوالم المادّية يتصرف فيها كيف شاء بمشية الله ؛[١] فكما انه جلّ شأنه يوجد المادة من غير مدة ولا مواد ولاقوّة ولا اعداد ولا استعداد فكذلك وليّه أونبيّه ، وبالجملة فالوجودات المجردة أو العقول الفعالة (والمدبّرات أمراً) كما فى لسان الشرع تمرّ على الزمان ولايمرّ الزمان عليها و تحكم على المادة ولاتحكم المادة عليها ، والمادة التى تعلقت بها كأجسامها العنصرية الشريفة مقهورة لروحها المجردة ويجرى عليها حكم التجرد فلايعوّقها عن الاتصال بالملاء الأعلى فضلا عن الأدنى عائق ، وهذا رمز واشارة ولامجال للبسط ولكنه من طريقة الفلسفة الالهية والحكمة الروحية ، وأما من حيث الحكمة

---

(١) وممّا هو جدير بالذكرهنا ان لبعض المحققين فى تحقيق تعدد الامكنة كلمة قيمة لامجال فى المقام لذكرها تفصيلا واما اجمالها انه قسم المكان على ستة أقسام ثلاثة منها للاجسام: من الاجسام الكثيفة والمتوسطة واللطيفة ، وثلاثة منها للارواح : من الارواح الادنى والوسطى والعليا ويختلف تزاحم الاجسام فى تلك الامكنة بعضها مع بعض وعدمه و سرعة الحركة والسير ايضا فيها مختلفة وللانبياء والاولياء المعصومين عليهم السلام مراتب و درجات ولهم بحسب نفوسهم القدسية القدرة والاستعداد بالتصرف فى جميع تلك الامكنة والاحاطة بجميع عالم الملك والملكوت باذن الله تعالى و اقداره ، و بعد امعان النظر و التأمل فيما ذكره ينحل بعض الشبهات والاشكالات التى يتخيلها الانسان كحضور الائمة عليهم السلام فى آن واحد فى امكنة متعددة وسيرهم فى مدة قليلة الى مسافة كثيرة بعيدة وامثال ذلك واظن ان وجود تلك الامكنة وسرعة الحركة فيها وتفاوتها وامكان وجود حركات سريعة و وجودها فى هذا العصر من البديهيات واكثرها من المشاهدات و الحسيات اليوم ، راجع الى كتاب «وسيلة المعاد» للعلامة الجليل المولى حبيب الله الكاشانى رحمه الله تجد تفصيل ما ذكرناه .

الطبيعية والثقافة العصرية فبعد ان توصل علماء المادة وفلاسفة الطبيعة الى استخراج جملة من القوى و العناصر المودعة فى الكون المحسوس التى ما كان يحلم بها أحد من السابقين فاستخرجوا الكهرباء والعناصر المشعّة كالراديوم و الاورانيوم وأمثالها ممّا يدهش الالباب فيما ترتب عليها من الآثار والاسرار وعجائب المخترعات النافعة كالسيّارة والطيّارة، والهاتف والحاكى، و ما اليها فضلا عن الاكتشافات الفلكية والطب والجراحة وأضرابها، و بعد هذا كله أى مجال للاستنكار او الاستبعاد فى ان يكون فى الكون قوى كامنة وأسرار خفية أطلع الله عليها أنبيائه و أوليائه، فيستطيع أحدهم ان ينقل بلحظة عرض بلقيس من سبأ (اليمن) الى أورشليم (القدس) او تكون لاميرالمؤمنين عليه السلام قوة طبيعية فضلا عن القوة الروحانية يستطيع بها أن ينتقل من المدينة الى المدائن فى دقيقة واحدة، اوان الجواد عليه السلام يجيب عن ثلاثين او ثلاثة آلاف مسألة فى مجلس واحد[1] أى استبعاد أن يكون فى الكون مثل هذه القوى الغريبة بعد أن رأينا بأعيننا (أشعة رنتجن) التى يرى الانسان فيها بعين رأسه ماوراء الاجسام الكثيفة كصناديق الحديد بل من وراء الجدار؛ ومع كثرة هذه الاختراعات الباهرة لايزال يقول كبار فلاسفة الطبيعة ورجال المادة، ان العلم لايزال طفلا، فاذا بلغ أشده وأصاب رشده سوف يستكشف ما هو أدق و أعمق وأرفع وانفع من هذه المآثر والآثار والفوائد والاسرار.

وحقّاً ان العلم لايزال طفلاً فانهم حتى الآن لم يصلوا الى معرفة حقيقة الكهرباء مع كثرة تصرفاتهم فيها ولا أصابوا كنه الحياة وجوهرها، ولاكنه القوة ودقائق المادّة، ولا حقيقة العناصر التى تتركب منها المواليد العنصرية فضلا عن جوهر

---

(١) الظاهر ان المراد من المجلس الواحد هو المجالس المتوالية التى هيأها الخليفة العباسى لاظهار عظمة الجواد عليه السلام مع صغر سنه واطلاق المجلس الواحد على المجالس المتوالية شائع عندالعرف كما تطلق الحرب على القتال فى الايام المتعددة المتوالية كحرب صفين مع انها طالت عدة أشهر.

الكواكب والشموس سوى تخمينات وتخرّصات لايعول عليها، وكلما ازداد الانسان علما ازداد علما بجهله و اعترافا بقصوره.

والغرض من هذاكله كسر سورة الاستنكار والاستبعاد وأن أمثال (الراديو) او (الراديوم) و (أشعة رنتجن) و أمثالها من مكتشفات هذا القرن لم تبق مجالاً للاعتماد على القواعد القررة المقررة فى الفلسفة الطبيعية القديمة مثل استحالة الخرق والالتئام[1] وتناهى الاجسام وأضرابها ،نعم طى الزمان والمكان وطى الارض وبسطها ومد الوقت وقبضه ربما يشكل القول بها لاستلزامها اختلاف نظام العالم الشمسى وتناثر الكواكب المرتبط بعضها ببعض على نظام مخصوص، وآخر القول أن المعجزات وخوارق العادات قد تكون لها أسباب طبيعية فضلا عن القوى الروحية ولكن لم يصل العلم بعد اليها، وقد يصل فيها بعد وقد لايصل، والله أعلم بحقائق مخلوقاته وعجائب مصنوعاته.

---

(١) وبسبب تلك القواعد وقعوا فى الشبهات فى بعض المسائل الاعتقادية.

كالمعراج الجسمانى لرسول الله ﷺ وفتحوا باب التأويل او قالوا بمقالات واهية تستلزم القول بالمعراج الروحانى كما صدرعن بعض المنحرفين عن الطريقة المستقيمة حيث ذكر المقدمات التى تستلزم ذلك واما فى هذا العصر فقد ظهر انه لامجال للاعتماد على تلك القواعد ولذا ارتفعت الشبهات بالمرة من المعراج الجسمانى والحمدلله تعالى.

١٣

بني هاشم ، وبنى امية والحسن عليه السلام ومعاوية

العداوات ، والتباغض بين الافراد والقبائل ، والجماعات غريزة بعيدة المدى فى طبيعة البشر من أول عهده ، وبدء وجوده على هذه الكرّة من عهد هابيل وقابيل مستمرة فى جميع الاجيال الى هذا الجيل ، ومنشأ العداوة وبواعثها غالبا هو التنافس والتعالى والأنانية التى تدفع الى حب الاثرة والغلبة السيطرة ، والاستيلاء على مال او جاه ؛ أو ولاية وامرة ، وأنكى العداوات ، العداوات التى تبعث عن ترة وطلب ثار وغسل عار وللتشفى والانتقام ، ولكن اسوأ العداء أثراً ، وأبعده مدى ، والذى يستحيل تحويله ولايمكن زواله هو عداوة الضدية الذاتية ، والمباينة الجوهرية كعداوة الظلام للنور ، والرذيلة للفضيلة ، والقبح للحسن ، والشرّ للخير وامثال ذا .

فان هذا العداة والتنافر يستحيل من أن يزول الّا بزوال احدهما اذكل يضاد الاخر فى اصل وجوده وطباع ذاته ، وكل واحد يمتنع على الاخر فلايجتمعان ولا يرتفعان ؛ فالذوات الشريرة بذاتها وفى جوهرها تضاد الذوات الخيرة وتعاديها ، وكلها واحد من هذين المتضادين المتعاندين يجد و يجتهد فى ازالة الآخر

ومحوه من الوجود كالنور والظلام لايجتمعان فى محل واحد ابداً ، وكل منهما بطباعه يتنافى مع الآخر ويعاديه وكالفضيلة والرذيلة فى الانسان ، وعلى هذا الطراز ، ومن هذا النوع عداوة بٰنى هاشم وبنى أمية ، عداوة جوهرية ذاتية يستحيل تحويلها ويمتنع زوالها ، عداوة الظلام للنور ، والشر للخير ، والخبيث للطيب ؛ ويعرف كل واحد منهما بثماره و آثاره. وقديماً قيل: «من ثمارهم تعرفونهم» الشجرة لاتعرف الا من ثمرها أنها خبيثة أم طيبة ؛ والانسان لايعرف خبثه وطيبه الاّ من أعماله وملكاته وخصاله .

أولد عبد مناف هاشما ، وعبد شمس ، ونشب العداء بينهما منذ نشأ و شبا لالشيء سوى اختلاف الجوهرين ، وتباين الذاتين ، ثم استشرى الشر واتسعت عدوى العداء بين القبيلين بحكم الوراثة ، وكان لكل واحد من هذا القبيل ضد له من القبيل الاخر ، فعدوه بالنسب ؛ هاشم و عبد شمس ، وعبدالمطلب وأميّة ، وأبوطالب وحرب ، ومحمّد ﷺ وأبوسفيان ، ما اشرقت أول بارقة من أشعة الاسلام وما اعلن البشير النذير بدعوة التوحيد الاّ وثارت نعرة الشرك والوثنية لطمس أنوار الاحدية ، وقام بحمل معاول المعارضة والهدم لما يبنه ويتبناه منقذ البشرية من مخالب الوحشية ، قام بها ثالوث الجبت و الطاغوت ، أبوجهل ، وأبولهب ، وأبوسفيان ، وكان الثالث زعيم الحزب الاموى أشدهم مناوئة للاسلام ومحاربة له ؛ نصبوا كل الحبائل ، وتوسّلوا بجميع الوسائل لاخفات صوته ، واخماد صوته ؛ واعملوا كل بأس ، وسطوة فى مقاومة تلك الدعوة ، حتى ألجأت جماعة ممن تدين بها فهاجروا الى الحبشة .

وتحمل النبي واصحابه من الاضطهاد والاذى أكثر من عشر سنين حتى اضطر الى الجلاء من وطنه و وطن آبائه ، ومركز عزّه ، فهاجر الى يثرب فطارده أبوسفيان ، وتلاحقه الى دار هجرته ، وما رفعت رأية حرب على الاسلام الاّ

وبنو أمية وزعيمهم أبوسفيان قائدها ورافعها يلهب نارها ويثير غبارها ويتربص باخماد ذلك النور، الدوائر، ويهيج نعرة القبائل، الى أن فتح الله الفتح المبين وأمكن الله نبيّه من جبابرة قريش وملكهم عنوة، فصاروا عبيداً وملكا بحكم قوانين الحرب، والاستيلاء على المحاربين، بالقوة والسلاح، ولكنه سلام الله عليه أطلقهم وعفاعنهم، وقال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء، واكتفى منهم بظاهر الاسلام واطلاق لسانهم بالشهادتين، و قلوبهم مملوءة بالكفر والحقد على الاسلام، يتربصون الفرص لمحو سطوره، وقلع جذوره وما اسلموا، بل استسلموا، ولما وجدوا أعواناً على الاسلام وثبوا» ماتغيّر شيء نفسيات أبي‌سفيان وبني أمية بعد دخولهم في حظيرة الاسلام قلامة ظفر، انما تغيّر وضع المحاربة، وكيفية الكفاح والمقاومة.

دخل أبوسفيان ومعاوية في الاسلام، ليفتكوا في الاسلام ويكيدوا له و العدو الداخل أقدر على الكيد والفتك والعدو الخارجي، وهذه العداوة ذاتية متأصلة؛ والذاتي لايزول وليست هي من تنافس على مال، أو تزاحم على منصب أو جاه، بل هي عداوة المبادي، عداوة التضاد الطبيعي، والتنافر الفطري، عداوة الظلام للنور، والضلال للهدى، والباطل للحق، والجور للعدل، ولذا بقي بنور أمية على كفر هم الداخلي ومكرهم الباطني مع عدادهم في المسلمين وتمتعهم بنعم الاسلام وبركاته لكن لم يمس الاسلام شعرة من شعورهم ولابلّ ريشة من اجنحتهم كالبط يعيش طول عمره في الماء ولايبل الماء ريشه منه. (فيما يقولون) نعم أقرّوا باسلامهم حقنا لدمائهم و تربّصالسنوح الفرصة لهدم عروش الاسلام وقواعده، حتى اذا أدلى من كانت له السلطة بالخلافة الى أول خليفة منهم طاروا فرحا؛ وأعلنوا ببعض ما كانت تكنه صدورهم، فجمعهم أبوسفيان وقال: «تلقفوها يا بني أمية، تلقف الكرة؛ فوالذي يحلف به أبوسفيان ما من جنّة ولانار».

ثم أخذوا زمام الخليفة الاموي بأيديهم، وصاروا يقودونه «كالجمل الذلول»

حيث شاؤوا، فاتخذوا مال المسلمين دولاً، و عباداللہ خولاً، وانتقضت بلاد المسلمين من جميع أقطارها عليه وعليهم الى أن حاصروه فى داره، وضايقوه على أن يخلع نفسه من الخلافة، ويجعلها شورى بين المسلمين فتقاعس وتصلّب أولا، ثم لما اشتد الحصار عليه وحبسوا عنه حتى الماء والطعام تراخت أعصابه، و وهنت اطنابه، وحاول أن يخمد نار الفتنة بخلع نفسه، اجابة للثائرين الذين شددوا الحار فاحس بنوأمية وقيادتهم يومئذ بيد مروان فى المدينة، ومعاوية فى الشام، بأن صاحبهم اذا خلع نفسه فسوف يفلت الحبل من أيديهم، وقد غلط الدهر أو غلط المسلمون غلطة يستحيل أن يعودوا لمثلها أبداً، وبأى سابقة، أو مكرمة لبنى أمية أو جهاد فى الاسلام يستحقّون أن تكون خلافة المسلمين فى واحد منهم، وهم اعداء الاسلام و خصومه فى كل موقف من مواقفه، وفى كل يوم من ايام، أدرك كل ذلك مروان ومن معه من حزبه، فتواطئوا مع زعيمهم بالشام أن يجهّزوا على صاحبهم فيقتلوه قبل أن يخلع نفسه وقبل ان يفلت حبل الحيلة من ايديهم، نعم يقتلونه ويتخذون قتله ذريعة الى مطالبة فئة من المسلمين بدمه؛ ويتظاهرون لسائر المسلمين بأنه قتل مظلوما ولابد من الاخذ بثاره فيكون أقوى وسيلة الى استرجاع الخلافة اليهم، ولولا قتل عثمان و قميص عثمان لما صارت الخلافة الى معاوية ومروان وابناء مروان، ولكان من المستحيل أن يحلموا بها فى يقظة أو منام، ولكن جاءت صاحبهم الاول من غيرثمن، وقد دفعها اليه من قبله دفعا.

نعم اراد السابق أن يحولها عن بنى هاشم الى خصومهم الالدّاء بنى أمية ففتل حبل الشورى، وابرمه بحيث تصير الخلافة لامحالة الى عثمان وما اكتفى بذلك حتى نفخ روح الطموح اليها فى نفس معاوية الطليق ابن الطليق؛ وهو وأبوه اكبر الاعداء الالدّاء للاسلام، كان كل سنة يحاسب عمّاله ويصادر أموالهم، ويعاملهم بأشد الاحوال الآ معاوية، تتواتر الاخبار لديه بأن معاوية يسرف فى صرف

أموال المسلمين، ويلبس الحرير و الديباج فيتغاضى عنه بل يعتذر له، ويقول: «ذاك كسرى العرب»[١] مع أن معاوية كان من الضعة وافقر والهوان باقصى مكان، كان من الصعاليك الساقطين فى نظر المجتمع حتى ان احد اشراف العرب[٢] وفد على النبى ﷺ ولما أراد الخروج أمر النبى ﷺ معاوية أن يشيعه الى خارج المدينة وكان الحرّ شديداً والارض يغلى رملها ويفور ومعاوية حافى القدمين، فقال للوافد الذى خرج فى تشييعه.

-اردفنى خلفك

-أنت لاتصلح أن تكون رديف لاشراف والملوك!.

-ألافاعطنى نعليك اتق بهما حرارة الشمس.

-أنت احقر من أن تلبس نعلى.

-ما أصنع وقد احترقت رجلاى ؟

-امشى فى ظل ناقتى و لاتصلح لاكثر من هذا!!

تعساً لك يا زمان وأف لك يا دهر هذا الصعلوك النذل صار أو صيّروه كسرى العرب!!!

نعم: هو ومروان هما اللذان دبّرا الحيلة فى قتل عثمان، ومكّنوا الثائرين من قتله، وقضية الجيش الذى أرسله معاوية من الشام الى المدينة و وصيته له بأن لايدخل المدينة حتى يقتل عثمان تشهد لذلك وهى مشهورة.

نعم: وقد أعانهم على قتله ايضا احدى زوجات النبى التى كانت تهرج على عثمان وتصرخ فى النوادى «اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا» ثم بعد أن امتثلوا أمرها

---

(١) فى كتاب «الامالى» للقالى البغدادى ما هذا لفظه. قال: وكان عمر اذا نظر الى معاوية يقول: هذا كسرى العرب، قال: فكان معاوية يقول: مارايت عمر مستخليا رجلاقط الارحمته، انظر الامالى، ج ٢، ص ١٢١، ط ٢، مصر ١٣٤٤ هـ

(٢) هو علقمة بن وائل الحضرمى ـانظر سفينة البحار، ج ٢، ص ٢٩٣، نقلا عن المحاسن للبيهقى.

وقتلوه، ثارت أو أثاروها الى الطلب بدمه، وكانت من جرّاء ذلك واقعة الجمل التي ذهب ضحيتها عشرون الف من المسلمين وفتحت باب الحروب بين أهل القبلة، وقال احد شعراء العصر يخاطبها و يؤنبها:

وأنت البلاء و انت الشقاء   وأنت السحاب وأنت المطر
وأنت أمرت بقتل الامام   و قلت لنا انه قد كفر

و قال الاخر:

جاءت مع الاشقين فى هودج   تزجى الى البصرة اجنادها
كأنها فى فعلها هرة   من جوعها تأكل أولادها

وهذه النكات التي رشح القلم بها هنا و هى من اسرار دقائق التاريخ والتى قلّ من تنبه لها انما جاءت عفوا، وما كانت من القصد فى شيء، انما المقصود وبالبيان ان معاوية وأباسفيان لما بهرهما الاسلام وقهرهما على الدخول فيه حفظاً لحوبائهما من التلف؛ اظهرا الاسلام صورة واضمرا الكيد والفتك به سريرة، وبقيا يتربصان فكلما سنحت فرصة لذلك ظهرت ركيزتهم فى اقوالهم وفى اعمالهم.

وكان معاوية ادهى من أبيه الذى كبر وخرف فى آخر عمره ومن دهائه وعزمه كان تحتفظ بصورة الاسلام مدة امرته بالشام عشرين سنة فلايصطدم بشعيرة من شعائره، ولايتطاول الى اعتراض قاعدة من قواعده فلا يتجاهر بشرب الخمر والاغانى[1] ولايقتل النفس المحرمة، ولايلعب بالفهود والقرود، ولايضرب على المزمار والعود، نعم: قد يلبس الحرير والديباج وطيلسان الذهب ولا بأس بذلك فانه «كسرى العرب» وما احتفظ بشعائر الاسلام الالحاجة فى نفس يعقوب، ومن باب الهدوء قبل العاصفة والمشى رويداً لاخذ الصيد.

---

(١) ذكرنا نزراً يسيراً من اعمال معاوية على ضد الاسلام فى تعاليقنا على كتاب اللوامع الالهية، ص ٤٥٠ ـ ٤٥٣.

بقى على ظاهر هذا الايمان المبطن بالكفر مدة مخالفته ومحاربته لاميرالمؤمنين فى صفّين، فلما استشهد سلام الله عليه تنفس الصعداء وغمرته المسرّة، وامكنته الفرصة من اللعب على الحبل وتدبير الحيل؛ ولكن بعد أن بويع الحسن عليه السلام والتف عليه الأبطال من اصحاب أبيه. وشيعته ومواليه ومنهم الرؤوس، والضروس، والأنياب، والعديد، والعدة، والسلاح، والكراع، فوجد أنه وقع فى هوة اضيق واعمق من الاولى، فان الحسن عليه السلام سبط رسول الله، وابن بنته، وريحانته، وهو لوداعته؛ وسلامة ذاته محبوب للنفوس لم يؤذ احداً مدة عمره. بل كان كلّه خير وبركة، ولم تعلق به تهمة الاشتراك بقتل عثمان، بل قد يقال: انه كان من الذابّين عنه فكيف يقاس معاوية به وكيف يعدل الناس عن ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله الى ابن هند آكلة الاكباد. اقلق معاوية، وأقض مضجعه التفكير بهذه النقاط المركّزة التى لامجال فيها للنقاش والجدال، ولكن سرعان ما اهتدىٰ بدهائه ومكره الى حل عقدتها وكشف كربتها، فلجأ الى عاملين قويّين أولها المال الذى يلوى اعناق الرجال، ويسيل فى لعبه لعاب الابطال وبعث الى اعظم قائده من قادة جيش الحسن الذين بايعوه على الموت دونه وامسهم رحماً به وهو عبيدالله بن العباس الذى جعله أميراً حتى على قيس ابن سعد بن عبادة ذلك الزعيم العظيم الفارس المغوار المتفانى اخلاصاً فى حب الحسن عليه السلام وأبيه عليه السلام .(١)

---

(١) كان قيس من اكابر فضلاء الصحابة وعلمائهم واحد دهات العرب وكرمائهم وشرفائهم ومن بيت سيادتهم ومن ذوى الرأى الصائب والمكيدة فى الحرب مع النجدة والشجاعة لم يبايع ابابكر ولكن بايع معاوية بعد ان امره امامه الحسن المجتبى عليه السلام بالبيعة له لماراى من المصلحة انظر ايها القارى، العزيز الى جور الزمان و تسافله الذى الجأ من لم يبايع ابابكر الى بيعة معاوية .

تعس الزمان فان فى احشائه	بغضا لكل مبجل ومفضل
وتراه يعشق كل رذل ساقط	عشق النتيجة للأخس الارذل

مات قيس سنة: (٦٠) هـ

نعم: بعث اليه معاوية باكثر من خمسين الف، و وعده عند مجيئه اليه بمثلها فانسلّ الى معاوية فى جنح الظلام، وأصبح الناس ولا أمير لهم فصلّى بهم قيس، وهوّن عليهم، هذه الفادحة أوهت عزيمة الجيش، و هيأتهم للهزيمة. قبل النضال وقل ساعد الله قلبك ياابا محمّد كيف تحمّلت هذه الرزايا التى اقبلت عليك متتابعة كقطع الليل، وصار معاوية يعمل بهذه الخطة مع كل بارز من الشيعة ورجالهم و ابطالهم فأستمالهم اليه جميعا، ولم يستعص عليه ويسلم من مكره وحبائله الاّ عدد قليل لايتجاوز العشرة كقيس بن سعد؛ وحجر بن عدى وامثالهم من ناطحوا صخرة الظلم والظلال براسخ ايمانهم، وما اختلجهم الشك فى كفر معاوية وأبيه و بنيه. طرفة عين وكان قيس «اقسم بالله أن لايلق معاوية الاّ وبينهما الرمح او السيف» فى قضية معروفة هذا «أول» تدبير أتخذه معاوية للغلبة على الحسن عليه السلام واستبداده بالامر واغتصاب الخلافة منه.

«والثانى» وهى حيلة تأثيرها أشد من الاولى استطابها السواد الاعظم وانجرف اليها الرأى العام تلك دعوى معاوية الحسن عليه السلام الى الصلح، نعم: اشد مافت فى عضد الحسن طلب معاوية الصلح، فقد كانت أفتك غيلة وأهلك حيلة لأن المال كان يستميل به معاوية عيون الرجال، والخواصّ منهم.

اما العامّة فلاينالهم منه شيء ولكن الناس كانوا قد عضّتهم انياب الحروب حتى أبادت خيارهم، وأخرجت ديارهم، فى أقل من خمس سنين ثلاثة حروب ضروس: الجمل، وصفين، والنهروان، فاصبحت الدعوة الى الحرب ثقلية وبيلة والدعوة الى الصلح والراحة لذيذة مقبولة. وهنا تأزّمت ظروفه سلام الله عليه وحاسب الموقف حسابا دقيقاً، حساب الناظر المتدبر فى العواقب فوضع الرفض والقبول فى كفتى الميزان ليرى لأيّها الرجحان، فوجد أنه لورفض الصلح وأصرّ على الحرب، فلايخلو أما أن يكون هو الغالب، ومعاوية المغلوب وهذا و ان كانت

تلك الأوضاع والظروف تجعله شبه المستحيل ولكن فليكن بالفرض هو الواقع ، ولكن هل مغبّة ذلك الّا تـظلم النـاس لبـنى أمـية ، وظـهورهم بـاوجع مـظاهر المظلومية ، بالامس قتلوا عثمان عين الامويين ، وأميرالمؤمنين «كما يقولون» واليوم يقتلون معاوية عين الامويين ، وخال المؤمنين[1] (يالها من رزية) ويتهيأ لبنى أمية

---

(١) قال العلامة الكراجكى رحمه الله فى كتابه «التعجب» ما هذا لفظه الشريف :

ومن عجيب أمر الحشوية و وقاحتهم فى العناد والعصبية انهم يقولون ان معاوية ابن ابى سفيان خال المؤمنين ويقولون انه استحق بذلك بسبب ان اختهام حبيبة بنت ابى سفيان احدى ازواج النبى الذين هم بنص القرآن للمؤمنين امهات ولايسمون محمد بن ابى بكر خال المؤمنين بل لايـذكرونه بـذكر جميل وأخته عائشة اعظم ازواج النبى صلى الله عليه وآله عندهم قدراً وأجل الامهات فى مـذهبهم فـضلاً وذكـراً وليس يدانيها عندهم أم حبيبة ولايقاربها ولا ابوها كأبيها فلم لايسمون محمد بـن ابـى بكـر خـال المؤمنين ويكون أحق بذلك من معاوية بن ابـى سـفيان الفـاسق اللـعين الطـليق بـن الطـليق لعـنه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال اذا رأيتم معاوية على منبرى فاقتلوه وكان من المؤلفة قلوبهم (انـظر «المـحبر» لمحمد بن حبيب النسابة المتوفى (٢٤٥) هـ ص ٤٧٣ ط حيدر آباد والمعارف لابن قتيبة ص ١٤٩ ط مصر) ولم يحفظ قط حسنة يبسط معها فى تفضيلهم له عذراً ولاورد فى الاثر عن النبى صلى الله عليه وآله تسميته بخال المؤمنين فيصح قولهم وبایّ وجه استحق معاوية هذا الاكرام دون محمد بن ابى بكر ؟ وكـيف يجب ان يحفظ ام حبيبة فى أخيها معاوية ولم يجب ان يحفظ عائشة فى اخيها محمد ؟

كلّا ليس يخفى على العاقل ان بغضهم لاميرالمؤمنين عليه السلام حملهم عل تفضيل محاربيه وتبجيل أعاديه ومعانديه واهمال ذكر اوليائه والمنسوبين اليه من اصفيائه وقد علم أن معاوية كان لاميرالمؤمنين عليه السلام عدواً وحرباً وان محمد بن ابى بكر كان له وليا وحزباً بذلك صار معاوية خالا للمؤمنين دون محمد بن ابى بكر ربيب اميرالمؤمنين عليه السلام مع ما أنه على الحقيقة واليقين لايصح ان يكون أحد من أخوة أزواج النبى صلى الله عليه وآله خالا للمؤمنين ، وذلك الله تعالى انما جعل أزواج نبيه امهاتاً لهم ليحرم عليهم بـعده العـقد عليهم فلو كان معاوية او غيره خالا للناس لاجل ان اخته فى حكم الامهات لحرم عليه وطیء مؤمنة لان الخال لايحل ان يطأبنت أخته أترى لو اجتمع اخوة ازواج النبى صلى الله عليه وآله كعبد الرحمن ومحمد بن ابى بكر اخوى عايشة وعبدالله وعبيدالله وعاصم ومعاوية بنو عمر بن الخطاب اخوة حفصة ويزيد ومهاجر ابنا أمية اخوى أم سلمة ومعاوية بن ابى سفيان اخوام حبيبة كيف كان يترتبون فى منزلة الخئولة ؟ وهل كان بعضهم خالا لبعض ؟ أم هذا النعت مختص بمعاوية فقط وأيضاً :

قولهم ان معاوية كاتب الوحى وقد كان بين يدى النبى أربعة عشر نـفسا يكـتبون الوحـى وأقـومهم

←

....

← أميرالمؤمنين عليه السلام فبماذا يستحق معاوية هذا النعت دونه ودون غيره من الكتاب ؟
وقد علم ان معاوية عليه الهاوية لم يزل مشركا مدة كون النبى صلى الله عليه وآله مبعوثا يكذب بالوحى ويهزء بالشرع وكان باليمن يوم الفتح يطعن على رسول الله صلى الله عليه وآله ويكتب الى أبيه صخر بن حرب يعيّره باسلامه ويقول له صبوت الى دين محمد صلى الله عليه وآله وممّا كتب به الى ابيه منقب ان يسلم قوله :

ياصخر لاتسلمن طوعا فتفضحنا	بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا
خالى وعمى وعم الام ثالثهم	وحنظل الخير قد اهدى لنا الارقا
لاتركنّن الى أمر يكلّفنا	والراقصات به فى مكة الخرقا
فالموت أهون من قول العدات لقد	عادابن حرب عن العزّى اذا فرقا
فان أبيت أبينا ما تريد ولا	تدع عن اللات والعزى اذا اعتنقا

والفتح كان فى شهر رمضان لثمان سنين من قدوم النبى صلى الله عليه وآله المدينة ومعاوية يومئذ مقيم على شركه هارب من النبى صلى الله عليه وآله لانه كان قد هدر دمه فهرب الى مكة فلما لم يجد له مأوى صار الى النبى صلى الله عليه وآله مصير الاضطرار فاظهر الاسلام قبل وفات النبى ٩ بخمسة اشهر اوستة اشهر وطرح نفسه على العباس بن عبدالمطلب فسئل فيه رسول الله. فعفا عنه ثم شفع له ان يشرفه ويضيفه الى جملة الكتاب فاجابه وجعله واحداً من اربعة عشر كاتبا ، فكمترى يخصه من الكتبة فى مدة ستة أشهر حتى يستحق هذا النعت بكاتب الوحى لولا ما حملتهم عليه العصبية التى اصدت السمع واعمت البصر وليس يلتبس اهل العقل ان مجرد الكتابة لايحصل بها الفضل ما لم يقارنها صحيح الايمان وعقد القلب لانه قد كتب لرسول الله عبدالله بن ابى سرح ثم ارتد مشركا وفيه نزل « **وَلٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ** » (سورة ١٦ آية : ١٠٦).
وروى ان آخر كتبة الوحى ابن ابى سرح وارتدمن الاسلام ومات على الكفر ودفن فلم تقلبه الارض فكيف حصل لمعاوية هذا النعت تميّز به عن الخلق والمأثور ان رسول الله لعنه على منبره واخبر انه يموت على غير ملة.
ممّا روى فى ذلك : ان النبى صلى الله عليه وآله قام يخطب اخذ معاوية بيد أبيه فقال النبى صلى الله عليه وآله لعن الله القائد والمقود أى يوم يكون لهذه الامة من معاوية ذى الاستاه.
وروى عن عبدالله ابن عمر انه قال أتيت النبى صلى الله عليه وآله فسمعت يقول : يطلع عليكم رجل يموت على غير سنتى فطلع معاوية ، وفى خبر آخر : يطلع عليكم رجل من اهل النار فطلع معاوية ، وعن جابران النبى صلى الله عليه وآله قال : يموت معاوية على غير ملتى ، ومن طريق آخر : يموت كافرا واشتهر عنه لم يمت الاّ وفى عنقه صليب ذهب وضعه له فى مرضه أهون المتطبب وأشار اليه بتعليقه فأخذه من كنيسة يوحنا وعلّقه فى عنقه.
وروى ايضاً انه تشافى بلحم الخنزير فأكله قبل موته وغير ذلك مما لايحصى ، وانما تتآسى القوم هذه

←

قميص ثانى فيرفعون قميص عثمان مع قميص معاوية ، والناس رعاع ينعقون مع كل ناعق لاتفكير ولاتدبر، فماذا يكون موقف الحسن اذاً ؟ لو افترضناه، هو «الغالب».

أما لو كان هو «المغلوب» فاوّل كلمة تقال من كل متكلم ان الحسن هـو الذى ألق نفسه بالتهلكة ، وسعى الى حتفه بظلفه ، فان معاوية طلب منه الصلح الذى فيه حقن الدماء فابى وبغى ؛ وعلى الباغى تدور الدوائـر وحـينئذ يـتم لـمعاوية وابى سفيان ما أرادا من الكيد للاسلام وارجاع الناس الى جاهليتهم الاولى ، وعـبادة اللّات والعزّى ، ولا يبقى معاوية من أهـل البـيت نـافخ ضرمـة ، بـل كـان نـظر الحسن عليه السلام فى قبول الصلح ادقّ من هذا وذاك أراد أن يفتك به ويظهر خبيثة حاله: وما ستره فى قرارة نفسه قبل أن يكون غالباً أو مغلوبا ؛ وبدون أن يزجّ الناس فى حرب ، ويحملهم على ما يكرهون من اراقة الدماء .

فقد ذكرنا أن معاوية المسلم ظاهراً العدو للاسلام حقيقة ، وواقعاً كان لوجود المزاحم يخدع الناس بغشاء رقيق من التزمت فى ارتكاب الكبائر والموبقات ، وما ينطوى عليه من معاداة الاسلام و تصميم العزيمة على قلع جذوره واطفاء نـوره ؛ يتكتم بكلّ ذلك خوفا من رغبة الناس الى الحسن وأبيه من قبل فاراد الحسن أن يخلى له الميدان ، ويسلم له الامر ويرفع الخصومة ، حتى يظهر ما يـبطن ، ويـبوح بكفره ، ويعلن ويرفع عن وجهه ذلك الغشاء الصفيق ويعرف الناس حقيقة أمره ، وكامن سره ، وهكذا فعل ، وفور ابرام الصـلح صـعد المـنبر فى جمـع غـفير مـن المسلمين ، وقال:

← الاخبار وامثالها ولم يلتفتلوا الى شىء منها لما جاهر به معاوية من معالجة اميرالمؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام وتناهيه فى جهاده وحربه وانه قتل خيار أصحابه وشيعته ولعنه على المنابر وجعل بغضه يتوارث نصا ولذلك قيل كاتب الوحى وخال المؤمنين والخليفة الحليم والسميح الكريم ونسى جميع ما روى فيه بالويل الطويل ويلهم من رب العالمين (١ هـ).

« اني ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلّوا وانما قاتلتكم لأتأمر عليكم ، وقد اعطيت الحسن شروطا كلّها تحت قدمي » .

انظر الى القحة والصلف وعدم الحياء وضيق الوعاء وصفاقة الوجه ؛ أما وايم الله انه لولم يكن لقبول الصلح الا ظهور هذه الكلمات من معاوية لكفى بها دليلا على افتضاح معاوية ، ومعرفة الناس بكفره ، فما ظنك به وقد استمر على هذه الخطة الكافرة ، والخطيئة السافرة ، والتحدى للاسلام وهدم قواعده جهاراً.

لولا صلح الحسن لما استلحق معاوية زيادا بابى سفيان ، وهو ولده من الزنا ، فضرب قول رسول الله ﷺ **«الولد للفراش وللعاهر الحجر»** ضربها بالحجر وبعرض الجدار بلاخيفة ، ولاحذار.

لولا الصلح لما قتل حجر بن عدى سيد الأوّابين؛ وعشرة من اعلام خيار الصحابة والتابعين ، قتلهم بمرج عذراء ـ من قرىٰ دمشق ـ صبراً ، من دون أى سبب مبرر .

لولا الصلح لماقتل معاوية الصحابى الجليل عمرو بن الحمق وحمل رأسه الى الشام ، وهو أول رأس حمل فى الاسلام .

لولا الصلح لما سقى معاوية الحسن السمّ على يدجعيدة بنت الاشعث .

لولا الصلح لما أجبر معاوية البقية الصالح من أولاد المهاجرين والانصار على أخذ البيعة ليزيد ، وحاله فى الفسق والفجور مشهور الى كثير من أمثال هذه المخازى ، والفظايع التى لايبلغها الاحصاء. ولكن تأمل ملياً وأنظر من الغالب ومن المغلوب ، أنظر ما صنع الحسن بمعاوية فى صلح وكيف هد جميع مساعيه وهدم كل مبانيه حتى ظهر الحق وزهق الباطل ، وخسر هنالك المبطلون ، فكان الصلح فى تلك الظروف هو الواجب والمتعيّن على الحسن عليه السلام ، كما أن المحاربة والثورة على يزيد فى تلك الظروف كان هو الواجب والمتعين على أخيه الحسين ، كل ذلك للتفاوت بين الزمانين والاختلاف بين الرجلين .

ولولا صلح الحسن الذى فضح معاوية، وشهادة الحسين التى قضت على يزيد، وانقرضت بها الدولة السفيانية بأسرع وقت.

لولا تضحية هذين السبطين لذهبت جهود جدّهما بطرفة عين، ولصار الدّين دين آل أبى سفيان دين الغدر والمكر، دين الفسق والفجور، دين الحانات والخمور، دين العهار والقمار، دين الفهود والقرود، دين ابادة الصالحين واستبقاء الفجرة الفاسقين.(١)

فجزاكما الله ياسيدى شباب الجنة ويا سبطى رسول الله، جزاكما الله على الاسلام وأهله أفضل الجزاء، فوالله ما عبدالله عابد ولا وحّده موحّد، وما حقت فريضة ولا أقيمت سنة ولا ساغت فى الاسلام شريعة ولا زاغت من الضلال الى الهدى أمة الاّ ولكما بعدالله ورسوله الفضل والمنّة والحجة البالغة والمحجّة.

جاء رسول الله بالهدى والنور الخير والبركة للانسانية أجمع من غيرلون ولون وعنصر وآخر وأمّة دون أمّة وقوم سوى آخرين جاء بالاسلام والنور المبين فشيّد قواعده واحكمه واقومه واكمله وأتمه ولم يترك فيه أى نقص وأى عوج وجاء أبوسفيان والشجرة المعلونة فى القرآن: معاوية ويزيد ومروان، فحملوا معاول الكفر والشرك وتحاملوا على تلك الاسس والقواعد يقلعون جذورها ويخمدون نورها ﴿ **يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللّٰهِ بِأَفْوٰاهِهِمْ وَ يَأْبَى اللّٰهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكٰافِرُونَ** ﴾(٢) فوقف السبطان بمالهما من قوة وسلطان سدّاً منيعاً دون ذلك البنيان وما تمّ لهما ما أرادا من حفظ شريعة جدهما الا بالتضحية العظمى بأنفسهم وأموالهم ورجالهم واطفالهم وبكل ما فى دنيا النعمة والنعيم والعيش الوسيم، بذلوا

---

(١) والاجدر أن يقال: لولا صلح الحسن عليه السلام وشهادة الحسين عليه السلام لما بقى للاسلام اسم ولا رسم كما ذكره الشيخ الاستاذ رحمه الله فى بعض كلماته.

(٢) سورة ٩ آية: ٣٢.

كل ذلك فى سبيل الله ولحفظ دين الله، ولو لاهذه التضحية وتلك المفادات لأصبح دين الاسلام اسطورة من الاساطير لاتجده الا فى الكتب والقماطير يذكره التاريخ كما يذكر الحوادث العابرة والامم المنقرضة.

«سبحان الله والله اكبر ولله الحمد» من هنا تعرف ويجب أن تعرف السرّ فى حفاوة المنقذ الاعظم تلك الحفاوة البليغة والتعظيم الخارج عن نطاق العرف والمعتاد بل وعن رواق التعقل والسداد ذلك النبى العظيم والشخصية والحبيبة الى المبدء الاعظم التى ملاءها هيبة وعظمة و وقارا، والذى لاتهزه العواصف ولاتستميله العواطف ولا خامره فى لحظة من عمره العبث واللهو واللعب الذى كانت غريزته التى فطر عليها قوله: «ما أنا من دد ولا الددمنى» والذى كان من الوقار والهيبة والأتز ان ربما يدخل عليه الرجل الذى ما رآه من ذى قبل فترتعد فرائصه من هيبته فيقول له النبى: «لاتفزع فانى ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد» حذراً من أن يقول المسلمون فيه ما قالت النصارى فى المسيح هذا الطود العظيم، يحمل الحسن والحسين وهما طفلان على كتفيه، ويمشى بهما وهما على متنيه فى ملاء من المسلمين رافعا صوته ليسمعوا «نعم الجمل جملكما، و نعم الراكبان انتما» ثم يأتى الحسين وهو غلام فيعلو على ظهر النبى والنبى ﷺ ساجد فلايرفع رأسه حتى ينزل الحسين عليه السلام حسب ارادته، النبى يخطب والحسين يدرج فى المسجد فيعثر فيقطع النبى خطبته؛ ويعدو اليه ويحتضنه ويقول: «قاتل الله الشيطان، الولد فتنة لما عثر ولدى هذا أحسست أن قلبى قد سقط منى» الى كثير من أمثال هذا صدر عنه سلام الله عليه فى ولديه مما لست بصدد احصائه وجمعه.

ولكن أقول: ان هذا الشغف، والحب اللامتناهى ليس لكونهما ابنى بنته فحسب فان هذه النسبة لاتستوجب كل هذا العطف الخارق لسياج العرف والعادة، ولكن لاشك ان هناك اسراراً واسبابا هى ادق واعمق، اسرار روحية هى فوق هذه

الوشايج الجسمية ، فهل ترى معى أن رسول الله ﷺ لعله ارتفع عن افق الزمـان ، واشرف بروحيته المقدسة من نافذة الدهر ، واطل على صحيفة التكوين من ألفـه الى يائه ، فنظر الى الماضى والحاضر والآتى نظرة واحـدة ؛ رأى الحـوادث الآتـية ممثّلة بعينها فى صحيفة الوجود لابصورها على شاشة التمثيل ، رأى ما كـابد ولداه من الدفاع عن دينه ، والحماية لشريعته والتضحية بانفسهم وأموالهم وأولادهـم ، وأنهم ارخصوا فى المفادات كل غال وعزيز ، تجرّع الحسن السمّ من معاوية مـرارا حتى قضى بالمرّة الاخيرة التى تقيأ بها كبده قطعة قطعة .

ثم ضرب الحسين عليه السلام المثل الاعلى فى التضحية والمفادات لحفظ شريعة جده ، فاستقبل السيوف والرماح والسهام وجعل صدره ونحره ورأسه ورئته ، وقاية عن المعاول التى اتخذها بنو أمية لهدم الاسلام ، وقـلعه مـن اسـاسه ، ونـصب نـفسه وأولاده وانصاره ، الغرّ الميامين هدفا وشبحا لوقاية الاسلام من أن تنهار دعائمه ، وتنهد قواعده وقوائمه ، بهجمات الامويين عليه ، حـتى سـلم الاسـلام واشرقت أنواره ، وعلمت اسراره ، وهلك الكافرون وخسر هنا لك المبطلون ، وكانت كلمة الله العليا ، وكلمة اعدائه السفلى ، وكل مسلم من أول اسلام الناس الى اليـوم بـل والى يوم القيمة مدين ورهين بالشكر والمنة لهذين الامامين ؛ ولو لا تضحيتهما التى ماحدث التاريخ بمثلها ابدا .

نعم لولا تلك التضحية لعاد الناس بمساعى الامويين الى جاهليتهـم الاولى بل أتعس اذاً ، فهل تستغرب من النبى ﷺ تلك الحفاوة والتعظيم لهـما وهمـا طـفلان صغيران ، وقد عرف بل رأى بعين بصره تلك الحوادث الفـجيعة ؛ وذلك الكـفاح المـرير مـن اجـله وفى سـبيله ، وكـان يشـمهما ويـضمهما ويـقول: «همـا ولداى وريحانتاى» وباليقين انه كان يتنسم منهما العبق الربوبى ، ويتوسم بهما الالق الالهى وبهذا نعرف ويجب ان نعرف أن الحسن والحسين ، نور واحد لا يفضل احدهما على

الاخر قدر عرض شعرة كل واحد منهما قد قام بواجبه ؛ وأدّى رسالته ؛ وعمل بالمنهاج المقرر له من جده وأبيه والصك الذى تسلمه فى اول يوم من امامته ، اذا أردت التوسّع فى معرفة عظمة الحسن سلام الله عليه وشجاعته ، وبسالته ، وقوة قلبه ، وشدة عارضته ، وبليغ حجته ، وعدم اكتراثه بزخارف الملك ، وابهة السلطان ، فانظر الى كلماته واحتجاجاته فى مجلس معاوية مع روؤس المنافقين ، وضروس الكفرة الملحدين الذين كان معاوية يحرش بينهم وبين الحسن ليضحك على ذقونهم ، كابن العاص وابن شعبة ومروان ونظرائهم من زبانية جهنم الذين ما آمنوا بالله طرفة عين ، انظرها واعجب بها ماشئت هناك تتمثّل لك العظمة فى أوج رفعتها ، وتتصوّر لك البسالة فى موج لجّتها ، وان شئت المزيد فانظر الى كلماته ساعة الموت ويوم انطلاقه من هذا السجن. الكلمات التى قالها لاخيه محمّد بن الحنفية فى حق أخيه الحسين ، هنا لك تنفتح لك اغلاق اسرار الامامة ، و يتضح لديك اشراق أنوار النبوة والزعامة ، وتعرف المرعوية النبوية والولاية الكلية هنا لك الولاية لله «والنبى أولى بالمؤمنين من انفسهم» ومن كنت مولاه فعلى مولاه وانما وليّكم الله ورسوله الاية .

وقد زحف القلم ، وخرج عن المحدد واشتمر عن قصد الجادة وجادة القصد ، انما القصارى التى اردتها من كلمتى هذه ان العداوة بين بنى هاشم و بنى امية متأصلة هى عداوة الهدى للضلال ، والنور للظلام ؛ ويشهد لذلك أنك لو استعرضت سيرة بنى أمية من أولهم من عبد شمس الى آخرهم مروان الحمار لم تجد فى صحيفة الكثير بل الاكثر منهم الا الغدر والمكر ونكث العهود ، والفسق والفجور ، والعهر والخنا وأنباء الزنا الى كل ما يتحمّله لفظ الرذيلة من المعانى .

واذا استعرضت سيرة بنى هاشم من أوّلهم ليومنا هذا لم تجد فى صحيفة الكثير بل الأكثر منهم الا كلما تحمله لفظ الفضيلة من الوفاء والصدق والشجاعة والعفة ،

وطهارة المولد، وشرف النفس وعلوّ الهمة، والتضحية فى سبيل المبدأ وما الى ذلك من كرم الاخلاق، وطهارة الاعراق، وهب أن هناك من يعذر بنى أمية فى عداوتهم لبنى هاشم ويقول:

انهم اتخذوها ذريعة و وسيلة الى الملك والسلطان. ولكن ما عذر الموالين لبنى أمية فى هذا العصر ما عذر الاموية الحديثة، التى لاتنال بذلك حظا من حظوظ الدنيا ولانصيباً فى الاخرة.

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾[1] ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾[2].

والحمدلله الذى فقأ عينى الكفر والنفاق، وأقرّ عينى الاسلام والايمان بالحسن والحسين، والعترة الطاهرة؛ ونسأله تعالى كما منّ علينا بمعرفتهم و ولايتهم أن يحشرنا فى زمرتهم، ويكرمنا بشفاعتهم والبراءة من اعدائهم وعداوتهم:

أو اليكم ما دجت مزنة — وما اصطخب الرعدأ وجلجلا
وأبرء ممن يعاديكم — فان البراءة شرط الولا

وحقّاً الزّكى أبا محمّد سلام الله عليه فى المدة القصيرة التى عاشها بعد أبيه تحمّل من الرزايا والمحن ما لم يحتملها نبى أو وصى نبى، وما هى بأقل من المصائب التى جرت على أخيه أبى عبدالله عليه السلام يوم الطف فان النكبة الاليمة، والضربة الاثيمة فى الاخوين واحدة وان اختلفت الاشكال والاساليب وكما أن الحسين قابل رزاياه بالصبر الذى عجبت منه ملائكة السماوات، فكذلك الحسن قاتل عدوّه. وقابل

---

(١) سورة كهف آية: ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٢) سورة حج آية: ١١.

الأمّه وأرزائه بصبر عجيب. وصدر رحيب ماهان يوما ولالان. ولاتضرع ولااستكان وما اخذ من أمواله التى اغتصبها معاوية منه وصارت العوبة بأيدى بنى امية، وما أخذوا احداً من الآف بل من مئات الآلآف وكما لامساغ للتفاضل بين هذين النيّرين، كذلك لايصح القول بأن صبرالحسن دون صبر الحسين، أو أن مصيبته أهون المصيبتين، فسلام الله عليكما يا امامى الهدى وسليلى عليٍّ والزهراء عليهما السلام ما أزهرت الفضيلة واكفهرت الرذيلة.

واختم كلمتى بأبيات من خاتمة قصيدة رثاء لسيد الشهداء نظّمتها منذ مدّة تزيد على خمسين سنة أستهلها:

خذوالماء من عينى والنار من قلبى	ولاتحملوا للبرق منا ولاالسحب

وأختمها:

بنى الشرف الوضاح والحسب الذى	تناهى فاضحى قاب قوسين للربّ
لئن عدت الاحساب للفخر أو غدت	تطاول بالانساب سيارة الشهب
فما نسبى الا انتسابى اليكم	وما حسبى الا بأنكم حسبى

۱٤

حسين منّي وأنا من حسين ﷺ

السؤال:

أسمع من كثير من الخطباء على منبر الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام أحاديثا جمّة يذكرونها عن النبي ﷺ ومن جملتها هذا الحديث: حسين مني وأنامن حسين، وكلّما أمعنت النظر واكثرت من التفكير فيه لم أصل الى حد يوقفني عنده، فاعلم في قوله ﷺ «حسين منّي» هو ان الحسين ولد من فاطمة عليها السلام وفاطمة ابنة الرسول ﷺ ولكن يقف حدّي أتحرج في تفكيري و يختلف عقلي في تفسيرها.

الجواب:

الاول: من المحتمل ان المراد به ما هو الدارج المتعارف حيث يقول الرجل لولده او أخيه او أحد أقربائه: أنا منك وأنت مني، ويستعمل في مورد الكناية من شدّة الاتصال والقرب المقتضي للمودّة والمحبة لانهما من شجرة واحدة ومتفرّعات من اصل واحد، فيكون المراد والله العالم اني أنا والحسين من نور واحد وشجرة واحدة

أحبّه ويحبنى وأتصل به ويتصل بى ؛ ويؤيد هذا المعنى شيوع هذا الاستعمال وكثرته والمشكوك يلحق بالأعم الأغلب ، والذى يبعده انه معنى تافه لامزية فيه للحسين عليه السلام بل ويشاركه ابوه وأخوه بل سائر بنى هاشم ، وسياق الكلام يقتضى ان يكون المراد بيان مزية تختص بالحسين من النبى صلى الله عليه وآله دون غيره .

الثانى : ان يكون المراد ـ والله أعلم ـ المعنى الذى يقصد بقولهم النخلة من النواة والنواة من النخلة ، وفى الشجرة بذرة منها توجد الشجرة ، فيكون كناية عن كون الحسين عليه السلام قد انطوى فيه جميع كمالات الشجرة أى كمالات النبى صلى الله عليه وآله ، ففيه كمالات النبوة المعنوية دون النبوة الظاهرية الرسمية ، وهذا المعنى يؤيده مساعدة الاعتبار ومطابقة الحقيقة والوجدان ، ويبعده لازمه اختلاف سياق الجملتين كما لايخفى على المتأمل.

الثالث : من المحتمل يكون المراد الاشارة الى ما هو المعلوم والمقطوع به من أنّه لولا شهادة الحسين عليه السلام لما بقى للاسلام اسم ولارسم فان أباسفيان ونغلاه (معاوية ويزيد) ، حاربوا النّبى صلى الله عليه وآله فى الجاهلية وحاربوه فى الاسلام لمحو الاسلام وطمس آثاره وأنواره وقد تسنّى لهم ذلك بعد شهادة اميرالمؤمنين على عليه السلام واستقامة الامر لمعاوية بعد صلح الحسن عليه السلام ، ولو تمّ الامر ليزيد كما تم لأبيه لمحى الاسلام بالتمام وأعاد الجاهلية علىٰ بكرة أبيها وبتمام معانيها ، ولكن جزى الله الحسين عليه السلام عن الاسلام أحسن الجزاء فلقد حفظه بشهادته وفداه بدمه ودم الصفوة من أهل بيته وأصحابه الذين ما خلق الله لهم مثيلا على وجه الارض لافى عصرهم فقط بل منذ خلقت الدنيا الى وقتك، هذا فبقاء شريعة الاسلام ونبوّة النّبى صلى الله عليه وآله من الحسين عليه السلام ، وهذا المعنى عال شريف ، وهو عين الحقيقة والواقع ، وهى مزيّة اختص بها دون أبيه وأخيه فضلا عن غيرهم ؛ ولكن يبعده استلزامه اختلاف سياق الجملتين ايضا ، اذ يكون الحاصل **حسين منى ولادة وشريعتى من الحسين بقاء واستدامة** .

الرابع: وهو أعلى المعانى ولعله أصحّها وأجمعها وربما تندرج تلك الوجـوه فى طيّه، وهو يحتاج الى بيان مقدمة تمهيدية تشمل على أمرين **الاول**: ان الولادة التى هى عبارة عن تكوّن شيء من شيء وانبثاق كائن من كائن آخر تقع فى الخـارج على ثلاثة أنواع:

١): تولّد جسم من جسم ومادّى من مادّى كتولّد حيوان من حيوان ونبات من نبات ومعدن من معدن ومنه تولد انسان من آخر، فيتحقق انتزاع النبوّة والأبـوّة والأمومة، وهذا هو التوالد الجسمانى المحض:

٢): تولّد روح من جسم كتولّد ارواح الحيوان من جسمه؛ وتوالد أرواح البشر من أجسامها على ما حقّق فى محله من ان النفس جسمانية الحدوث روحانية البقاء، وان الروح تتكون من جسم الانسان او الحيوان كما تتكوّن الثمرة من الشجرة.

وأما أحاديث خلق الأرواح قبل الاجسام بألفى عام فهى محمولة عـلى مـعان أخرى من الحكمة العالية والمعارف المتعالية مما لامجال لذكرهاهنا، وهذه الولادة برزخ بين الولادة الجسمانية المحضة والروحـانية المحـضة التى يأتى ذكـرها لأنهـا روحانية جسمانية.

٣): تولّد مجرد وروح من روح كتولّد النفوس الكلّية من العقول الكلّية فى قوس النزول وتولد العقول الجزئية من النفوس الجزئية وتـولد النـفوس الجـزئية مـن الأجسام الشخصية فى قوس الصعود، وقـد قـرر العـرفاء الشـامخون والحـكماء الالهيون أنه لاتنافى بين أن يتولد شخص من آخر بالولادة الجسمانية ويكون الوالد متولداً من ولده بالولادة الروحانية؛ فآدم ابوالبشر وابوالأنبياء وكـذلك هـو أب لخاتم الانـبياء ﷺ بـالولادة الجـسمانية ولكـنّه مـتولد مـن محـمّد ﷺ بـالولادة الروحانية، ولعل اليه يشير شاعر العرفاء او عارف الشعراء ابن الفارض:[1]

---

(١) ابن الفارض هو شرف الدين ابوالقاسم عمر بن على الحموى المصرى العـارف المشـهور صـاحب القصيدة التائية المعروفة = تائية الصغرى والكبرى = توفى سنة: (٦٣٢) هبالقاهرة.

وانى وان كنت ابن آدم صورة فلى فيه معنى شاهد بأبوتى

وشاعر اهل البيت عليهم السلام العمرى[1] يقول فى مدح اميرالمؤمنين سلام الله عليه:

أنت ثانى الآباء فى مبدء الدور و آباؤه تعدّ بنوه

خلق الله آدم من تراب فهو ابن له وأنت أبوه

فآباه النّبى بالولادة الجسدية كلّهم أبنائه وهى ولادة حقيقية بل أحق من الولادة الجسمية.

الثانى: ان الولاية أوسع دائرة وأعلى أفقا واكثر أثرا من النبوة: هنالك الولاية لله؛ وأول ولاية ولاية الله جل شأنه، ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾[2] فولاية الله هى الولاية الكبرى، و ولاية النبى صلى الله عليه وآله هى الوسطى، و ولاية أوليائه من سدرة المنتهى وجنة المأوى، ومن هنا قالوا ان الولاية أعمّ من النبوة وكلّ نبىّ ولىّ ولاعكس، والنبوة تحتاج الى الولاية والولاية لاتحتاج الى النبوة.

اذا تمهّدت هذه المقدمة وما تنطوى عليه من الأمرين النيّرين ظهر لك معنى الحديث الشريف بالوجه الاكمل: وهو «**حسين منى**» بالولادة الجسمانية «**وانا من حسين**» بالولادة الروحانية فان الحسين بوجوده السعى الكلّى الأرجى العينى لاالذهنى المفهومى هو الحائز بشهادته الخاصة، وامامته العامة لمقام الولاية العظمى، والفائز بالقدح الأعلى من سدرة المنتهى وهذه هى مجمع الولايات وغاية الغايات، ومنها تنبثق وتتولد جميع النبوات، فلاجرم ان حسينا من **محمّد** صلى الله عليه وآله **ومحمّد من حسين** عليه السلام.

محمّد النّبى من الحسين الولىّ ونور النبوّة ينبثق من نور الولاية ثم يصير النور

---

(١) انظر هامش صفحة: (٣٤) من هذا الكتاب.

(٢) سورة ٢ آية: ٢٥٧.

واحداً، وهنا تزول الحيثيات وتسقط الاعتبارات وليس الا الله جلّ جلاله أنواره وتجلياته، فأطفأ السراج فقد ظهر الصباح لذى عينين وزال كل فرق وفارق من البين، و وصل الكلام الى مقام لاتحتمله عقول الانام، وهنا أسرار وأكوار لايجوز نشرها وذكرها، وكيف كان فهذا الحديث من جوامع كلمه صلوات الله عليه، والحمدلله ولىّ الالهام فى البدء والختام.

۱۵

الحسين عليه السلام كتاب الله التكويني

جرت عادة الصحف منذ سنوات أن تفرّد عدداً خاصا فى الحسين سلام الله عليه عند رأس السنة مستهل محرم من كل عام فيستنهضون أقلام الكتاب و يشحذون عزائهم لتحبير المقالات، فيأخذ كل كاتب او شاعر او خطيب ناحية من نواحى واقعة الطف ويكتب فيها ما تملى عليه قريحته و تواتيه قدرته، وكنا كتبنا فى فواتح عدة من الصحف فى مستهل النسوات الغابرة ما لو جمع لجاء مؤلفاً مستقلاً وكتابا فذاً، أما لو جمع ما كتبه العلماء والأدباء والشعراء والخطباء فى تلك الفاجعة.

نعم لو جمع كل ما قيل فى تلك الفاجعة الدامية من بدء حدوثها الى اليوم لأستوعب الوف الكتب والمؤلفات وبرزت منه دائرة معارف كبرى لم يأت لها الدهر بنظير، وليس هذا هو الغرض من كلمتى هذه وانما المقصود بالبيان: أن نهضة الحسين عليه السلام على كثرة ما نظّم الشعراء فيها ممّا يجمع مئات الدواوين و أكثرمنها الخطب والمقالات وألوف المؤلفات هل ترى أن كل ذلك وجميع اولئك أحاطوا بكل مزاياها؟ وأحصوا جميع خصائصها وخفاياها؟ و وصلوا الى كنه أسرارها و عجائبها ؟ كلاّ فان اسرار تلك الشهادة ومزاياها لاتزال تتجدد بتجدد الزمان

وتطلع كل يوم على البشر طلوع الشمس والقمر لاينتهى أمدها ولا ينتفى نورها ولا يحدّ سورها ولعل أقرب مثل يضرب للحسين عليه السلام هو كتاب الله المجيد، فان هذا الفرقان المحمدى على كثرة تفاسيره و شرح نكاته ودقائقه وغوامض حقائقه واعجازه وبلاغته وباهر فصاحته وبراعته لايزال كنزاً مخفيا، ولاتزال محاسنه تتجدد واسراره تتجلى، وفى كل عصر وزمان يظهر للمتأخر من اشاراته ومغازيه ما لم يظهر للمتقدم، فكأنه يتجدد مع الدهر ويتطور بتطور الزمان.

نعم القرآن كتاب الله الصامت والحسين عليه السلام كتاب الله الناطق، القرآن كتاب الله التدويني والحسين «كتاب الله التكويني» وكل من الكتابين صنع ربوبى وعمل الهى، نعم كل الكائنات صنع ربوبى ولكن الحسين عليه السلام والقرآن صنعهما للتحدّى والاعجاز، وما تحدى الله بصنعه يعجز البشر عن الاحاطة به واستيعاب مزاياه وأسراره وبدائع أحكامه وحكمته.

القرآن يملى على البشر فى كل زمان أسرار الكون وخبايا الطبيعة ودقائق الفطرة، ونهضة الحسين عليه السلام فى كل محرم من كل سنة بل فى كل سنة تملى على الكائنات عجائب التضحية وغرائب الاقدام والثبات ومقاومة الظلم ومحاربة الظالم، تلقى على العالم دروس العزّة والاباء والاستهانة بكل عزيز من نفس او مال فى سبيل نصرة الحق وقمع الباطل والدفاع عن المبدء والعقيدة، يلقى على الواعين دروس الاخلاق الفاضلة والانسانية الكاملة، والسجايا العاليةو الملكات الزاكية وكل ما جاء به القرآن والسنّة من الخلق العظيم و النهج القويم، ولكن جاء بها القرآن قولا وطبّقها الحسين عليه السلام عملا وأبرزها للناس يوم الطف عيانا، أتريد أن تتعرف بناحية مما صنع الحسين عليه السلام يوم الطف؟ أنظر الى الكتاب الكريم فان أقصى ما طلبه من العباد فى باب الجهاد هو الجهاد بالنفس والمال فقال تعالى: ﴿ **جاهَدُوا**

بِأَمْوٰالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ ﴾[1] والحسين سلام الله عليه لم يقنع بهذا حتى جاهد بماله ونفسه وأولاده وعياله وأطفاله والصفوة من صحبه وأسرته. صنع الحسين عليه السلام يوم الطف صنع العاشق الولهان، فضحّي في سبيل معشوقه كلما اعزّ وهان كان الله تعالى أعزّ شيء عندالحسين عليه السلام، فأعزه الله صار ثارالله في الارض والوتر الموتور.

نعم قلنا ولا نزال نقول ان نهضة الحسين عليه السلام لاتحصى أسرارها ولاتنطفى أنوارها ولاتنتهى عجائبها:

وعلى افتنان الواصفين بوصفه　　　يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

فصلوات الله عليك يا «ابا عبدالله» وعلى نهضتك المقدسة التي حيّرت الافكار وأذهلت العقول وأدهشت الالباب. وأعجزت عن الاحاطة بها كل كاتب وكتاب، على مرّ الدهور وتمادى الاحقاب.

---

(١) سورة ٩ آية: ٤١. ومما هو جدير بالذكرهنا أنه ينبغي للفقهاء أن يتكلموا حول الجهاد بالمال فى سبيل الله تعالى وما المراد من ذلك؟ كما نرى أن فى كثير من الايات قدم الله تعالى الجهاد بالاموال على الجهاد بالانفس فينبغى التكلم والتحقيق فى فروعات ذلك والتوضيح والتشريح فيها فانا لانجد فى كتبنا الفقهية أن يتعرض الفقهاء لهذا المطلب المهم بل الاهم مستقلا هذا كتاب الجهادمن كتبنا الفقهية بين أيدينا ليس فى باب فى فروعات الجهاد بالمال والتحقيق حولها أولا ثم التكلم فى الجهاد بالانفس ثانياً ولعل الله تعالى ان يقبض بعد ذلك من الفقهاء من يقوم لتحمل اعباء هذه المهمة وهو الموفق.

۱٦

موقف الحسين عليه السلام واصحابه يوم الطف

لقد وقفوا فى ذلك اليوم موقفا الى الحشر لايزداد الا معاليا

وذاك لأنّ موقفهم ذلك اليوم ما كان عملا من أعمال الأنام وحادثة غريبة من حوادث الايام بل كان عملا ربوبيا ، وطلسما الهيا .

نعم هى دروس الاهية ، وتعاليم روحية ، أملاها على جوامع الجبروت وصوامع الملكوت ، لأجيال الأبدية ، وأحقاب السرمدية ، وأعقاب البشرية اكبر أستاذ الهى ، ومعلم ربوبى مع سبعين نفر من اهل بيته وخاصته ، وخرّيجى جامعته ، ما فتح الدهر سمعه وبصره على مثيل لهم قط.

وقفوا ضحوة من النهار على تلال الطف فألقوا على الأملاك والأفلاك والأرض والسماء والأنس والجن دروساً طاشت لها الالباب ، وذهلت عندها البصائر ، ذاك لأن تلك الدروس ما كانت اقوالا وكلمات ؛ والفاظا وعبارات بل كانت أعمالاً جبّارة ، وتضحيات قهارة ، وعزائم ملتهبة ؛ خاضوا لجج غمرات البلاء شعلاً نارية بل نورية التمع منها فى آفاق الأبدية سطور تسجّل احتقار هذه الحياة مهما كانت شهيّة بهيّة ، وتبرهن أنها مهما غلت وعزت فهى أرخص مايبذل فى سبيل المبدء ،

وأهون ما ينبذ فى طريق الشرف والكرامة وسمو العقيدة ونبالة الذكر الخالد والمجد المؤبد، وليست القضية قضية تقابل بين مزاج يعمل للاريحية والنخوة ومزاج يعمل للمنفعة والغنيمة ونزاع بين العقائد عراك بين الكفر والايمان. وحراب بين الشرك والتوحيد بل بين الدِّين والجهود، والروح والمادة والفضيلة والرذيلة.

نعم الحروب التى كانت بين محمّد صلى الله عليه وآله وأبى سفيان فى بدر وأحد والأحزاب سوىٰ أن الاول ظفر بالثانى بالغالبية وفى محاربة الحسين عليه السلام ويزيد يوم الطّف ظفر الأول بالثانى بالمغلوبية فانعكست القضية هنا فصار المقتول هو القاتل والمغلوب هو الغالب، المقتول غالب والقاتل مغلوب[1] نعم كان القراع والصراع على ذلك المبدء أولا وأخيراً، ولولا نهضة الحسين عليه السلام وأصحابه يوم الطف لما قام للاسلام عمود ولا أخضر له عود، ولأماته أبوسفيان وابناء معاوية ويزيد فى مهده، ولدفنوه من أول عهده فى لحده. ولعل مراد القائل بالنخوة والحميّة هذه المعانى السّامية ولمّا ضاقت عليه العبارة رمز اليه بالاشارة، وعلى كلّ فالمسلمون جميعا بل والاسلام من ساعة قيامه الى قيام الساعة رهين شكر للحسين عليه السلام وأصحابه[2] على ذلك الموقف الذى أقل ما يقال فيه.

«لقد وقفوا فى ذلك اليوم موقفا الى الحشر لايزداد الا معاليا»

---

(١) قال الشيخ الاستاذ رحمه الله فى بعض كلماته النّيرة: ان قضية الحسين عليه السلام غالبية فى صورة المغلوبية.

(٢) الحق ان يقال: ان الدعوة النبوية كملت وبلغت الى حد كما لها بقضية الحسين عليه السلام وتضحيته.

١٧

هل البكاء على الحسين عليه السلام اغراء للشيعة

هل في قراءة الخطيب للأخبار الواردة في ثواب البكاء على الحسين عليه السلام كما هو مذكور في محله من المقاتل الحسينية اغراء للشيعة يوجب حرمة قراءتها ؟

الجواب:

الأخبار الواردة في ثواب البكاء على الحسين سلام الله عليه أو زيارته فهي وان كانت عظيمة ولكنّه ولله المجد والعظمة أعظم من ذلك ويستحق اكثر من ذلك ولكنّ اللاّزم على خطباء المنابر والذاكرين لرزيّة الحسين عليه السلام في هذا العصر الذي ضعفت فيه علاقة الدين وتجرّأ الناس على المعاصي وتجاهروا بالكبائر أن يفهموا ان الحسين عليه السلام قتل وبذل نفسه لأجل العمل بشعائر الدين، فمن لايلتزم بأحكام الاسلام ويتجاهر بالمعاصي فالحسين عليه السلام منه بريء كبرائته من يزيد وأصحاب يزيد، وأما ذكر أخبار الثواب فقط ففيها أعظم الاغراء، وقد تنبّه كثير من الكتاب وذوي الألباب ونشروا ذلك من الصحف حتى أن بعضهم كتب مقالاً واسعاً في هذا المعنى وجعل العنوان (جنايتنا على الحسين) وحقّاً ان اكثر أعمالنا جناية عظمى على الحسين عليه السلام ولا مجال للبيان أكثر من هذا، وفقكم الله لكل عمل صالح بدعاء.

﴿ ١٨ ﴾

التضحية في ضاحية الطّف

انّ التضحية والمفادات التى تسامى وتعالى بها امام الشهداء وأبوالائمة يوم الطّف من أى ناحية نظرت اليها، ومن كل وجهة اتجهت لها متأملاً فيها أعطتك دروساً وعبراً، وأسراراً و حكماً تخضع لها الالباب وتسجد فى محراب عظمتها العقول، واقعة الطف وشهادة سيّد الشهداء واصحابه فى تلك العرصات كتاب مشحون بالآيات الباهرات والعظات البليغة فهى :

كالبدر من حيث التفت وجدته   يهدى الى عينيك نوراً ثاقبا

أو :

كالشمس فى كبد السماء ونورها   يغشى البلاد مشارقاً ومغارباً

أو :

كالبحر يمنح للقريب جواهرا   غرراً ويبعث للبعيد سحائبا

هذه الدنيا وشهواتها ولذائذها وزينتها وزخارفها التى يتكالب عليها البشر ويتهاوى على مذبحها ضحايا الانام، هذه الدنيا التى اتخذها كل واحد من الناس

ربّاً وصار عبداً لها ولمن في يده شيء منها فلعبت بهم ولعبوابها، هذه الدنيا وشهواتها التي أشار جلّت عظمته الى جمهرتها بقوله تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ** ﴾[1] كانت كل هذه النفائس الدنيوية قد توفر للحسين عليه السلام أكملها وأجملها :من المال والبنين و النساء والخيل المسمومة مضافا الى ما كان له من العز والكرامة وكل مؤهلات الشرف والتقدير التي استحقها بحسبه ونسبه وبيته ومواهبه وقد كان في ذلك العصر لايوازيه ولايدانيه أحد في دنيا المفاخر والمآثر، الكلّ يعترف ويعرف ماله من عظيم القدر ورفيع المنزلة؛ فسلّم المجد والصعود الى السماء بيمينه، ومفاتيح خزائن الدنيا في قبضة شماله. ومع ذلك كلّه فحين جدّ الجدّ وحقّت الحقيقة بذل كل ذلك وضحّى به في ضاحية يوم الطف، وفي سبيل المبدء كان أهون شيء عليه كل تلك النفائس، وما اكتفى حتى بذل نفسه وجسده ورأسه وأوصاله وأولاده وكل حبيب له وعزيز عليه في سبيل حبيب الأعلى ومعشوقه الأول، أفليس هو الجدير والحرى بأن يقول ؟:

وبما شئت في هواك اختبرني	فاختياري ما كان فيه رضاكا
يحشر العاشقون تحت لوائي	وجميع الملاح تحت لواكا
واقتباس الأنوار من ظاهري	غير عجيب وباطني مأواكا

---

(١) سورة ٣ آية: ١٤.

۱۹

ساعة الوداع لسيّد الشهداء عليه السلام

كلّما ازداد الشيء عظمة وتعالى خيراً وبركة، وتوفّرت غرر أوصافه من جميع أطرافه، وتسامت معاليه من كل مناحيه ازدادت حيرة العقول فيه، وقصرت الأفهام عن ادراك كنهه وأداء حقّه، هناك وما أدريك ما هناك، تقف الأفهام، وتنكسر الاقلام، وتطيش الالباب، و توصد الابواب دون الدخول الى مجاز حقيقته وحقيقة مجازه، وحلّ ألغازه، ومعرفة سرّ اعجازه مهما أطنبت وأطالت، ومهما أنشأت وقالت، فان قصاراها الاعتراف بالتقصير بل القصور عن التعبير والتصوير.

خذ اليك مثلا على ذلك هذا القرآن العظيم فقد مضى على نزوله من المبدء الأعلى من السماء الأسمى الى هذه الارض السفلى زهاء أربعة عشر قرناً ألف سنة وزهاء أربعمأة عام، وفي كل عام من الصدر الاول الى اليوم تنشر عنه المقالات وتؤلّف المؤلّفات، مطوّلة ومختصرة عن بلاغته وفصاحته، واعجاز آياته ودقائق نكاته، وربما ينوف هذا النوع من المؤلفات على الألوف بل عشرات الألوف؛ ولكن أترى ان جميع اولئك الكتبة بلغوا من عظمة مقداره عشر معشاره؟ او وزنوا دانقاً من قنطاره؟ أو انتهلوا القطرة من بحره؟ او اهتبلوا الذرّة من ذروته؟ لا ولا

وكلا و لقد احسن العارف ابن الفارض فيما فرض فى احدى عرفانياته حيث قال:

وعلى افتتان الواصفين بوصفه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

ولعل من قال انّ القرآن لم يفسر حتى الآن لم يبالغ فيما قال كل ذلك لتعاظم القرآن وتساميه، وارتفاع أفق أسراره عن أفق ادراك البشر.

ومن هذا القبيل وعلى هذا السبيل فاجعة الطف التى حدثت عام احدى وستين هجرية، ولايزال المؤرخون وأرباب السير والمقاتل والفلاسفة والأدباء وكتبة الشرق والغرب يكتبون عنها باحثين عن جريان سيرها وتسلسل اسبابها، وأليم وقعها، وعظيم هولها نظماً ونثراً، و تمثيلا وتحليلا، حتى لو أمكن تعداد نجوم السماء، وجاز الصعود الى الجوزاء أمكن احصاء كل ما قيل وما نظم وما نثر فى هذه الحادثة النكراء التى ما حدث فى عصر من العصور نظيرها ولاحدث التاريخ بمثلها، ولكن كأن كل من كتب فيها اوجز او أطنب وقصر او أطفل ما اعترضها الامن ناحيتها السطحية ولا تناولها الّا من وجهتها التاريخية، وما أقل من استطاع سبر جرحها الدامى وغورها العميق، وأسرارها الغامضة من كل ناحية من نواحيها وكل فصل من فصولها، لانه على الغالب غير مستطاع لهم ولا تصل الى أقله أكثر او اكبر مداركهم.

على القاعدة التي افتتحنا بها كلمتنا من أن الشيء كلما ازداد عظمة تزداد فيه الحيرة، فترتبك الافهام، وتقف الاقلام، وتعجز الارقام، قل لى بربك: ريشة أيّ رسّام مصور مهما كان فنانا بارعا ومصورا ماهراً يستطيع أن يمثل ويصور لك حالة الحسين سلام الله عليه بعدالظهر بساعتين من يوم عاشوراء بعد مصرع جميع أولاده واخوته و بنى أخيه وبنى عمومته جعفر وعقيل وجمهرة أصحابه حتى الاطفال والشباب الذى لم يبلغ الحلم، فهاهى جثثهم على رقعة الارض المحمّرة

بدمائهم فى حرّ الهجير تصهرهم الشمس نصب عينه بين المعارة والمخيم، وقد خفقت أجنحة المنيّة على رأسه، وجراحاته تشخب دما، وقد بنى عليه درعه بنيانا، وحال العطش بينه وبين السماء كالدخان، ولما راى انه لم يبق بينه وبين الشهادة الاسويعة، ليس بينه وبين هبوط جسده المبضع الى الارض وعروج روحه المعذبة الى السماء، نعم لم يبق الا هذه الحملة الاخيرة يدخل الى الميدان ثم لايخرج منه الا ورأسه على السنان.

نعم من ذا الذى يقتدر أن يصوّر لك الحسين عليه السلام وقد تلاطمت امواج البلاء حوله، وصبّت عليه المصائب من كل جانب، وفى تلك الحال عزم على توديع العيال ومن بقى من الاطفال؛ فاقترب من السرادق المضروب على حرائر النبوة وبنات على عليه السلام والزهراء عليها السلام، فخرجت المخدرات من الخدور كسرب القطاء المذعور، فأحطن به وهو سابح بدمائه، فهل تستطيع أن تتصور حالهن وحال الحسين عليه السلام فى ذلك الموقف الرهيب ولايتفطّر قلبك ؟ ولا يطيش لبّك ؟ ولا تجرى دمعتك ؟ أما أنا فيشهدالله وكفى به شهيداً انى اكتب هذه الكلمات عصر هذا اليوم من محرم سنة: (١٣٧٣) هـ ولعلها الساعة التى وقف فيها سلام الله عليه لوداع اهل بيته اكتب والقلب يرتجف، والقلم يرتعش والعين تدمع والحشا تذوب وتتلاشى. لاأدرى كيف أعبّر ؟ وكيف أصوّر ذلك الموقف المهول ؟ وأعجب كيف لم تسقط السماء على الأرض أسى وحزنا ولوعة وشجواً ؟ غيرة الله وحجته يريد ان يرتحل من هذه الدنيا ويترك هذه الحرائر المخدرات فى تلك الصحراء، يتركهن فى الصحراء بين جثث القتلى ومصارع فتيانهن، وبين الوحوش الكاسرة التى قتلت رجالهن وأطفالهن، تدبر ما شئت وفكر ما وسعك التفكير، وتأمل كيف حاله سلام الله عليه فى فراقه لهن وهن بذلك الوضع الشائك، وكيف حالهن فى فراقهن له وهو غيرة الله، وهن ودائع الله، وودائع رسوله، تجسّمت للحسين عليه السلام عند التوديع

فى تلك البرهة القصيرة، و تمثل له كل ما تصبه سحائب المصائب على هذه الحفنة من اليتامى والنسوة الثواكل اللاتى مافيهن الامن فقدت عزيزها من ولدا وأخ او زوج وكم فيهن من فقدت كل اولئك وكل عميد لها وزعيم.

مشى الدهر يوم الطف أعمى فلم يدع عـــميداً لهــــا الا وفــيه تــعثرا

تمثّل للحسين عليه السلام حالهن من ساعته تلك الى رجوعهن إلى المدينة، وأشـد مـا يشجيه ويبكيه لو كان مجال للبكاء ما يمرّ عليهن تلك الليلة ليـلة الحـادية عـشر وصبحها يوم الرحيل مفكّرا من يراقبه تلك الليلة الحـادية عـشر وصـبحها يـوم الرحيل مفكّرا من يراقبهن تـلك اللـيلة فى تـلك الصـحراء ومـن يحـميهن ومـن يطعمهن؟ و من يسقيهن؟

نعم وهو سلام الله عليه امام كل هذه الخواطر صابر، وبينما هو يودّع ودائع النبوة ويأمرهن بالصبر[1] اذا استعجله جيش بنى امية وناداه مناديهم: للـنزال ودخـل خيمة النساء فودّعنه ولسان حال كل واحدة يقول:

ودّعـــته وتــؤدّى لو تــوّدعنى روح الحــياة وانى لا أو دّعــه

---

(١) رجع الحسين عليه السلام الى حرمه مرة اخرى و ودعهم وامرهم بالصبر و وعدهم الثواب والاجـر وامـرهم بلبس أزرهم وقال لهم استعدوا للبلاء واعلموا ان الله حافظكم وحاميكم وسينجيكم من شر الاعداء ويجعل عاقبة أمركم الى خير ويعذب اعدائكم بانواع البلاء ويعوضكم الله عن هذه البلية أنواع النعم والكرامة فلاتشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص قدركم ثم توجه الى قتال اعدائه.
قال عمر بن سعد: ويحكم اهجموا عليه مادام مشغولا بنفسه وحرمه والله ان فرغ لكم لاتمتاز ميمنتكم عن ميسرتكم، فحملوا عليه يرمونه بالسهام حتى تخالفت السهام بين اطناب المخيم وشك سهم بعض أزر النساء فدهشين وارعبن وصحن ودخلن الخيمة ينظرن الى الحسين عليه السلام كيف يصنع فحمل عليهم كالليث الغضبان فلايلحق احداً الا يعجه بسيفه فقتله والسهام تاخذه من كل ناحية وهو يتقيها بصدره ونحره انظر مقتل الحسين عليه السلام او حديث كربلا ص ٣٢٣ ط ٢ النجف، لسيدنا الحجة السيد عبدالرزاق المقرم النجفى وجلاء العيون للسيد عبدالله الشبر رحمه الله ج ٢، ص ٢٠٥ النجف. يظهر من قوله عليه السلام وأمرهم بلبس أزرهم... أنه أمرهم بحفظ حجاب نسائهم.

۲۰

هل تكلم رأس الحسين عليه السلام ؟

نسمع من الذاكرين أن رأس الحسين عليه السلام قد تكلّم غير مرّة ويروون بذلك أخباراً شتّى ورواياتاً مختلفة كخبر زيد بن أرقم وابن وكيدة وغيرهما، ويروون انه قد تكلم فى مجلس يزيد، فهل هذه الاخبار صحيحة أم لا ؟ فان كانت صحيحة فهل يمكن ان يقع مثل هذه المعجزة العظيمة الخارقة للعادة بمرأى من الناس و مسمع ولا يرتدع منهم أحد ؟ أو يرميه بالسحر كما رموا النبى صلى الله عليه وآله بذلك ؟ أو يغالون فيه كما غالوا فى الامير عليه السلام لما ظهرت على يديهما بعض المعاجز ؟ فان التاريخ لم ينقل لنا شيئا من ذلك، وهل يجوز أن يكون جميع الذين شاهدوا ذلك الامر العظيم معاندين مكابرين ؟ هذا ما نرجو الجواب عنه، ولكم جزيل الاجر والثواب.

الجواب:

نعم خبر زيد بن ارقم[1] وابن وكيدة مروى كلاهما فى بعض الكتب المعتبرة،

(١) وممّا هو جدير بالذكر انه لا بدع فى القدرة الالهية والحكمة الربانية بان مكنت رأس الامام المظلوم

←

. . . .

← الباذل مهجته فى سبيل الله واحياء دينه واقامة توحيده من الكلام للمصالح التى تقصر عن الوصول الى كنهها ولا يحيط عقولنا بجميع جهاتها بعد ان اودعت فى « الشجرة » قوة الكلام مع نبىّ الله موسى بن عمران عليه السلام عند المناجات كما نص عليه فى القرآن (سورة ٣٨ آية ٣٠) وهل يقاس الشجرة برأس المنحور فى طاعة الرحمن واطاعة السبحان ؟... كلاّ. وقد نص القرآن الكريم بانطاق الجوارح وتكلم الاعضاء من البشر يوم النشور بما فعلته فى دار الغرور وقال تعالى: ... شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم ... وقالوا الجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كلّ شىء ... (سورة ٤١ آية: ٢٠ و ٢١) و قال تعالى: يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون (سورة ٢٤ آية: ٢٤).

وحمل هذه الايات وغيرها على خلاف ظاهرها من دون حجّة وبرهان ممّا لا يقبله العقل والوجدان مع تأييد العلم والعيان فى هذا الزمان ظواهر تلك الايات من القرآن ولذا لا يقدم على فتح باب التأويل عليها من كان من اهل الايمان اللهم الاّ ممن ليس هو من اهل العلم والفرقان وان يدعى التمسك بالقرآن.

فبعد تصريح القرآن بان الجوارح تنطق وتتكلم وتشهد يوم الحشر باعمال الانسان فلا غروفى تكلم الرأس الاطهر من سيد شباب اهل الجنان بقدرة الله تعالى وانطاقه وهو بضعة من سيد الانس والجان.

وصدر هذه الكرامة الباهرة من ذلك الرأس المطهر ليتم على الظالمين الحجّة ولكن طبع على قلوبهم وعلى ابصارهم غشاوة. « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ـ سورة ٢ آية: ٧».

ولرئيس المحدثين الشيخ الصدوق رحمه الله كلمات نيّرة صدع بها فى جواب السلطان ركن الدولة رحمه الله لها تعلق تام بهذا الموضوع لا بأس بنقلها لتزيد بصيرة للقارىء الكريم: وقد نقل فى ترجمة الشيخ الصدوق رحمه الله: ان السلطان ركن الدولة جلس يوما على عرش السلطنة وشرع على الاطراء والثناء على الشيخ الصدوق رحمه الله لانه راى قبل ذلك اليوم بيانات الشيخ رحمه الله وتكلماته المذهبيّة على ضوء العلم والمنطق. فاعترض احد الحضار على السلطان: ان اعتقاد الشيخ رحمه الله على ان رأس سيد الشهداء عليه السلام يوم حمل على القناة كان يقرأ سورة الكهف فقال الملك: لم اسمع منه هذه المقالة ولكنى أسأله فكتب اليه يستفتيه ويسأله عن هذا المطلب فكتب الشيخ الصدوق رحمه الله فى الجواب:

ان هذه الرواية محكية ممن سمع من رأسه المطهر انّه يقرأ عدّة آيات من سورة الكهف الاّ ان ذلك غير منقول من أحد الائمة المعصومين عليهم السلام ومع ذلك لا ننكره بل هو صواب لاءنا اذا جوزنا فى يوم الحشر تكلم أيدى الظالمين والعاصين وأرجلهم كما نطق به القرآن وقال تعالى: «اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون (سورة ٣٦ آية: ٦٥) فكذا يجوز أن ينطق رأس الحسين عليه السلام ويتلو القرآن لكونه خليفة الله وامام المسلمين ومن شباب أهل الجنّة وسيدهم وسبط النبى صلى الله عليه وآله وابن وصيّه وأمّه فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين صلوات الله عليهم أجمعين بل انكار هذا المطلب يؤل فى الحقيقة الى انكار قدرة الله تعالى وفضل الرسول صلى الله عليه وآله والعجب ممن ينكر صدور امثال ←

والمراد هنا الاعتبار التاريخي لا الاعتبار الذي عليه المدار في الاخبار التي يستنبط منها الاحكام الشرعية من الصحيح والحسن والموثق، بل هو من قبيل قولنا تاريخ الطبري وتاريخ ابن الاثير، معتبران، ويكفي في هذا المعنى من الاعتبار للخبر أن ينقله مثل صاحب البحار والطريحي في المنتخب، فضلا عما لوراه السيد بن طاووس، في اللهوف او الشيخ المفيد، وفي الارشاد ونظرائهم، والظاهر ان مثل هذه الكرامات (ولاتسمّى معجزات) على تقدير صحّة وقوعها ما وقعت بمرأى من عامّة الناس وانما هي خصوصية لبعض الافراد الناقلين لها لحكمة هناك اما مجهولة لنا او معلومة، وعلى تقدير وقوع شيء من ذلك بين امة من الناس وجمهرة من البشر،[1] فلايلزم من ذلك ان يرتدعوا، وكم وقعت من الانبياء معجزات بين

← هذه الامور ممن بكى عليه الملائك في مصيبته وتقاطر الدم من السماوات في رزيته وناح عليه الجن بأصواته ومن انكر هذه الاخبار خوارق العادات مع كونها صحيحة فيجوز له انكار جميع الشرائع والمعجزات الصادرة من النّبي صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام بل وجميع الضروريات الدينية والدنيويّة فانها ايضا قويّة السند صحيحة الطرق قد حصل لنا العلم بمضامينها.

اقول وليعلم بعض شباب العصر الذين لم يطلعوا على حقائق القرآن ولم يخوضوا في المطالب الدينيّة ان انكار تكلّم رأس سيد الشهداء عليه السلام على القناة وصدور بعض خوارق العادات من ذلك الرأس المطهر وكذا انكار بعض ما نقل من طريق الاحاد عن الصديقة الطاهرة عليها السلام من الاعمال والكرامات الخارقة للعادة وان لم يخرج المنكر عن مذهب التشيع وربقة الاسلام ولكن هذا الانكار وسلوك هذا الطريق الوعريفضي بالاخرة الى انكار المتواترات والضروريات ويتورط الانسان في المسالك الوعرة والمهالك المظلمة والغياهب المدهشة: من انكار المعاد وحشر الاجساد وامثال ذلك. ويعلموا يقيناً ان شيوع انكار هذه المنقولات بطريق الاحاد بينهم ليس الّا من ناحية اعداء الدين وخصماء الاسلام للاخلال تدريجاً الى الاعتقاديات الضرورية ومحو الاساسيات عن قلوبهم واذهانهم ونسفها ليصلوا الى مقاصدهم المشومة ونيّاتهم الممقوتة وتسلّطوا على شئون الامّة كلها ألا قاتل الله اذناب الاستعمار وقد تداخلوا في جميع شئوننا وأمورنا وافسدوا اخلاق الامة لاستجلاب ميول اسيادهم أئمة الكفر والطغيان وانبياء الشر واعوان الشيطان. خذلهم الله.

(١) كما يظهر للقارىء الفطن بعد الفحص والتأمل في معجزات رسول الله صلى الله عليه وآله ان بعضا نادرا منها لم يكن ←

أممهم فلم يرتدعوا حتى أصابهم العذاب، وعدم ارتداعهم واصرارهم ليس بأعظم من اصرارهم على القتل من غير جرم ولاجناية، وقد ورد في الاخبار المعتبرة ان رأس يحيى بن زكريا تكلم بعد قتله مع الجبار الذى أمر بقتله وقال له (انها لاتحل لك) عن المرأة التى تزوجها وأمرته بقتل يحيى فلم يرتدع[1] وسرّ ذلك كله ان الحرص والشهوة والطمع اذا استحكم فى النفس وصار خلقاها وطبعا فيها لم يكن شيء من العبر والعظات مؤثراً فيها (وحبّ الشيء يعمى ويصم) فاذا شاهدت

← ظاهرا لعموم الناس ومرآهم فى كل الاوقات كتظليل الغمامة على راسه الشريف فانها كانت ظاهرة لبعض الناس دون بعض من غير فرق قبل البعثة وبعدها ويظهر ما ادعيناه واضحا مكشوفاً لمن تتبع وتأمل معجزات رسول الله ﷺ وسيرته انظر الى قصة الراهب «بحيرا» فى «بصرى» فى مناقب ابن شهر آشوب(ره)، ج ١، ص ٣٦ـ٣٧ ط النجف. قال الراهب: انى لارى ما لاترون واعلم ما لاتعلمون... ولقد رايت له وقد اقبل نورا امامه ما بين السماء والارض ولقد رايت رجالا فى ايديهم مراوح الياقوت او الزبرجد يروحونه وآخرين ينثرون عليه انواع الفواكه ثم هذه السحابة لاتفارقه... الخ يظهر من ملاحظتها ان هذه الخوارق العادات كان يراها الراهب و ابوطالب عليه السلام دون غيرهما من قريش ثم شرع الراهب يخبرهم بمارآه.

والظاهر ان من هذا القبيل عدم الظل لرسول الله ﷺ وانه ايضا لم يكن بمرأى من عامة الناس فى عامة الاوقات. وغير خفى ان خوارق العادات الصادرة عن رسول الله ﷺ قبل البعثة تسمى «ارهاصات» وصدر عن رسول الله ﷺ ارهاصات كثيرة ذكر المؤرخ الشهير فريد وجدى المصرى مقدارا منها فى «دائرة المعارف» فى مادة «رهص» ج ٤، ص ٣٠٠، ط ٣ مصر، فراجع.

ومما ينبغى لفت النظر اليه هو ان الراس الاقدس قرأ القرآن فى حشد فى الناس ايضا كما نقل انه حينما نصب فى موضع الصيارفة وهنا لغط المارة وضوضاء المتعاملين فاراد سيد الشهداء عليه السلام توجيه النفوس نحوه ليسمعوا بليغ عظاته فتنحنح الراس الشريف تنحنحا عاليا فاتجهت اليه الناس واعترتهم الدهشة حيث لم يسمعوا راساً مقطوعا يتنحنح قبل يوم الحسين عليه السلام فعندها قرأ سورة الكهف الى قوله تعالى: «انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ولاتزد الظالمين الاضلالا». انظر مقتل الحسين للمقرم، ص ٤٠٢، ط ٢ النجف.

(١) كما نقل الحجاج بن يوسف الثقفى بعد ما قتل التابعى الكبير جهبذ العلماء وعالم الشهداء ومن لم يكن على الارض احد الا وهو محتاج الى علمه اعنى سعيد بن جبير (رض) وسقط راسه الشريف الى الارض قال: «لا اله الا الله»،

فهل ارتدع ذلك الظالم الغشوم؟ =كلا وكلا. قتله سنة: (٩٥) هـ بواسط ودفن فى ظاهرها وقبره بها.

النفس من تلك الغرائب شيئا انصرفت عن التـفكر بـه وتـرتيب الاثـر عـليه او تصرفت فيه بالتأويلات وصرفته عن وجه الحقيقة، وان أمة تـقتل عـترة نـبيها وتسبي عياله لاتستبعد عليها جهود معجزة له او كرامة، ولو أنعمت النظر في رجال عصرنا الحاضر وما يرتكبون من الجناية على هذه الامة المسكينة وما يـقترفون من الخيانة والغدر لحقوقها حتى اسقطوها في هوة الافلاس والفقر المدقع والهلاك المؤبد لوجدت من أبناء عصرك وسماسرة مصرك المتربّعين على دست الحكم بقوة الظالم الغاشم وعدو العرب والاسلام ما هو أشنع وافظع ممّا يحدثنا التاريخ عنه من أبناء العصور الغابرة وابناء الملوك الجائرة، فلا تستبعد شيئا بعد الذي تراه بعينك في زمانك وأوطانك والسلام.

۲۱

هل كان خروج الامام عليه السلام القاء النّفس الى التهلكة ؟

ما تقول فى خروج اميرالمؤمنين أرواحناه فداه ليلة ۱۹ رمضان مع علمه بقتل ابن ملجم له كما يظهر من كلامه لأم كلثوم ، وكلامه لابن ملجم : لو شئت لاخبرتك بما تحت ثيابك ، وقصة أوز وغير ذلك من الدلالات ، وهل هذا الخروج من باب القاء النفس الى التهلكة ؟

الجواب:

معاذالله ان يكون ذلك من باب القاء النفس الى التهلكة بل هو على الاجمال من باب الجهاد الخاص على الامام لاالجهاد العام على عموم الاسلام. يعنى انه من باب المفادات والتضحية والتسليم لامرالله سبحانه فى بذل النفس لحياة الدين وتمييز الحق من الباطل ، ليهلك من هلك عن بيّنة ويحى من حى عن بيّنة ، ويميزالله الخبيث من الطيب ومن هذا الباب اقدام الحسين عليه السلام على الشهادة مع علمه بأنه مقتول لامحالة .

ولاشك انهم سلام الله عليهم كانوا يعلمون بكل ذلك باخبار النبى صلى الله عليه وآله وحياً ،

ولكن يحتملون فيه ان يتطرق اليه البداء ويكون من لوح المحو والاثبات وان يكون ثابتا خلافه فى العلم المخزون المكنون الذى استأثر الله سبحانه به لنفسه فلم يظهر عليه ملكا مقربا ولانبيا مرسلا ، وباب البداء باب واسع لامجال هنا لشرحه ، وفى هذا كفاية ان شاء الله .

٢٢

سؤال عن تضحية أصحاب الحسين عليه السلام

ذكر المؤرخون وأهل السير بأن الحسين عليه السلام أحلّ أصحابه من بيعته يوم كربلاء وأذن لهم بالانصراف وقد أبوا الاّ مواساته ، فان صح ذلك فكيف يحلّهم من بيعته والحال انه خلاف الضرورة من دين المسلمين : من مات وليس فى عنقه بيعة لامام زمانه مات ميتة جاهلية ؟ فكيف يأمرهم عليه السلام بذلك ؟ ويقول لهم أنتم فى حل من بيعتى مع مايترتب عليه من المحذور وهو ميتة الكفر ، ثم أليس الجهاد معه واجب ؟ وحفظه عليه السلام على الامّة واجب ؟ فكيف يأمرهم بترك الواجب وقد صمّموا على الجهاد والدفاع عنه حتى المات ؟ ولما كان امره واجب الطاعة فكيف لم يتفرقوا عنه حينا أمرهم بالتفرق عنه ؟ فبقائهم معه مع امره بالتفرق عنه معصية و حاشاهم المخالفة لامر امامهم و نهيه وهم العالمون بأن طاعته واجبة.

وان قيل : انه اراد اختبارهم واقامة الحجة عليهم. فيقال :هذا لايصح لان الاختبار انما يصح مع مشكوك الحال او معلوم النفاق عند المختبر (بالكسر) لتتمّ الحجة عليه فى ذلك الحال ، أما هؤلاء الصفوة والعلماء الابرار فان ذلك لهم من قبيل تحصيل الحاصل لانهم رضوان الله عليهم بأعلى مراتب الايمان والتقوى وانهم

لم يطلقوا حلائلهم ولم يعرضوا عن زهرة دنياهم ، ويناصروا الحسين عليه السلام الّا وهم على بصيرة وعلم من أنه عليه السلام امام تجب طاعته وتحرم معصيته ، فكيف يختبرهم بعد هذا الاخلاص والمعرفة الثابتة بوجوب طاعته ؟

الجواب:

أن فاجعة الطّف قضية هى الوحيدة من نوعها واليتيمة فى بابها خرجت عن جميع القواميس والنواميس ولاينطبق عليها حكم من أحكام الشرائع السماوية ولا الأرضية لا الدينية ولا المدنية ، ولاينفذ فى فولاذها الحديدى (لماذا ولأن) قل لى بربك أىّ حرب فى العالم برزفيها سبعون نفر ازاء سبعين ألف اولئك عطاشا قد كظّهم الجوع والظمأ وهؤلاء ملاءى البطون من الطعام والشراب ، اولئك مقسمة أفكارهم موزّعة ألبابهم بعيالهم وأطفالهم المعرّضة للنهب والسلب ، وهؤلاء وادعة نفوسهم مجتمعة افكارهم حيث لاعيال ولا أطفال ولاجوع ولاعطش ، قل لى بربك أىّ حرب يبرز فيها غلام لم يبلغ الحلم ولم يجر عليه قلم التكليف بصوم وصلاة فضلا عن الجهاد فيأذن له عمّه[1] فى المبارزة ويتقدم الى سبعين الف من الابطال الامعة سيوفهم مشرعة رماحهم ، أفما كان اللازم بحكم الشرائع السماوية ان يقول له عمّه أنت غير مكلّف بجهاد ولادفاع ؟ ويجب علينا ان ندفع عنك لاأن

(١) كقاسم بن الحسن عليه السلام خرج وهو غلام لم يبلغ الحلم فلما نظر اليه الحسين عليه السلام اعتنقة وبكى ثم استأذن فاذن له فبرز كأن وجهه شقة قمر وبيده السيف وعليه قميص وازار وفى رجليه نعلان فمشى يضرب بسيفه فانقطع شسع نعله اليسرى وأنف ابن النبى صلى الله عليه وآله ان يحتفى فى الميدان فوقف يشد شسع نعله وهو لايزن الحرب الابمثله غير مكترث بالجمع ولامبال بالالوف .

وكان خرج قبله اخوه لامه وابيه ابوبكر بن الحسن عليه السلام وهو عبدالله الاكبر وأمهام ولديقال لها رملة فقاتل حتى قتل رضوان الله عليه. وكان عبدالله زوج سكينة بنت الحسين عليه السلام فقتل قبل ان يبنى بها انظر اعلام الورى ، ص ٢١٣. انظر (مقتل الحسين) للمقرم، ص ٣٠٦، ط ٢ النجف.

تدافع عنّا، فكيف يأذن له عمّه العطوف الرؤوف حتى يقتل ويصرع نصب عينيه، ثم يبرزله أخ أصغر منه غلام[١] بل دون الغلام فى أول الصبا وغضارة العمر وطراوة الشباب فيقتحم الميدان الذى ترتجف من رؤيته العقول والابدان، فيضرب به أحد العتاة من عسكر العدو على رأسه ضربة صرعته وضربة أخرى على يده فأبانها من المرفق وبقيت معلّقة، فنادى واعماه وعمّه ينظر اليه فيسرع اليه قائلا: عزّ على عمّك ان تدعوه لا يجيبك او يجيبك فلايغنى عنك هذا يوم كثر واتره وقلّ ناصره، ويبقى الغلام يتفحّص برجليه حتى يموت، قل لى بربك اى حرب برزت فيها ربات الحجال الى القتال واشتبكت مع الرجال وحملت على الابطال بعمود الخيمة.

قل لى بربّك أىّ حرب منع فيها العدو الماء حتى عن النساء والأطفال فانّ الطاغى معاوية[٢] وان سبق الى ذلك فى صفين ولكن لم يكن فى معسكر اميرالمؤمنين عليه السلام سوى الرجال، قل لى بربك أى حرب حملت الرؤوس فيها على اطراف الرماح يطاف بها من بلد الى بلد، فانّ الجبت والطاغوت معاوية وان حمل اليه رأس الصحابى الجليل عمر وبن الحمق الخزاعى وهو اول راس حمل فى الاسلام ولكن ما حمل على الرمح ولاطيف به فى البلدان.

قل لى بربك أىّ حرب فى الاسلام بل وفى الجاهلية حملت فيها المخدّرات المصونات مع أطفالهن مسبية بتلك الصورة المهولة من بلد الى بلد ولو أردنا ان نحصى ونستقصى الفظائع التى اقترفتها يدالاثم والعدوان فى حادثة الطف وذيولها تلك الفظائع التى خرقت النواميس و مزقت القواميس ولاينطبق عليها أىّ حكم

---

(١) هو عبدالله بن الحسن عليه السلام كان له احدى عشر سنة.

(٢) انظر الى مخازى ابن آكلة الاكباد وصحائف تاريخه السوداء فى الجزء العشر من الاثر الخالد «الغدير» للعلامة الامينى رحمه الله والنصايح الكافية وغيرها.

من الأحكام ولاتسيغها شريعة من الشرايع، لاقتضى ذلك تأليف كتاب يشجبك ويشجيك، ويضحكك ويبكيك.

اما ما أشكل عليك من جعل الحسين سلام الله عليه أصحابه فى حلّ من بيعته فليس محل العجب منه وموضع السؤال وعقدة الاشكال معكوسة وهى انه سلام الله عليه كيف أباح لهم الجهاد معه وهو يعلم كما قال لهم ان القوم انما يطلبون شخصه الكريم فقط، وانهم لو ظفروا به لم يكن لهم حاجة بغيره، ويعلم هو كما يعلم كل واحد منهم انهم لايستطيعون دفع القتل عنه مهما جاهدوا واجتهدوا، اذا ألّا يكون جهادهم معه من العبث والقاء النفس فى التهلكة بغير فائدة فكيف رضى سلام الله عليه منهم بذلك ؟ وهذا هو السرّ الغامض الذى يحتاج الى البحث والنظر لاما ذكرته من جعلهم فى حل من بيعته، وليس معنى ذلك انه أسقط عنهم التديّن بامامته الّتى جعلها الله طوقاً فى عنق كل مكلف يستحيل نزعه وخلعه، وليس هو المقصود من جعلهم فى حلّ من بيعته كما توهّمت.

نعم العقدة التى لاتحل ولعل سرّها الغامض لايعلمه الا الله والراسخون فى العلم هو هذه الناحية، فانّ المعلوم بضرورة العقل والنقل وفى عامّة الشرائع والأديان ان الجهاد انما يجب أو يجوز مع احتمال السلامة ورجاء الظفر والغلبة أما مع اليقين بالهلكة والمغلوبية فهو اتلاف للنفوس بغير فائدة[1] فاصحاب الحسين عليه السلام لو تركوا

---

(١) ان الحسين عليه السلام امام معصوم و انسان حكيم فلايخفى عليه الصواب ويتجلىّ اصابة الحسين عليه السلام فى موافقته على تضحيتهم معه بعد تخييرهم بالرجوع الى الرأى الحديث فى العمل السياسى، وخلاصته ان التاريخ من صنع الانسان افراداً وجماعات ولاتجرى حوادث التاريخ بصورة عفوية آنية وبدون ارتباط بالحوادث السابقة، فحوادث التاريخ مترابطة ولذلك لابد فى العمل السياسى لاجل الوصول لغاية معيّنة من العمل المستمر والجهاد المستمر، فالتضحية فى سبيل الحق على اختلافها وان لم تكن ذات فائدة آنية فانها تثمر فى المستقبل خصوصا الشهادة فى سبيل الحق فانها تنبه الافكار وتهيج النفوس

←

اقتحام هذه المعركة وتباعدوا عنها لم يكن العدو يتعقّبهم وليس له أيّ غرض بهم، ولما دخلوا فى الحرب لم يحفظوا الحسين عليه السلام ولم يحفظوا أنفسهم فكان اللازم البقيا على أنفسهم ولعل بقائهم وسلامتهم أنفع للحسين عليه السلام وعياله من قتلهم واستئصالهم، هذا هو الامر المشكل والسرّ الغامض لاجعلهم فى حلّ من البيعة الذى هو بمعنى اسقاط الجهاد عنهم أو الدفاع الذى هو ساقط بطبعه وبذاته، والله هو العالم بأسرار أوليائه وحكمة احكامه وقضائه، وله الحمد.

← لطلب الثار ومواصلة الكفاح للوصول الى الهدف والغاية، فالمهم فى العمل السياسى ان تكون الغاية شريفة والوسيلة شريفة مع المثابرة والاستمرار وقوة الايمان، وقد ظهرت على مرّ القرون آثار تضحيه الحسين عليه السلام وأعوانه وانه لولا شهادته لكان الاسلام ديناً يزيدياً ولم يبق من الاسلام الحقيقى شىء.

۲۳

سكينة بنت الحسين عليها السلام وتعاطى الشّعر

هل الأخبار الواردة فى سكينة بنت الحسين عليها السلام من تعاطيها الشعر وبلوغها درجة الحكم بين الشعراء وكثرة مراجعتهم لها فى مجلس أعدّ لذلك كما فى الأغانى وغيره صحيحة عندكم ؟ فان صح ذلك فالمرجو التفضّل بكلمات تؤيّد تلك الأخبار ويحتجّ بها على من أباها ونفاها ، وان لم تصح فتصدقوا علينا ببسط كلام فى التشنيع على من صدّق تلك الاخبار واعتقد بها وأهلّ سكينة لمحادثة الرجال ومراجعتهم فى الاشعار ومناظرتهم فيما نظّم بالشعر وغيره.

الجواب:

فاعلم وفّقك الله ان أول من روى هذه الاخبار ونشرها على الظاهر هو ابوالفرج الاصفهانى فى كتاب الاغانى ، وكل من رواها بعده فعليه اعتمد ومن شرعته ورد. اما من قبله من الثقات الاثبات كابن قتيبة فلم يذكر شيئا منها فى شىء من كتبه وكذلك ابن طيفور فى بلاغات النساء وهما أقدم من ابى الفرج بكثير ، ومن المعلوم

ان كتاب الاغانى كتاب لهو وطرب[1] يجمع فيه كل غثّ وسمين، اذ ليس المقصود منه على الاكثر سوى الفكاهة وأحاديث السمر، وابوالفرج وان كان ثقة لايكذب ولكنه كثيراً ما يروى عن الكذّابين ولايعنيه أمر الصحة والضعف فى الاخبار، ويسرد كل ما وصل اليه مهما كان، والاحاديث التى رواها فى سكينة منها مقطوع بكذبه وأنه من المجعولات وأحاديث السمر، مثل حديث ابن سريج مع سكينة فانه من السماجة والسخافة بحيث يدرك كل احد جعله وكذبه، ولاسيما وان راويه

---

(١) ابوالفرج الاصبهانى المتوفى سنة: (٣٥٦) هـ = مروانى النسب مروانى النزعة ولذلك الف لأقاربه الامويين من ملوك الاندلس كتبها وصيرها اليهم سرّا فاتته الجائزة منهم سراً.

وقد ارسل المؤرخون تشيعه حتى تسرب الوهم منهم على جملة من الشيعة فذكروه فى كتب رجالهم وذهب عنهم ان هذه الاكذوبة امر دبرليل وانما فعلوها ليحملوا الشيعة أوزارا مما اثبته من هناته وليس فى كتبه وشعره ايّ صراحة بانتمائه الى مذهب اهل البيت عليهم السلام عدا الشعارات لاتعدوا ان تكون تزلفا منه الى ملوك وقته آل حمدان وامرائه ممن ينتمون الى ولاء العترة الطاهرة عليهم السلام ويصلون مادحيهم بعطائهم الجزيل ولذلك الّف كتاب «مقاتل الطالبيين».

فالحق مع العلامة الخونسارى صاحب روضات الجنات رحمه الله فيما ابداه من الرأى فى حق ابى الفرج و تحامل المحدث العلامة النورى رحمه الله فى خاتمة «المستدرك» عليه ليس على ضوء التحقيق والتحليل الصحيح بل جمود على اقوال بعض علماء الرجال من الشيعة مع انهم ذكروه من الشيعة الزيدية اعتمادا على الشهرة الكاذبة بين المؤرخين قال ابن الجوزى فى المنتظم = ج ٧، ص ٤٠ ـ حوادث سنة: ٣٥٦ = لايوثق برواية أبى الفرج لانه يصرح بكتبه بما يوجب الفسق عليه وتهاونه بشرب الخمر وربما حكى ذلك عن نفسه ومن تأمل كتاب الاغانى راى كل قبيح ومنكر.

وللدكتور ذكى مبارك كلمة قيمة وقد اتى فيها بالحقائق الراهنة وصوّرت الرجل وكتابه الاغانى بما يفيد للقارى، زيادة بصيرة بما عليه من الخلاعة والمروق عن الدين وفراغ الكتاب ـ الاغانى ـ عن الحقائق التاريخية وقال هو كتاب ادب لاكتاب تاريخ اراد ان يقدم لاهل عصره اكبر مجموعة تغذى الأندية ومجامع السمر ومواطن اللهو ومغان الشراب وقد جاءت احاديث الاغانى مروية بالسند والرواية بالسند شيء ساحر فتن به كثير من الناس وظنّوه علما دقيقا له آداب وشروط واعتمادا على هذا العلم الدقيق اطمأن كثير من الباحثين الى روايات الاغانى فضلّوا واضلوا فى حقائق التأريخ.

انظر كتاب «النثر الفنى» ج ١ ص ٢٣٤ = ٢٤٥ ط مصر وكتاب «السيدة سكينة» ص ٤٠ = ٥٤ لسيدنا الحجة السيد عبد الرزاق المقرم النجفى رحمه الله وممن اعتمد على الاغانى فى جعله هذا الكتاب مصدراً لنقل التواريخ هو «جرجى زيدان» فى تأليفاته.

حماد الرواية[١] المشهور بالكذب وكان يضع القصص والوقائع وينشىء الاشعار وينسبها الى العرب، وكيف يحتمل العاقل ان سكينة تقول لابن سريج المغنّ الذى تنسك وترك الغناء أنا بريئة من جدّى ان لم تغنّى لى، وبريئة من جدّى ان لم تقم فى بيتى شهراً كى تغنّى لى كلّ يوم، وهكذا تبرّأت من جدّها عدة مرّات، والحاصل ان المؤرخ وكتب التاريخ والأدب كحاطب ليل، واللازم فى تمييز الصحيح من السقيم الرجوع الى العقل والتعويل الى القرائن والأمارات، فمثل تلك الاخبار حرام نقلها والاعتماد عليها، نعم فى الاغانى ما يمكن التعويل عليه فى احوال سكينة مثل أن جريراً والفرزدق[٢] وجماعة من الشعراء اجتمعوا فى ضيافة سكينة، فمكثوا اياما ثم أذنت لهم فدخلوا عليها، فقعدت حيث تراهم ولا يرونها، وتسمع كلامهم، ثم اخرجت وصيفة لها وضيئة قد روت الاشعار والأحاديث فقالت أيّكم افرزدق؟ فقال لها أنا ذا الى الآخر، فمثل هذا الخبر الذى يحفظ كرامة هذه العقيلة ويجعلها فى

---

(١) حماد بن سابور بن المبارك ولد (٩٥) هوتوفى (١٥٥) هـ كان من اعلم الناس بايّام العرب واشعارها واخبارها وانسبها اصله من الديلم ومولد فى الكوفة ورحل الى الشام فتقدم عند بنى امية وهو الذى جمع السبع الطوال (المعلقات) قال الانبارى فى نزهة الالباء ص ٤٣: ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة (اهـ). وقال محمّد بن سلام الجمحى المتوفى: (٢٣١) هـ فى كتاب: طبقات فحول الشعراء كان اول من جمع اشعار العرب وساق احاديثها: حماد الرواية وكان غير موثوق به: كان ينحل شعر الرجل غيره وينحله غير شعره ويزيد فى الاشعار وسمعت يونس يقول: العجب لمن ياخذ عن حماد، كان يكذب ويلحن ويكسر وقال علم الهدى ﷺ فى الامالى. واما حماد الراوية فكان منسلخا من الدين زاريا على اهله مدمنا لشرب الخمر وارتكاب الفجور انظر طبقات فحول الشعراء ص ٤٠ = ٤١ ط مصر بتحقيق وشرح الاستاذ محمود محمّد شاكر والاعلام للزركلى ج ١ ص ٢٧٠ ط ١ مصر والامالى للسيد المرتضى ج ١، ص ١٣١ ط مصر.

(٢) الفرزدق همام بن غالب التميمى الشاعر المشهور من الشعراء المجاهرين فى محبة اهل البيت عليهم السلام صاحب جرير توفى بالبصرة سنة: (١١٠) هـ وبلغ خبره جريرا بكى وقال اما والله انى لاعلم انى قليل البقاء بعده ولقد كان نجمنا واحدا وكل واحد منا مشغول بصاحبه وقلما مات ضد او صديق الّا وتبعه صاحبه وكذلك كان توفى جرير سنة: (١١٠) هـ التى مات فيها الفرزدق.

المقام اللائق بشرفها من الستر و الصيانة هو المعقول و المقبول ، ولاجرم أنها كما ذكر ابوالفرج بنفسه ان سكينة كانت عفيفة سلمة برزة تجالس الجلّة من قريش وتجتمع اليها الشعراء وكانت ظريفة مزّاحة ، فكيف يعقل ان اقل غلمانها وهو أشعب يجترىء عليها ويقول فى خبر ابن سريج الذى اشرنا اليه : الرجل (يعنى ابن سريج) زاهد ولاحيلة فيه فارفعى طمعك وامسحى بوزك الى آخره .

والخلاصة ان اخبار الأغانى بل وغيرها مغشوشة ، والكذب فيها ان لم يكن اكثر من الصدق فهما سواء ولايميز هذا من ذاك الا الماهر المتبحر من العلماء ولايجوز لغيرهم من الذاكرين وغيرهم ذكرها الا بعد عرضها على من يوثق به من اهل البحث والنظر ، والّا كان اثمه اكبر من نفعه ؛ اما اخبار سكينة من الاغانى وغيره فالارجح بل اللازم ترك ذكرها فى النوادى العامة والمحافل ومجالس العزاء وان كان السيد المرتضى رضوان الله عليه[١] ذكر خفيفا منها فى اماليه ، والظاهر ايضا انه أخذه من الاغانى ﴿ يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَ قُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمٰالَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فٰازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ .[٢]

---

(١) انظر الامالى لسيدنا المرتضى علم الهدى ، ج ١ ، ص ٥١٣ ط مصر سنة (١٣٧٣) هـ

(٢) سورة ٣٣ آية : ٧٠ = ٧١.

۲٤

لماذا قتل الحسين عليه‌السلام

اتيح لى ان أطّلع على كتاب «السياسة الحسينية» لجامعه ولدكم المحروس عبدالحليم، ومادار به من بحوث حول الحسين وسياسة الحسين عليه‌السلام فخرجت من هذه المطالعة على وشك الاعتقاد الراسخ من انّ الحسين لم يقتل الا لاجل شيء معنوى، وهذا الشيء المعنوى لايزال مجهولاً عند الباحثين عن تاريخ الحرب الأموية وعند اتباع الحسين عليه‌السلام الذين يتحرّون جميع الاساليب المؤثّرة ويزيدونها على النواجيد الحسينية اثارة للذكريات الدفينة التى تمّجد موقف الحسين عليه‌السلام وتخذل موقف اليزيد والامويين الذين عاصروه ومشوا على مبادئه وسننه الظالمة.

أن الحسين عليه‌السلام لم يقتل لاجل الدين الاسلامى كما تقول الشيعة بذلك ولم يستشهد طلبا للملك والسلطان، بل قتل عليه‌السلام محافظا على معنويته الهاشمية التى هى علة وجود الامة العربية وبعثها من جديد متمتعة بجميع اساليب الثقافة و وسائل النجاح الاقتصادى المادى، وهذه القتلة التى يقولون عنها أنها كانت فى سبيل الله وسبيل المحافظة على معنوية آل محمّد فى سبيل الله ايضا هى الشيء المعنوى الذى لايزال مخبئا عن أعين الباحثين ونحن اذا قلنا ان الحسين عليه‌السلام مات دفاعاً من شرف

الدين نكون قد أسأنا الى الديـن الاسـلامى نـفسه الذى ليس يـقوم عـلى قـتلة الحسين عليه السلام او استشهاد أيّ نبيّ من الانبياء وليس هو صورة مادية يملكها فرد من البشر لتموت بموته وتحيى بحياته ، والافضل لكل مقتصد أن يجـعل هـذه القـضية قضية عائلية تتفاوت عن حرّ وقوعها بين سمو مبادىء الحسين عليه السلام وبين انحطاط مبادىء يزيد.

وقد ادرك ولدكم ـ حرسه الله ـ فى جوابه على كتاب الشيخ عبدالمهدى شيئا من هذا اذ قال : ان الذى عرض الحسين عليه السلام للقتل هو تمنعه عن المبايعة ليزيد ، وفى عدم القيام بهذه المبايعة يتعرض الحسين عليه السلام لان يقتل بسيوف الامويين ، حتى ولو كان فى عقر داره دون ان يضطرّ الى الخروج لمحاربة يزيد وأتباعه ، وان يعرض نسـائه وأطفاله للهتك الذى هو صورة القبح عند طبقات الاشراف الذين منهم الحسين ، كما زعم غير واحد فى افترائه على الحسين وعائلة الحسين.

ان هذا الافتراض ممكن الوقوع اكثر من غيره ، ومبايعة الحسن عليه السلام لمعاوية التى ظلّت أسبابها مغمضة فى بحثكم هى التى أجلت وقوع الحرب الاموية الى ما بعد وفاة معاوية ، ويظهر ان الحسن بتعهده لمعاوية انه لايرى من الحسـين عليه السلام سـيّئا ؛ ـ كما جاء برسالة سماحتكم ، ـ وقف وقفة المشفق الذى لايريد ان يفجع بأخيه وهو حى ، أراد بمبايعته أن يحجب دماء الابـرياء التى أبـاحها يـزيد فى تـعنته وطـغيه وفساده واعتدائه على أخيه الحسين عليه السلام ؛ ولكن السياسة لعبت دورهـا يـومذاك اذمات معاوية الذى كان عنده مخافة من الله اكـثر مـن ولده يـزيد[١] واذا تـوفى الحسن عليه السلام الذى يعدّ بحث نبراس السياسة الهـاشمية المـؤدية الى اعـمال السـلام

---

(١) ليس عنده ولا عند ولده يزيد شيء من مخافة الله ولكن معاوية عنده سياسة وتدبر دنيوى ويزيد ليس عنده دين ولاسياسة . مراد شيخنا الاستاذ من قوله : ان معاوية عنده سياسة وتدبر دنيوى = يعنى عنده النكراء والشيطنة والخباثة لا انه كان عنده النكراء والشيطنة والخباثة لا انه كان عنده سياسة صحيحة.

القومى الذى وقف حائلا فى حياته دون وقوع حرب طاحنة ـ كالحرب الاموى: فيما لو ضم صوته الى صوت اخيه الحسين عليه السلام فى زمن معاوية الذى تعود مبايعته لهذا السبب الوفاقى ـ على ما أظن ـ لا لأسباب الخوف والوجل الذى عزاه كثير من ضعفاء العقول والنوايا السيئة للحسن عليه السلام، أما قضية العادة العربية التى قلتم سماحتكم أنها دفعت بالحسين عليه السلام أن يصحب أولاده ونسائه معه مستميتا فى سبيل الكرامة والشرف، فهذه تخضع على خروجها عن قلم سماحتكم لضروب النقد والاعتراض اذ كان الدين الاسلامى او التعاليم الاسلامية ـ بتعبير أصح ـ حرمت المرأة من مخالطة الرجال وسماع أحاديثهم الامن وراء الحجاب، وأرجعتها الى بيتها حيث تقوم بتربية وتهذيب أولادها وتبير شئون منزلها الذى يعد نصف الحياة الزوجية ـ اذلم يكن كلها ـ فى نظر قانون الزواج المدنى والدينى فكيف بالحسين عليه السلام خرق حجاب هذا النظام وأصحب عائلته وتابعيه معه جريا على العادة العربية المعروفة قبل ظهور الاسلام وبعده؟

وتعلمون ان العادة التقليدية غير حكم الدين التشريعى، فحكم الدّين أسمى مكانة فى نفس الحسين عليه السلام من العاطفة العادة، فهل هناك ضرورة حيوية دفعت بالحسين عليه السلام ان لايكترث بتعاليم الدين؟ ويتبع ما أوحته عاطفة العادة التى تعد ملغاة بحكم هذه التعاليم؟ هذا ما نريد الاجابة عليه مفصلا.

وهناك شىء آخر يخضع للنقد الشخصى وهو، أن الخمسة أثواب التى أعطاها الحسين عليه السلام الى محمّد بن بشير الحضرمى ـ السياسة الحسينية ـ كان يزيد ثمن الواحد منها على المأة ليرة عثمانية لايتوافق اقتنائها بهذا الثمن الباهظ من قبل الحسين عليه السلام مع دواعى الزهد التى كانت متجسمة فى أبيه وجده سيد الرسل، اذ عرفنا عن طرق الاحايت المروية أن عليا عليه السلام والد الحسين عليه السلام كان يرتدى الصوف على بدنه داخلا ويلبس الاطمار الرخيصة خارجا، دلالة على زهده و ورعه

وتقواه او تقليداً للنبى الذى هو المثل الاعلى للامة الاسلامية ، والذى جعل بهذه الارتداء امثولة عزاء للفقير الذى لايستطيع أن يلبس ثوبا يساوى ثمنه مأة ليرة عثمانية ونحوها ، كما استطاع الحسين عليه السلام أن يلبس[1] مثل هذا الثواب ويهب خمسة على غرارة الى احد أتباعه من الفقراء ؟

ان هذه الرواية على ما فيها من استقراء فى النقل تصور لنا الحسين مسرفاً طامعاً فى خير الدنيا اكثر من خير الاخرة بينما لو رجعنا الى استقصاء ورع الحسين عليه السلام وزهده وتقواه لوجدنا ذلك أنه لايتوفق ـ ورغبة الحسين فى تضميد عواطف الفقراء المجروحة ، والترفيه على كل بائس محتاج ولو أن راويا عزى ذلك الى الحسن عليه السلام الذى كان له ميل خاص وصفة خاصة بهذا الثراء الدنيوى لامكننا أن نصدق ذلك بدليل أن الحسن نشأ على الابهة والمجد فى زمن جده وأبيه ، وأما الحسين عليه السلام فمن المعروف عنه انه كان لايعرف قيمة الدنيا. ولو عرف بها قيمة لبايع يزيد ، وبذلك كان أضاف الى ثراه ثراء آخر يدفعه له يزيد بدلاعن تلك المبايعة التى كانت منعت هذه الحرب وذلك الهتك ؛ وحولت معنوية الحسين عليه السلام من رجل شريف نزيه حافظ على مبدء أجداده ومعنوية هذا المبدء الى رجل مادى عبث بكل شىء وخضع لكل شىء بتأثير المادة .

ورواية أخرى لاتتوافق صحته النقل ، وهى واردة بجواب سماحتكم من زيد بن أرقم قال اليزيد يوم كان يضرب رأس الحسين بعوده : ارفع عودك عن هاتين الشفتين فوالله طالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبلهما ، اذ انه من المعروف أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقبّل الحسين فى نحره على اعتبار انه سيموت مقتولا ويقبّل الحسن عليه السلام فى فمه على اعتبار أنه سيموت مسموماً ، فكيف تناقض المعنى الذى

---

(١) لم يلبس الحسين عليه السلام تلك الثياب وانما كان يقتنيها ليعطيها .

وقع فعلاكما أشار النبي ﷺ وكيف انتقل تقبيل فم الحسن الى فم الحسين الذى مات منحوراً من قفاه ؟ولم ينتقل تقبيل نحر الحسين عليه السلام الى نحر الحسن عليه السلام الذى مات مسموما فى فمه .

وفى الاستعراض الدينى لاهل البيت نجد اعتراضا على الحديث الذى ورد بلسان النبي ﷺ قال مخاطبا سلمان الفارسى : **نحن أسرارالله المودعة فى هياكل البشرية ، يا سلمان نزلونا عن الربوبية ثم قولوا فينا ما استعطتم . فان البحر لاينزف وسرّ الغيب لايعرف ؛ وكلمة الله لاتوصف ومن قال هناك لم ومم وبم فقد كفر** ، اذ أن من يتأمل العامى الاستهلالية من الحديث يجد ان منها مايعد استكباراً فى الارض ، وهو يخالف بمنطوقه ارادة الله التى جائت فى القرآن فمحت آية الاستكبار الخليفة بالمستضعفين من الناس ، ويجد أن كلمة أسرار الله المودعة التى عمت جميع هياكل البشرية تتعرّض الشرّحينا وللخير حينا آخر، وتنقل من الزهد والتقوى دوراً والى افساد والاثم والفوضى دوراً آخراً ، حيث كانت هياكل البشر الطاهرة فيها ، فهل كان الرسول يعنى انه هو وذريته سرّ الله المودع فى هياكل البشرية الطاهرة فقط ؟

او فى جميع الهياكل سواء كانت طاهرة أو خبيثة ، مجرمة او مصلحة ، مدنسة . و غير مدنسة ؟! هذا سؤال نطرحه امام سماحتكم من الشطر الاول من الحديث .

وأما الشطر الاخر فيه (ومن قال لم ومم وبم فقد كفر) فيكفينا أن نقول ان فيه حجراً لعقل الاسلامى الذى خلق حرّاً طليقا بحكم التشريع الاسلامى ، ونتسائل كيف اباح النبى محمّد ﷺ لنا ادراك الله عن طريق العقل بعد التفكير والتكييف والمقارنة والمشابهة والظن والشك والريبة وما أشبه ذلك ، ثم تكون هذه الاشياء كلها شرعية بنظر القانون الاسلامى ، ولم يبح لنا ادراك كنه (أسرار الله المودعة والسر الله الذى لايعرف وكلمة الله التى لاتوصف) المتجسمة فى شخصه وشخص ذريته من بعده ؟

ان هذا المنع المجرد عن العقل والروية بعرض الرسول ﷺ ـ اذا كان صادرا عنه ـ الى عدة انتقادات عقلية أهمها انه اباح للعقل أن يدرك الله تعالى عن طريق الظنّ والتفكير الذى حرّمه لادراك شخصه، وبذلك جعل نفسه فوق الله تعالى؟ وان كانت هذه النفس هى خليقة الله والخاضعة لامر الله، هذا فضلا عن أن هذا الادعاء المتجسّم فى كلمة: سرّ الغيب الذى لايعرف وكلمة الله التى لاتوصف، يجعل للشكوك والاوهام سبيلا للوقوف حائلا بين حكم العقل وعاطفة الاعتقاد، ولماذا لايعرف رسول الله الذى هو كلمة الله وله أعمال واقوال تدل على شخصه و تنم عن سجاياه وأخلاقه؟ ومتى كانت أعمال الرجل وأقواله وتصرفاته الدينية والاجتماعية بين ايدينا يمكننا أن نحكم على شخصيته من أنها شخصية صالحة اذا كانت أعماله واقواله توافق الصلاح وان نحكم على هذه الشخصية من أنها شخصية مجرمة فاسدة فيما اذا كانت اعماله واقواله تأتى الفساد وترتكب الاجرام والفوضى الاجتماعية ؟

لاأعتقد أن هذا القول يصدر عن النبى كمحمد ﷺ كان متواضعا جداً وهو كانسان بسيط يمشى فى الاسواق، ويأكل ويشرب، فكيف به كنّبى يقول مثل هذا القول الذى هو من صفات الالهية ؟ بل أعتقد أن هذا الحديث من جملة الاحاديث التي دسّتها اليهود دسّا فى كتب الاسلام انتقاصا فى قيمة الدعوة المحمدية التى هى أسمى كل شىء ظهر على وجه الارض !

أما اذا كان هناك مايدعو الى الاعتقاد بصحّتها فأرجو سماحتكم أن تتفضلوا بيان ذلك ولو مفصلاً.

الجواب:

تقول ـ أيدك الله ـ فى كتابك: ونحن اذا قلنا ان الحسين عليه السلام مات دفاعا عن شرف الدين نكون قد أسأنا الى الدين الاسلامى، الى آخر ما أبديت فى هذا

الموضوع وكأنه غاب عنك أننا حيث نقول ؛ مات او قتل دفاعا عن الدين ؛ لانريد أن الدين اسلامى يموت بموته ويحيى بحياته ، بل نريد العكس يعنى ان الدين يحيى بموته ويموت باستبقاء حياته ، وهذه حال جميع من قتل فى سبيل الله الذين يقول الله جلّ شأنه عنهم : **﴿ وَ لاٰ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ أَمْوٰاتاً بَلْ أَحْيٰاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾**[١]... ، مثل حمزة وجعفر وعبيدة بن الحارث وسعد بن الربيع[٢] وأمثالهم ممن بذلوا حياتهم فى الدنيا لحياة الدين فوجدوا خيراً من تلك الحياة عندالله تعالى ؛ فهم عندالله أحياء غير أموات وان كانوا بالنظر الى الدنيا أمواتا غير أحياء ، ولايلزم من هذا أن يكون الدين الاسلامى صورة مادية يملكها فرد من البشر كما تخيلت ، ضرورة أن الدين هو عبارة عن تلك الاحكام والقوانين التى جاء بها الرسول الامين من رب العالمين وحياتها وموتها بالعمل بها وعدم العمل بها ، ولما سلك يزيد فى خلافته مسلكا يوجب ابطال العمل بشرائع الاسلام حيث صار يجاهر بشرب الخمور وارتكاب الفجور وترك الصوم والصلاة والناس يتبعونه طبعا (**لان الناس على دين ملوكهم**) كما قيل ، وكأنه بهذا يريد القضاء على الاسلام وموته ، لذلك ضحى الحسين عليه السلام بحياته وحياة خيرة أهل بيته وأصحابه انكاراً على يزيد وابطالاً لمساعيه واحياء للدين ، ولحمل الناس على العمل بشرائعه كما قال سلام الله عليه او قيل عنه :

ان كان دين محمّد لم يستقم   الا بقتلى يا سيوف خذينى

فحقّاً ان الحسين سلام الله عليه ما بذل نفسه الا دفاعا عن شرف الدين وتفاديا

---

(١) سورة ٣ آية : ١٦٩.

(٢) سعد بن الربيع الخزرجى احد نقباء الانصار من شهداء احد ، انظر ترجمته فى تنقيح المقال ، ج ٢ ص ١٣ ط النجف.

للمبدء المقدس، ولانكون بهذا قد أسانا الى الدين بل أحسنّا اليه حيث جعلناه فوق نفس الامام المعصوم وأنه يفدى بأعز النفوس، ومن الغريب قولك على قولنا ان العادة العربية دفعت بالحسين عليه السلام أن يصحب أولاده ونسائه معه مستميتا فى سبيل الكرامة والشرف، فقلتم ان التعاليم الاسلامية حرمت المرأة مخالطة الرجال وسماع أحاديثهم الامن وراء حجاب، أليس من الغريب أن تقول وأنت بهذه الثقافة: ان الدين الاسلامى حرّم المرأة من مخالطة الرجال فتجعل ذلك وصمة شنعاء ولطخة سوداء فى جبين الدين الاسلامى؟ كيف يقال هذا وهذه الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت مشرّع الدين الاسلامى خطبت فى المسجد النّبوى فى حشد المهاجرين والانصار تلك الخطبة البليغة الغرّاء التى تستغرق مايقرب من ساعة وكلّهم يسمعون ويشهدون؟ وهذه عايشة ما زالت مدة عمرها تخطب وتحدث الرجال بالاحاديث النبوى واذا نظرت الى كتب صحاح اخواننا العامّة تجد الربع او الثلث تقريبا ينتهى سنده الى عائشة، حتى نسبوا الى النبى صلى الله عليه وآله قال: خذوا ثلث دينكم من الحميراء، وهل اول جواز الاختلاط من أنها قادت جيشا جرّاراً وجنداً قهارا الى حرب البصرة حاربت أميرالمؤمنين عليه السلام ومعه اعاظم أصحاب النبى صلى الله عليه وآله من الانصار والمهاجرين؟ دع عنك هذا وراجع كتاب (بلاغات النساء) وأمثاله وانظر الى النساء اللاتى كنّ يخطبن فى الجيوش فى صفين ويحرضن أهل العراق على حرب اهل الشام، وانظر الى كلام الوافدات[1] على معاوية بعد أن تم الامر له. وكيف كانت تلك النسوة أجرء من اللبوة وأقوى قلبا من الصخور،

---

(١) مثل كلام سودة بنت عمارة بن الاشتر الهمدانية، وآمنة بنت الشريد زوجة عمرو بن الحمق الخزاعى رحمه الله التى حبسها معاوية سنتين. انظر الى بلاغات النساء لابن طيفور واعلام النساء لعمر رضا كحالة وامثالهما من الكتب.

أنظر الى الخنساء[1] يوم حرضت أولادها الاربعة فى بعض حروب المسلمين حتى قتلوا جميعا ، وبعد هذا فهل تجد من الصحيح قولك : ان الاسلام حرّم المرأة من مخالطة الرجال ؟ ألم تكن النساء تضمّد الجرحى وتسق العطاشا ، وتزغزد وتهلهل وتحرض المقاتلين على الهجوم فى حرب النبى صلى الله عليه وآله وحرب الوصى عليه السلام.

دع وانظر الى صفايا النبوّة وحرائر الرسالة وبنات سيد الموحّدين ويعسوب الدين عليه السلام من زينب وأم كلثوم وسكينة وخطبهن فى كربلاء والكوفة والشام ، وفى مجلس يزيد وابن زياد فى النوادى والمجتمعات ، فهل مع هذا كله نقول : ان التعاليم حرمت المرأة من مخالطة الرجال وسماع احاديثهم وأرجعتها الى بيتها ؟ أما آية الحجاب فهى واردة فى خصوص نساء النبى عليه السلام[2] وكان الاعراب الذين أخبرالله جل شأنه عنهم بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُنٰادُونَكَ مِنْ وَرٰاءِ الْحُجُرٰاتِ أَكْثَرُهُمْ لاٰ يَعْقِلُونَ** ﴾ ،[3] يؤذون نساء النبى بالهجوم عليهن فى منازلهن نهاهم الله عن ذلك ، راجع سورة الاحزاب نعم ان التعاليم الاسلامية حرمت على النساء مطلقا التبرج واظهار الزينة للرجال : ﴿ **وَ لاٰ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجٰاهِلِيَّةِ الْأُولىٰ** ﴾[4] وأين هذا من

---

(١) الخنساء بنت عمرو بن الشريد اتفق اهل العلم بالشعر انه لم يكن امرأة قبلها ولابعدها اشعر منها ووفدت الخنساء على رسول الله صلى الله عليه وآله مع قومها من بنى سليم فاسلمت معهم وتوفيت حدود سنة : (٢٦) هـ.

(٢) الاية وان كانت واردة فى خصوص نساء النبى صلى الله عليه وآله ولكن حكمها عام فان من المحقق فى محله ان خصوص المورد لايخصص عموم الحكم قال الجصاص : وهذا الحكم وان نزل خاصاً فى النبى صلى الله عليه وآله وأزواجه فالمعنى عام فيه وفى غيره اذكنا مأمورين باتباعه والاقتداء به الا ماخصه الله به دون امته. انظر احكام القرآن ، ص ٤٤٥ طبعة سنة : ١٣٤٧ هـ بمصر ومع ذلك كله ، الاية لاتدل على الحرمة التى ادعاها صاحب المقال.

(٣) سورة ٤٩ آية : ٤.

(٤) سورة ٣٣ آية : ٣٣ قال الجصاص المتوفى (٣٧٠) هـ: « ولاتبرجن تبرج الجاهلية الاولى » يعنى اذا خرجتن من بيوتكن قال : كانت لهن مشية وتكسر وتغنج فنهاها عن الله عن ذلك وقيل هو اظهار المحاسن

←

حرمة المخالطة ولو سلمنا تنازلا بحرمة المخالطة فأيُّ منافاة بهذا لما أبديناه وارايناه من ان حمله لنسائه واولاده استماتة فى سبيل الكرامة والشرف، فان حمله لهن لايستلزم المخالطة بوجه والا لما جاز لامرأة تسافر من محل الى آخر أبداً.

وأغرب من ذلك بل وأعجب جداً قولك: وهناك شيء آخر يخضع للنقد الشخصي وهو ان الخمسة اثواب... يزيد ثمن الواحد منها على مأة ليرة عثمانية لاتتوافق اقتنائها مع دواعى الزهد التى كانت متجسمة فى أبيه وجدّه سيد الرسل الى آخر من افضت به وافدت فى هذه الناحية، وكأنك تحسب ان الزهد هو الفقر و الفلاكة وعدم الوجدان، وان الغناء والثروة تنافى الزهد؟ لايا عزيزى حقيقة الزهد هو عدم الحرص على المال وعدم المبالات فى الدنيا وان يكون وجود المال وعدمه عنده سواء؛ وقد جمع الله الزهد فى كلمتين: ﴿ **لِكَيْلاٰ تَأْسَوْا عَلىٰ مٰا فٰاتَكُمْ وَ لاٰ تَفْرَحُوا بِمٰا آتٰاكُمْ** ﴾[1] وحقيقة الزهد لاتظهر ولاتتجلّى الا مع توفر النعم وغزارة المال وبذله وعدم الحرص والتعفف عن رذيلة الشحّ والبخل: ﴿ **وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[2] أما الفقير المعدم الذى لايجدولا يملك شيئا فأى زهد له؟ وأى فضيلة له بذلك الزهد القهرى وقد سئل الحسن البصرى: أنت أزهد أم عمر بن عبد العزيز وهو خليفة المسلمين، فقال: عمر بن عبد العزيز أزهد منى لانه وجد فعفّ وتمكن فكفّ ولعل الحسن لو وجد وتمكن لأستخف وأكل فأسرف.

وأما رسول الله وأميرالمؤمنين صلوات الله عليهما وآلهما حيث كانوا يأكلون

← للرجال وقيل الجاهلية الاولى ما قبل الاسلام والجاهلية الثانية حال من عمل فى الاسلام بعمل اولئك فهذه الامور كلها مما ادب الله تعالى به نساء النبى ﷺ صيانة لهن وسائر نساء المؤمنين مرادات بها (اهـ) انظر احكام القرآن، ج ٣، ص ٤٤٣ ط مصر.

(١) سورة ٥٧ آية: ٢٣.

(٢) سورة ٥٩ آية: ٩. سورة ٦٤ آية: ١٦.

الشعير ويلبسون الصوف فليس لأنهم كانوا لايتمكنون من المآكل الطيّبة والملابس الليّنة ولكنهم كانوا يحتقرون الدنيا ونعيمها الفانى ويقولون عن اهل الدنيا: اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم ونحن أخرت طيباتنا؛ ولاميرالمؤمنين عليه السلام فى نهج البلاغة كلام مع العلاء بن عاصم الذى ترك الدنيا ولبس الصوف فقال له: ياعديّ[١] نفسه لقد استهام بك الخبيث (بمعنى الشيطان) فقال: يا أميرالمؤمنين هذا أنت فى خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك، قال: ويحك انى لست كأنت ان الله تعالى فرض على ائمة العدل ان يقدروا انفسهم بضعفة الناس كى لايتبيّغ بالفقير فقره،[٢] وللباقر والصادق عليهما السلام مع سفيان الثورى واصحابه من متقشفة ذلك العصر ومتّصفة تلك الايام حيث كانوا يعترضون على الائمة عليهم السلام اذا وجدوا عليهم بعض الملابس الفاخرة قائلين: ان جدّكم رسول الله وأميرالمؤمنين صلوات الله عليهما ما كانوا يلبسون هذه الملابس؟ فيقول لهم الامام: ذاك حيث ان الزمان قلّ اما اذا درت الدنيا أخلافها فأولى الناس بها أولياء الله أو ما هو بهذا المضمون، وللرضا عليه السلام كلام عال شريف فى هذا الموضوع. ولقد كان لاميرالمؤمنين عليه السلام فى المدينة من الضياع والبساتين والمزارع كعين أبى نيزر والبغيبغة وغيرها ما يدرّ كل سنة بألوف الدنانير، وقد أوقفها جميعاً فى سبيل الله وكان يضرب بالمسحاة بيده فى عقارله لاحرصا على الدنيا والاموال ولكن حرصا على الانفاق فى سبيل الله والاحسان على الضعفاء من عبادالله[٣] وكانت قنية تلك الاثواب الثمينة تمسّ ورع

---

(١) عدى تصغير عدو.

(٢) نهج البلاغة، ج ١، ص ٤٢٣، ط مصر، شرح ابن ابى الحديد، ج ٣، ص ١١١، ط مصر.

(٣) قال السيد الاعظم السيد رضى الدين بن طاووس الحسنى قدس سره فى كتابه القيّم «كشف المحجة» ما هذا لفظه:

واعلم يا ولدى محمّد... ان جماعة ممن ادركتهم كانوا يعتقدون ان النبى صلى الله عليه وآله جدك محمّد واباك عليا

←

....

← صلوات الله عليهما كانا فقيرين لاجل ما يبلغهم ايثارهم بالقوت واحتمال الطوى والجوع والزهد فى الدنيا فاعتقد السامعون لذلك الان ان الزهد لايكون الامع الفقر وتعذر مع الامكان وليس لامر كما اعتقدوه اهل الضعف المهملين للكشف لان الانبياء عليهم السلام اغنى اهل الدنيا بتمكين الله جل جلاله لهم مما يريدون منه جل جلاله من الاحسان اليهم ومن طريق نبوتهم كانوا اغنى اممهم واهل ملتهم ولو لا اللطف برسالتهم ما كان لاهل وقتهم مال ولاحال وانما كانوا عليهم السلام يؤثرون بالموجود ولايسبقون الله جل جلاله بطلب مال يريد ان يطلبوه من المفقود وقد وهب جدك محمّد صلى الله عليه وآله امك فاطمة صلوات الله عليها فدكا والعوالى من جملة مواهبه وكان دخلها فى رواية الشيخ (عبدالله بن حماد) الانصارى اربعة وعشرون الف دينار فى كل سنة وفى رواية غيره سبعون الف دينار وهى وزوجها المعظم والواهب الاعظم من اعظم الزهاد والابرار وكان يكفيهم منها ايسر اليسير ولكن العارفين ما ينازعون الله جل جلاله فى تملك قليل ولا كثير ولكنهم كالو كلاء والامناء والعبيد الضعفاء فيصرفون فى الدنيا وفيما يعطيهم منها كما يصرفهم هو جل جلاله وهم فى الحقيقة زاهدون فيها وخارجون عنها ووجدت فى اصل تاريخ كتابته سبع وثلاثين ومأتين... عن مولانا على أبيك اميرالمؤمنين عليه السلام تزوجت فاطمة عليها السلام وما كان لى فراش وصدقتى اليوم لو قسمت على بنى هاشم لو سعتهم وقال فى الكتاب انه عليه السلام وقف امواله وكانت غلّته اربعين الف دينار وباع سيفه وقال من يشترى سيفه ولو كان عندى عشاءة مابعته.

وروى فيه انه قال مرة عليه السلام من يشترى سيفى الفلانى ولو كان عندى ثمن ازار ما بعته قال وكان يفعل هذا وعلته اربعون الف دينار من صدقته.

... ورأيت فى كتاب ابراهيم بن محمّد الاشعرى الثقة باسناده عن ابى جعفر عليه السلام قال: قبض على عليه السلام وعليه دين ثمان مائة الف درهم فباع الحسن عليه السلام ضيعة له بخمسمائة الف درهم فقضاها عنه وباع ضيعة اخرى له بثلاثة الف درهم فقضاها عنه وذلك انه لم يكن يذر من الخمس شيئاً وكان تنوبه نوائب ورأيت فى كتاب (عبدالله بن بكير) باسناده عن ابى جعفر عليه السلام ان الحسين عليه السلام قتل وعليه دين وان على بن الحسين زين العابدين عليه السلام باع ضيعة له بثلاث مأة الف ليقضى دين الحسين عليه السلام.

... وكان وقف جدك اميرالمؤمنين عليه السلام على اولاده خاصة من فاطمة عليها السلام لها عامل من ذريته فكيف وقع للضعفاء انه كان فقيرا وان الغنى لايكون لمن جعله الله جل جلاله من خاصته وهل خلق الله جل جلاله الدنيا والاخرة الا لاهل عنايته (اه) انظر كشف المحجة ص ١٢٣ = ١٢٦.

وغير خفى على القارىء الكريم ان علياً اميرالمؤمنين عليه السلام استخرج عيونا بكد يده بالمدينة وينبع وسويعة واحيا بها مواتاً كثيرا ثم اخرجها عن ملكه وتصدق بها على المسلمين ولم يمت وشيء منها فى ملكه وجملة من وصاياه عليه السلام فى صدقاته وموقوفاته مروية فى الجامع الكبير «الكافى» للكلينى رحمه الله فراجع.

←

الحسين عليه السلام وزهده لو كان يشح بها يحرص عليها، اما وقد بذلها في فك الأسير المجاهد في سبيل الله فتلك فضيلة للحسين عليه السلام وكرامة تزيد في علو ورعه وزهده ورغبته في تضميد عواطف الفقراء المجروحة والترفيه عن كل بائس محتاج.

ولعلك حسبت ان الحسين عليه السلام يلبس تلك الثياب ويتظاهر فيها بالبذخ والخيلاء او نحو ذلك مما ينافي تلك القدسية السامية كلا ياعزيزي، فان الحسين سلام الله عليه لو ملك الدنيا كلها لوهبها لحظة واحدة في سبيل الله وفي سبيل البرّ والمعروف، وما كان يضع شيئا من تلك الثياب على بشرة بدنه الشريف وانما يقتنيها ليجود بها ويعطيها ويضعها في مواضعها اللائقة بها، وقد ورد في بعض الاخبار انه سلام الله عليه لما استشهد كان عليه من الدين سبعة آلاف دينار ذهباً

← ولم يورث اميرالمؤمنين عليه السلام بنيه قليلا من المال ولاكثيرا الاعبيده وامائه وسبعمائة درهم من عطائه تركها ليشترى بها خادما لاهله قيمتها ثمانية وعشرون دينارا على حسب المائة أربعة دنانير هكذا كانت المعاملة بالدراهم اذ ذاك.

وكان أميرالمؤمنين عليه السلام يعمل بيده يحرث الارض ويستقى الماء ويغرس النخل كل ذلك يباشر بنفسه الشريفة ولم يستبق منه لوقته ولا لعقبه ولاكثيرا وانما كان صدقة وقصة عين أبى نيزر معروفة نقلها ابوالعباس المبرد فى الكامل انظر، ج ٣، ص ٩٣٨، ط مصر.

وقدمات رسول الله صلى الله عليه وآله وله ضياع كثيرة جليلة جدا بخيبر وفدك وبنى النضير = والحوائط السبعة مشهورة = وقد اوصى بها رسول الله صلى الله عليه وآله الى ابنته الصديقة الطاهرة عليها السلام وروى ان هذه الحوائط كانت وقفا وكان رسول الله صلى الله عليه وآله ياخذ منها ما ينفقه على اضيافه ومن يمر به فلما قبض جاء العباس يخاصم فاطمة عليها السلام فيها فشهد على عليه السلام وغيره انها وقف.

وكان لرسول الله صلى الله عليه وآله وادى نخلة وضياع اخرى كثيرة بالطائف.

عن ابى بصير قال لما بلغ اميرالمؤمنين عليه السلام ان طلحة والزبير يقولان: ليس لعلى مال فشق ذلك عليه وامر وكلائه ان يجمعوا غلته حتى اذا حال الحول أتوه وقد جمعوا من ثمن الغلة ماة الف درهم فنشرت بين يديه فارسل الى طلحة والزبير فأتياه فقال لهما هذا المال والله لى ليس لاحد فيه شيء وكان عندهما مصدقا قال فخرجا من عنده وهما يقولان ان له لمالا.

انظر الجامع الكبير «الكافى» والبحار وشرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد، ج ٣، ص ٤٣٣، ط مصر وسيرة ابن هشام، ج ٢، ص ١٤٠، ط مصر.

او سبعون ألف وان على بن الحسين عليهما السلام لما رجع الى المدينة امتنع عن الطعام والنام الى ان قضاها عن أبيه ، والخلاصة ان الزهد هو قطع العلاقة عن الدنيا وعن حب المال لاعدم وجود المال ، وليس الزهد هو لبس الثياب الممزّقة والاطمار المرقعة والمآكل الخشنة ، اسمح لى ان اقول لك : ان اكثر الناس لايعرفون من حقيقة الزهد شيئاً ، والمواكب العظيم الذى سارفيه الحسين عليه السلام من الحجاز الى العراق وسقى فى قفر الارض بحرّ الهجير ألف فارس وألف فرس[1] أعظم وأفخم من قضية الثياب الخمسة .

أما زيد بن ارقم وقوله ارفع عودك عن هاتين الخ... فلعل تقبيل رسول الله شفتى الحسين عليه السلام من جهة انه تعالى أعلمه أنهما موضع ضرب يزيد وابن زياد الذين قرعوا ثغر الحسين عليه السلام بالخيزرانة .[2]

واما حديث : نحن اسرارالله المودعة الخ... فحيث انه من الاسرار التى لايليق افشاؤها مضافا الى ضيق المجال وطول المقال فالاجدر عدم الخوض فيه ونسأله تعالى ان يعصم افهامنا واقلامنا من الهفوات ، وما توفيق الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

---

(١) اشارة الى قضية الحر رضي الله عنه ولقائه مع سيد الشهداء عليه السلام ومنعه الامام عليه السلام من الدخول الى الكوفة = مذكورة فى كتب التواريخ والمقاتل .

(٢) نقل العلامة الزمخشرى قضية زيد بن ارقم مع ابن زياد بهذه الصورة قال فى الفائق ما هذا لفظه : ابن زياد لعنه الله ـ دخل عليه زيد بن ارقم وبين يديه رأس الحسين ـ عليه وعلى ابيه وجده وامه وجدته من الصلوات أزكاها ومن التحيات انماها ـ وهو ينكته بقضيب معه فغشى عليه ، فلما أفاق قال له : مالك يا شيخ ؟ قال : رأيتك تضرب شفتين طالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبلهما. فقال ابن زياد لعنه الله : اخرجوه فلما قام ليخرج قال : ان محمّديكم هذا لدحداح. انظر الفائق ، ج ١ ، ص ٣٩٢ ، مصر ١٣٦٤ هـ.

٢٥

لابد من ظهور المهدي (عج)

﴿ وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ ﴾[1]

دلت الادلة القاطعة. وقامت البراهين الساطعة، ولم يبق مجال شك لذوى العقول والالباب أن بهذه العوالم المحسوسة فضلا عن العوالم الغائبة عن الحس من الذرّة الى الذرى، ومن الثريا الى الثرى من الاملاك والافلاك، والانسان والحيوان، والنبات والجماد = لم يبق شك لذى عقل = فى أن لها صانعا حكيماً، ومدبراً عليماً، كما لاريب فى ان المدبر الحكيم، والصانع القدير منزه عن العبث مقدس عن اللغو وجميع افعاله معللة بالحكمة، ومنوطة بالفائدة، ومربوطة بالاغراض الصحيحة ﴿ أ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً ﴾[2] واذا توسّعنا فى الفكر واستقصينا النظر وطالعنا من اول فجر التاريخ الى صحوة هذه العصور، وتأملنا فى

---

(١) سورة ٢١ آية: ١٠٥.

قال الشيخ الطبرسى رحمه الله فى تفسير هذه الاية الشريفة :قال ابوجعفر عليه السلام اصحاب المهدى عليه السلام فى آخر الزمان ويدل على ذلك مارواه الخاص والعام عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال : لولم يبق من الدنيا... الخ. انظر ج ٤، ص ٦٦، ط صيدا.

(٢) سورة ٢٣ آية: ١١٥.

جريان عوالم البشر من أبيه الاول الى ولده الاخير وجدنا الشرّ هو الغالب على البشر، والفساد هو المستولى على الصلاح، والباطل غابا مستفحل على الحق، وان الانسانية لاتزال تئنّ من جروح الظلم الدامية، وترزح تحت اثقال الجور العاتية، فهل يصلح هذا أن يكون هو الغرض والحكمة لذلك الصانع الحكيم من خلق هذا المخلوق التعيس وهو الانسان؟ وهل هذه الفائدة والثمرة من ايجاده؟ كلا ثم كلا وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً هذا البشر الذى ثلثاه شرّ بل أكثره؟ وقد قال القائل؟

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة   وأننا لم نر ممن نرى أحداً

وقال الاخر:

انى لافتح عينى حين افتحها   على كثير ولكن لاأرى أحداً

أفهذا يصلح أن يكون غاية الصنع، وفائدة الايجاد، وثمرة التكوين؟ جل الصانع وتعالى، وتقدس عن ذلك، كيف وقد قال جل شأنه: ﴿كَتَبَ اللّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾[1] وقد رأينا اكثر الرسل مغلوبين مقهورين مستضعفين مقتّلين، ولاشك ان المراد بالغلبة المنوّه عنها فى الكتاب هى الغلبة فى الدنيا. اما فى الاخرة فالغلبة له جل شأنه وحده كل شيء هناك هالك الا وجهه[2] ـ والملك يومئذ لله الواحد القهار ـ[3] اذاً فلامحيص ولامجال من ان للحق فى هذه الدنيا دولة، وللصلاح فوزو نجاح وللعدل ظهور وغلبة، ورسله فى هذا الكون سطوة وسلطان على جنود الشيطان، وان الله جل شأنه سوف يفى بوعده لانبيائه و أوليائه وهو لايخلف الميعاد.

---

(١) سورة ٥٨ آية: ٢١.

(٢) اشارة الى آية: ٨٨ من سورة: ٢٨.

(٣) اشارة الى آية: ١٦ من سورة: ٤٠.

وانه لولم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يظهر من يملاء الارض قسطا وعدلاً بعد ما ملئت ظلما وجوراً؛[۱] هنالك تظهر حكمة الصنع وفائدة الايجاد، والغرض الصحيح من الابداع والتكوين ويستبين أن هذه العوالم المتقدمة والشرور المتطرّفة كلها مقدمات وتمهيدات لظهور دولة الحق، وقمع دولة الباطل، هنالك يعرف كل انسان صدق قوله تعالى: ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر... الاية، وقوله عز من قائل: كتب الله أنا ورسلى، ذلك حيث يظهر مهدى الامم، وجامع الكلم، والحق الجديد، والعالم الذى علمه لايبيد.[۲]

---

(۱) قال امام المفسرين الشيخ الطبرسى رحمه الله فى مجمع البيان: روى الخاص والعام عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال: **لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا صالحا من اهل بيتى يملا الارض عدلا وقسطا كما قد ملئت ظلما وجورا**. وقدا ورد الامام ابوبكر احمد بن الحسين البيهقى فى كتاب البعث والنشور اخبارا كثيرة فى هذا المعنى حدثنا بجميعها عنه حافده ابوالحسن عبيدالله بن محمّد بن احمد فى شهور سنة: ثمانى عشرة وخمسمائة (ا ه) انظر ج ٤، ص ٦٧ ط صيدا.

الاحاديث والاخبار فى حق المهدى المنتظر(عج) بطرق اهل السنة والشيعة متواترة مضافا الى ان وجود المهدى سلام الله عليه من ضروريات مذهب الشيعة الامامية واحاديث اهل البيت عليهم السلام به متواترة والعجب بعد ذلك من ابن خلدون المغربى وأمثاله من المخالفين النواصب = أعداء اهل البيت عليهم السلام وأعداء القرآن = حيث نقل فى مقدمته المشهورة من الروايات المتواترة الواردة من طرق اهل السنة ثم اخذ يستتشكل فى اسنادها ورواتها مع ان من المحقق فى اصول الفقه ان الحديث اذا بلغ الى حدالتواتر لاينظر فيه الى الاسناد والرجال الراوين لذلك الحديث ولا يلاحظ احوال الناقلين له لعدم الحاجة الى ذلك بعد حصول العلم الضرورى بسبب التواتر.

(۲) قال تعالى: «فذكر بايام الله» سورة ١٤ آية: ٥ = يستفاد من احاديث اهل البيت عليهم السلام ان من ايام الله ايام ظهور الدولة الحقة بنيّام مهدى هذه الامة = تلك الايام التى يصل رقى البشرفيها الى اوج الكمال لايكون فيها شرك ولانفاق والعالم كلها عدل وايمان وتوحيد وصلاح ولذلك نسبت تلك الايام الى الله تعالى مع ان الايام كلهالله ولامعبود سواه. انظر تفسير البرهان للسيد البحرانى رحمه الله، ج ٢، ص ٣٠٥، ط طهران ١٣٧٥ هـ

٢٦

أسباب غيبة المهدى عليه السلام و هل ...

الأسباب التى دعت الى غياب حجّة عجل الله فرجه وهل هو حى الآن ؟ وكيف يمكن أن يظل طيلة هذه المدّة حياً ؟ وما الفائدة من تغيّبه ؟ ولماذا لم يظهر خصوصاً فى هذا العصر الذى فيه المسلمون أرقاء ؟ وكذلك يسئل عن سبب تغيّب الخضر ؟

الجواب

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾[١] ، لاشك أن دين الاسلام من حين ظهوره الى الآن لم يظهر ويغلب على جميع الاديان بحيث لايكون على وجه الارض دين سواه ، وقد وعدالله سبحانه بذلك فى هذه الاية ، وآيات أخرى ، والله سبحانه لايخلف الميعاد ، فلابد فى وقت من الأوقات ان يقوم داع الى الله سبحانه والى دينه الحق بحيث لايعبد فى الارض غيره تعالى شأنه كما لايعبد فى السماء سواء .

هناك يملاءها قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجوراً ، وهذا فرع من أصل بل

(١) سورة ٩ آية : ٣٣ وسورة ٦١ آية : ٩.

أصول يبتني بعضها على بعض ، يبتدء من اثبات الحكيم بنعوته الجلالية وتنتهي الى وجوب وجود الامام في كل عصر. وأن الارض لاتخلو من حجة ؛ وأنها لولا وجود الحجة لساخت وانقلبت بمن فيها كما ورد في الحديث المروى من طرق الفريقين وهنا اسرار و أستار لايمكن كشفها ورفع الحجب عنها.

أما السؤال عن الاسباب التي دعت الى غيبته ، فاللازم أولا أن يعرف السائل أن الانسان اذا عرف أن له خالقا لم يخلقه عبثا ولم يتركه سدى بل كلّفه بتكاليف يؤهّله بها للفوز والسعادة الابدية في دار أخرى هي دار القرار ودار الجزاء ، فاذا عرف ذلك جيداً وجب عليه ان يعرف التكاليف والاحكام التي أمره الله بها ، ويأخذها من الحجة عليه والسفير بينه وبين الله سبحانه.

ولايلزم عليه ان يعرف حكمة تلك الاحكام ، ومصالح تلك التكاليف وان كنا نعتقد على الاجمال ان جميعها مشتمل على اشرف الحكم والمصالح ولكن ليس كل العقول تستطيع الوصول الى تلك الاسرار الربوبية والحكم الالهية ، وهناك مراتب ومقامات حتى الانبياء والائمة عليهم السلام تقف دونها ولاتستطيع الوصول اليها ، فماظنك بأمثالها ؟ ومهما اتسعت علوم البشر واكتشافاتهم عن اسرار الطبيعة ، ومكنونات الخليفة والحقيقة اتضح لهم ان نسبة معلومات جميع البشر من أول التاريخ الى اليوم نسبتها الى مجهولاتهم نسبة القطر الى البحر بل أقل بكثير.

قيل لأفلاطون[1] عند قرب موته. ماتقول في الدنيا ؟ قال ما أقول في دار جئتها

---

(١) نقل في بعض كتب المحدثين من الاخباريين : «ان عيسى عليه السلام لمادعى افلاطون الى التصديق بماجاء به اجاب بان عيسى رسول الى ضعفاء العقول واما أنا وأمثالي فلسنا نحتاج في المعرفة الى ارسال الانبياء».

وافلاطون عند الاطلاق هو افلاطون الفيلسوف «پلاطن» وهو ولد سنة : (٤٣٠) قبل الميلاد وتوفي سنة : (٣٤٨) او (٣٤٧) قبل الميلاد فكيف يمكن وقوع هذه القصة بينه و بين المسيح عليه السلام فلايمكن الركون الى تلك القصة الواهية ، واضف الى ذلك انه كيف يسوغ وجدان عاقل صدور هذا الكلام من

←

مضطراً وسأخرج منها مكرها، وبقيت فيها متحيراً، ولم استفد من جميع علمي سوى أني لاأعلم؛ ولجميع اكابر الحكماء من اسلام وغيرهم الكثير من امثال هذه الكلمات، والشافعي يقول: كلما ازداد علما زادني علما بجهلي؛ والفخر الرازي يقول من أبيات له:

نهاية ادراك العقول عقال   وغاية سعي العالمين ضلال

وكفاك شاهداً على ضعف الانسان وقصور مداركه مهما كان قصة موسى عليه السلام مع الخضر مع ان موسى عليه السلام كان يومئذ نبيّاً ولله كليما، ومع ذلك عجز عن معرفة أسرار أمور جزئية كخرق السفينة، وقتل الغلام، واقامة الجدار: فما ظنك بأسرار أمور جزئية كخرق السفينة، وقتل الغلام، واقامة الجدار: فما ظنك بأسرار الاحكام الكلية، والنواميس الالهية، فاذا الادلة القطعية عقلية ونقليه عن وجود امام يتردد في الامصار ولكنه غائب عن الابصار وجب الالتزام بذلك ولايجب علينا ان نعرف اسباب غيبته ومتى يظهر؟ وكيف يظهر؟ ولماذا لايظهر الان؟ وقد فشى الجور والعدوان، فان كل هذه الاسألة عبث وفضول وتلك اسرار تعجز عنها العقول.

روى الصدوق عن عبدالله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: **انّ لصاحب هذا الامر غيبة لابد منها يرتاب فيها كل مبطل فقلت: ولم جعلت فداك؟ قال: الامر لم يؤذن لنا في كشفه لكم، قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال:**

← حكيم الهي يدعوا الناس الى الصانع وتوحيده ويحارب مع الشرك والوثنية.

ورايت في بعض المواضع من مصنفات بعض المحدثين نسبة هذه القصة الى جالينوس وهو ولد سنة: (١٣١) من الميلاد وتوفى سنة: (٢٠٠) بعد الميلاد وقال المسعودي: (كان جالينوس بعد المسيح عليه السلام بنحو مأتي سنة) = وقيل ظهر امره في سنة: (٢٥٠) بعد الميلاد فعلى ما ذكرنا لاشك ان جالينوس كان بعد المسيح عليه السلام وقول بعض انه كان معاصرا معه عليه السلام غير صحيح انظر قاموس الاعلام، ج ٢، ص ١٠٠٤ وج ٣، ص ١٧٥٦ ط تركيه، ومطرح الانظار لفيلسوف الدولة التبريزي رحمه الله ج ١، ص ٢١٢ و ٣٢٠ = وغيرها.

وجه الحكمة فى غيبته وجه الحكمة فى غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره ان وجه الحكمة لاينكشف الابعد ظهوره الى أن قال : يا ابن الفضل ان هذا الامر امر من الله وسرّ من سرّ الله وغيب من غيب الله ، ومتى علمنا أنه عزوجل حكيم صدقنا بان افعاله كلها حكمة وان كان وجهها غير منكشف لنا .

وقال عليه السلام لمهزم الاسدى يامهزم كذب الوقّاتون ؟ وهلك المستعجلون ونجى المسلمون الصابرون ، ولعله سلام الله عليه اشار بقوله :ان وجه الحكمة لاينكشف الا بعد ظهوره الى انه بعد ظهوره ومشاهدة العجائب والايات الباهرة التى تكون معه ، والتى لم يقع نظيرها لنبيّ ولاوصى نبى مدة عمر الدهر ، هناك يعرف ان هذا الأمر العظيم يستحق ذلك التأخير وطول المدة وان يكون قريبا للساعة ، وفناء العالم وانقضاء دور من ادوار الكون وأكداره او لعل مراده بوجه الحكمة الذى ينكشف بظهوره هو الحكمة الغامضة ، والسرّ المخزون المكنون الذى استأثر الله به فى علم الغيب عنده والا ففى تفاريق اخبارهم سلام الله عليهم قد أشاروا الى وجوه كثيرة من الحكمة فى غيبته عليه السلام.

منها : أن دولته سلام الله عليه آخر الدول ولادولة بعدها لكفار ولاغير وانما بعده فتن[1] تتّصل بيوم القيامة. ولا يقبل الجزية من أحد ، ويخرب البيع والكنائس ، ولايبقى على وجه الارض صليبا ولاصنما ، ولايقبل صلحا ولا هدنة وكيف يقبل الصلح من تعبّر جيوشه البحار باقدامهم ، و تهدم الحصون والقلاع بتكبيراتهم ، والحاصل كل شئونه وأحواله سلام الله عليه آيات باهرات وخوارق عادات ، ومثل هذا لايكون الّا فى آخر هذا العالم وفى نهاية الدور من السنوات الآلهية ، ولهذا الدور أمد وحدّ معين فى علم الله. والحكمة فى غيبته انتظار انقاء هذا الدور حتى يخرج .

---

(١) ومن الحوادث رجعة جمع من المؤمنين وجمع من الكافرين الى الدنيا قبل يوم القيامة ونحن نعتقد بالرجعة على نحو الاجمال ، والايات والاخبار فى اثباتها متضافرة والعقل لايدل على امتناعه.

ومنها: انه سلام الله عليه يخرج بالسيف ويقتل العالَم ـ الظالم الجائر ـ قتلاً ذريعا قال محمّد بن مسلم: سمعت الباقر عليه‌السلام يقول: « لو يعلم الناس ما يصنع المهدى عليه‌السلام اذا خرج ما أحب أحد خروجه مما يقتل من الناس، وليس بينه وبين العرب وغيرهم الا السّيف حتى يقول كثير من الناس ما هذا من آل محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله لو كان منهم لرحم الناس »، وحيث ان الله عزّ شأنه جعله نقمة على الكافرين وقاطعا لدابر الظالمين ومعلوم ان الله سبحانه قد اودع نطف المؤمنين فى اصلاب الكافرين، وقد رأينا فى العصور المتقدمة وفى هذه العصور ايضا كثيراً من المؤمنين الاخيار وآبائهم من الكفار او الاشرار.

أيظن احد أن مثل الحجاج بن يوسف الثقفى وهو اكفر من نمرود وأعتى من عاقر الناقة يخرج من صلبه مثل ذلك الشاعر الشيعى البليغ؛ الحسين بن الحجاج[1] صاحب القصائد الغرر التى يمدح بها اهل البيت عليهم‌السلام؟ منها قصيدته التى أنشدها فى النجف بمحضر عضد الدولة لمّا بنى القبة البيضاء على قبر اميرالمؤمنين عليه‌السلام التى يقول فى اولها:

يا صاحب القبّة البيضاء على النجف　　　من زار قبرك واستشفى لديك شفى

من كان يظنّ ان يزيد بن معاوية يخرج من صلبه مثل معاوية بن يزيد الذى خلع نفسه من الخلافة[2] وقال: هى حق على بن الحسين عليهما‌السلام حتى قتله بنو أميّة سرّاً،

---

(١) الحسين بن احمد بن الحجاج النيلى البغدادى الامامى من شعراء اهل البيت عليهم‌السلام كان كاتبا فاضلا اديبا شاعرا له قصة مع السيد علم الهدى رحمه‌الله تتعلق بهذه القصيدة تشهد بجلالته و وجاهته عند الائمة عليهم‌السلام ذكرها صاحب روضات الجناب و دارالسلام فراجع توفى (٣٩١).

(٢) قال ابن تغرى بردى فى « النجوم الزاهرة »: معاوية بن يزيد بن معاوية بويع بالخلافة بعد موت أبيه يزيد بعهد منه اليه وذلك فى شهر ربيع الاول من سنة اربع وستين، وكان مولده سنة ثلاث واربعين فلم تطل مدته فى الخلافة.

←

ولو شئنا ان نعد الألوف من هذا القبيل لما عجزنا وحينئذ فلابد ان يكون ظهوره عليه السلام في زمان لايكون في اصلاب الكافرين ودائع نطف المؤمنين حتى لاتضيع باستيصال شافة الكفار. والله سبحانه اعلم بمقاديرها وزمان خلوّ الأصلاب منها.

وقد أشار الى ذلك، الصادق عليه السلام في حديث رواه الصدوق في العلل حيث قال: «ان القائم عليه السلام لن يظهر أبداً حتى يخرج ودائع الله عزوجل، فاذا خرج ظهر على من ظهر من أعداء الله فقتلهم»، وبهذا فسرّ قوله تعالى: ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾[1].

وببالي قديما في بعض الكتب أن الحسين عليه السلام في حملاته يوم الطف يعترضه الفارس من أعدائه فلايضربه بسيفه، وكذلك أبوه يوم صفين، فسئل عن ذلك؟ فقال: كشف [لي] عمّا في صلبه من المؤمنين فتركته، وفي آية: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾[2] كفاية.

← قال ابوحفص الفلاس: ملك اربعين ليلة ثم خلع نفسه، فانه كان رجلا صالحاً...
ان معاوية بن يزيد هذا لما اراد خلع نفسه جمع الناس وقال: ايها الناس ضعفت عن امركم فاختاروا من أحببتم، فقالوا: ولّ اخاك خالداً، فقال: والله ماذقت حلاوة خلافتكم فلا اتقلدوزرها ثم صعد المنبر فقال: ايها الناس، ان جدى معاوية نازع الامر أهله ومن هو أحق به منه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو على بن ابى طالب، وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته، فصار في قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بخطاياه. ثم قلد أبى الامر فكان غير اهل لذلك، وركب هواه وأخلفه الامل، وقصر عنه الاجل. وصار في قبره رهيناً بذنوبه، واسيراً بجرمه، ثم بكى حتى جرت دموعه على خديه. ثم قال: ان من اعظم الامور علينا علمنا بسوء مصرعه وبئس منقلبه، وقد قتل عترة رسول الله صلى الله عليه وآله واباح الحرم وخرب الكعبة، وما انا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم، فشأنكم امركم، والله لئن كانت الدنيا خيراً فقد نلنا منها حظاً، ولئن كانت شراً افكفى ذرية ابى سفيان ما اصابوا منها، الا فليصل بالناس حسان ابن مالك، وشاوروا في خلافتكم رحمكم الله. ثم دخل منزله وتغيّب حتى مات في سنته بعد ايام. ـانظر، ج ١، ص ١٦٣ ـ ١٦٤، ط قاهرة. (تغرى بردى) لفظ تركى معرب: «تارى وردى» بمعنى «عطاء الله».

(١) سورة ٤٨ آية: ٢٥.

(٢) سورة ٦ آية: ٩٥ ـ وغيرها.

ومن الحكم في غيبته عجّل الله فرجه ولعلها من أهم الحكم والاسرار هو تمحيص المؤمنين بهذه المحنة، و ابتلائهم بهذه الفتنة ﴿ أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لاٰ يُفْتَنُونَ ﴾[١] ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمّٰا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسٰاءُ وَ الضَّرّٰاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتّٰى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتىٰ نَصْرُ اللّٰهِ أَلاٰ إِنَّ نَصْرَ اللّٰهِ قَرِيبٌ ﴾[٢] ﴿ حَتّٰى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جٰاءَهُمْ نَصْرُنٰا ﴾[٣] والاخبار بهذا المعنى كثيرة وأن بطول مدة غيبته يمتاز الايمان الثابت من المستودع، والمؤمن الخالص من المغشوش، فهي غربلة وتصفية للمؤمنين ﴿ وَ لِيُمَحِّصَ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمْحَقَ الْكٰافِرِينَ ﴾.[٤]

روى الصدوق ﷫ عن الكاظم موسى ﵇: «اذا فقد الخامس من ولد السابع فالله الله في اديانكم لايزيلكم عنها أحد يابنيّ لابد لصاحب هذا الامر من غيبة حتى يرجع عن هذا الامر من كان يقول به، انما هي محنة من الله عزوجل امتحن بها خلقه ـالى ان قال ـ يا بنيّ عقولكم تصغر عن هذا وأحلامكم تضيق عن حمله». وفي احتجاج الطبرسي في التوقيع الصادر من الناحية المقدسة على يد العمري: أما علّة ماوقع من الغيبة فان الله عزوجل يقول: ﴿ يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَسْئَلُوا عَنْ أَشْيٰاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[٥] انه لم يكن أحد من آبائي الاوقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه واني أخرج ولابيعة لاحد من الطواغيت في عنقي.

وهناك اسرار وحكم أخرى لايتسع الوقت والمجال لبيانها، على أن كل ذلك

---

(١) سورة ٢٩ آية: ٢.

(٢) سورة ٢ آية: ٢١٤.

(٣) سورة ١٢ آية: ١١٠.

(٤) سورة ٣ آية: ١٤١.

(٥) سورة ٥ آية: ١٠٢.

تطفّل وفضول بد ما عرفت من أن لله فى عباده شئونا لاتدركه العقول، ونحن حتى الان لم تصل عقولنا الى اسرار خلقتنا وكنه أرواحنا وحقيقة حياتنا: فكيف نحاول معرفة أسرار الملك والملكوت، والعزة والجبروت؟ نحن لانستطيع ان نعرف الحكمة فى جعل المغرب ثلاثا والعشاء اربعا والصبح اثنين وأمثال ذلك من الأوامر التشريعية فضلا عن الامور التكوينية!! نعم وفى مثل هذه المقررات المجهولة الحكمة سبحانه الراسخين فى العلم حيث قال عزّ شأنه: ﴿وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾(١) مدحهم على الايمان بما جاء من الله عز شأنه وان لم يعرفوا تأويله وحكمته.

وأما قولك: وكيف يمكن أن يظل طيلة هذه المدّة حيّاً؟!(٢) فهو سؤال غريب

---

(١) سورة ٣ آية: ٧.

(٢) لا استبعاد عند العقل والوجدان فى طول عمر مولانا الامام المهدى المنتظر ارواحنا فداه فان من هو قادر على حفظ حياة الانسان آناً واحداً ويوما فاراداً يقدر على حفظ تلك الحياة آلافا من السنين ولم يكن ذلك محالا ذاتاً حتى لايتعلق به القدرة نعم هو خارق للعادة وخرق نواميس الطبيعة فى شؤون الانبياء واوصيائهم ليس بشيء عجيب وأمر غريب.

على ان القرآن الكريم ينص لنافى قصة يونس عليه السلام «فلولا انه كان من المسبّحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون» = سورة الصافات آية: ١٤١ = وهو فى بطن الحيوان «الحوت» فى قعر البحر = الاية الشريفة صريحة فى ان يونس لولم يكن من المسبّحين لكان يلبث فى بطن الحوت على حاله الى يوم يبعث سائر البشر فكيف لايعيش انسان يهتم فى رعاية قوانين حفظ الصحة وهو عالم بجميع موجبات سلامة المزاج واستقامة وحفاظة اسباب طول عمره وهو يعيش ويتنعم ويتنفس فى الهواء الصافى اللطيف ويتجنب عن الهواء الراكد الكثيف. مع اثبات العلم اليوم امكان الخلود للانسان فى الدنيا آلافاً من السنين.

واحتمال ارادة موت يونس بازهاق روحه ولبث جسده فى بطن الحوت الى يوم البعث واحيائه عنده مخالف لظاهر الاية الشريفة لايصار اليه مالم يدل عليه دليل ولادليل لنا على خلاف الظاهر وارتكاب الظاهر و ارتكاب التأويل. وظواهر القرآن حجة ما لم يدل عليه على خلافها من العقل او النقل.

قال فى مجلة المقتطف ج ٣ سنة (٥٩): ان العلماء الموثوق بعلمهم يقولون ان كل الانسجة الرئيسية فى جسم الحيوان تقبل البقاء الى مالا نهاية له وانه فى الامكان ان يبقى الانسان حيّاً ألوفا من السنين اذا

←

بل و غريب جداً، كأنك نسيت قوله تعالى فى نبيه نوح ﷺ: ﴿ **فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عاماً** ﴾.(١) وذكر أرباب السير أن عمره كان الفاً وستمأة، وقيل أقل، وقيل اكثر حتى قيل انه تجاوز الالفين. ومن تدبر وأنصف عرف أن الانسان اذا أمكن أن يعيش سنة امكان ان يعيش ألوف السنين فان من وهبه الحياة سنة يقدر أن يمدّها الى ماشاءالله.

وأما سبب غيبة الخضر ﷺ أن صح كونه حيّاً موجوداً الى الآن كما عليه اكثر علماء الفريقين فلعل العلة فى غيبته كراهته لمعاشرة هذا الخلق المنعوس، وتجافيه عن مباشرة البشر الذى ثلثاه شرّ، بل كلّه شرّ الّا من عصم الله ممن يصل اليهم او يصلون اليه، ويأنس بهم ويأنسون اليه. أراد ـونعم ما أرادـ أن يعيش متباعداً عن هذه الجلبة والضوضا، والمدنية الزائعة، وكان وظيفته بين الانبياء ـان كان نبيّاًـ تكميل الخواص من عبادالله من السيّاح والزهاد، والابدال والاوتاد بخلاف سائر الانبياء، فان وظيفتهم دعوة العامة من سواد الناس الى الايمان بالله واليوم الاخر ولو بالايمان البسيط واليقين الضعيف.

← لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته وقولهم هذا ليس مجرد ظن بل هو نتيجة علمية مؤيدة بالامتحان. راجع الى اجزاء تلك المجلة تجد فيها البراهين الجلية فى اثبات هذا الموضوع على ان من كان من البشر مزاجه فى منتهى حد الاعتدال الحقيقى يمكن ان يعيش ويبقى حيا مادامت اسباب العيش موفورة له ومادام لم يعرض له عارض خارجي يميته.

والاعتدال الحقيقى فى المزاج يوجد فى بعض الناس من الانبياء والاولياء وما ذكره السابقون من الفلاسفة من الشبهات فى وجوده فقد ظهر وهنها اليوم ولا يعبأ بها فى هذا العصر عصر انكشاف اسرار الطبيعة.

(١) سورة ٢٩ آية: ١٤.

﴾ ٢٧ ﴿

الاجتهاد والحرّية الفكرية عند الشيعة الامامية

السؤال

الى أيّ حد نعتبر باب الاجتهاد مفتوحا امام علماء الشيعة الامامية وما مسافة هذا الاجتهاد؟ وما نوعه وما تأثيره على الفقه الشيعى ؟ وهل حـرّيتهم الفكـرية المعروفة عنهم مطلقة بالمعنى الصحيح أم هى مقيّدة تقييداً كبيراً بمذهبهم ؟

الجواب

١ . يعتبر باب الاجتهاد مفتوحا أمام فقهاء الامامية بغير حد من ناحية المجتهد الّا حدود تحقق شرائطه وأهليته من أى عنصر كان وفى أى بلد او زمان يكـون ، والى أىّ نحلة من نحل الاسلام ينتسب ، فهو من هذه الناحية حرّ طليق لايتقيد الّا بنفسه وتحقّق ذاته .

٢. واما مسافته : فهى كذلك غير محدودة لافى أول ولا آخر ، بل مستمرّة مادام التكليف، ومابقين العقول التى هى الحجة الكبرى للخالق على المخلوق، وللمخلوق

على الخالق، وهى ثابتة فى كل زمان ومكان؛ وفى عامة الشرائع والاديان.

٣. وأما نوعه: فهو من العلوم النظرية الفكرية الاستقلالية، و ليس من العلوم الالية، وهو مقدمة للعمل وليس تحققه منوطاً به؛ بل هو ملكة نفسية كسائر العلوم والفنون، ولاتكون ملكة راسخة الا بعد الممارسة والمزاولة وسبر الادلة، واستحضار القواعد العامة، والاحاطة بالاشباه والنظائر، وهو احوج ما يكون الى ذهن نافذ وفهم وقّاد، وذوق سليم واعتدال سليقةواستقامة طريقة، ومعرفة بالأمور العرفية يستطيع بها تطبيق الاصول للفروع وأستنباط حكم الجزئى من الدليل الكلى، ويستحيل عادة او حقيقة حصول هذه الملكة ـ أعنى ملكة الاجتهاد ـ للبليد والرجل العادى، ولذا قالوا: ان الاجتهاد نور يقذفه الله فى قلب من يشاء، وأنا أقول: نعم هو نور ولكن لايقذفه الله فى قلب احد جزافاً، وانما ينفحه به بعد طول الكدّ والجدّ والتعب، والعناء، وان نقل عن بعض الاساطين: ان ملكة الاجتهادحصلت لهم قبل البلوغ، وهو ان صح فمن النوادر والشواذ.

٤. هل حرّيتهم الفكرية مطلقة بالمعنى الصحيح أم هى مقيدة تقييدا كبيراً بمذهبهم؟! قد أشرنا الى ان الاجتهاد لايتقيد بمذهب من المذاهب، فهو مطلق من هذه الناحية، ولكن الاجتهاد الصحيح الذى يجوز للمجتهد ان يعمل به، وللمقلد أن يأخذ به ويرجع اليه مقيد بأن يكون على مذهبهم ومن السنّة المعتبرة عندهم، مثلا الأحناف قد يفتون على ما يقتضيه القياس والمصالح المرسلة، وهذا لايجوز عند الامامية أصلا؛ بل لابد من الاستناد الى الكتاب اوالسنّة المعتبرة عندهم، او العقل القطعى البديهى لا الظن او الاستحسان وحتى ان مراجعهم العليا فى الحديث ـ وهى الكتب الاربعة المشهورة: (الكافى) و(التهذيب) و(الاستبصار) و(من لايحضره الفقيه) ـ مع جلالة قدرها وعظمتها عندهم فهم لايعملون بكل حديث فيها؛ بل يمحّصونه ويفحصونه ويجتهدون فى سنده ومتنه، فقد يقبله مجتهد حسب

اجتهاده ؛ وقد يردّه آخر لعيوب يجدها فيه او معارض أقوى حسب اجتهاده ايضاً ، ومن هنا تعرف حريتهم الفكرية كيف ترامت الى أمد بعيد قد تجاوز الحدود واخترق التخوم ، ومنه تعرف ايضا تأثير انفتاح باب الاجتهاد على الفقه ، فان هذا الانفتاح قد شحذ أذهانهم ، وفتق قرائحهم ، وفتح لهم مدائن واسعة فى الفروع والاصول يعرف ذلك جلياً من راجع مؤلفاتهم فى الفقه والاصول ، من المتقدّمين والمتوسّطين والمتأخرين .

ولولا انحراف الصّحة ، و ضعف القوى ، وسوء ملكة العلل والاسقام لنساعة كتابتى هذه لذكرت نبذة وافية من الشواهد على ما كان له من التأثير على الفقه الشيعى ، بل قد تجاوز ذلك الى تأثيره على الأدب العربى ، والشعر البديع فقد كان لأكثر فقهائنا ، حتى من غير العرب نصيب من الادب العالى والشعر الرائق والمؤلّفات النفيسة فى انواع علوم العربية حتى متن اللغة ولو نظرت الى (طراز اللغة) لسيّد عليخان صاحب السلافة الذى هو وان لم يكمل أضعاف القاموس ، نعم لو نظرته لرأيت العجب من تلك السعة والاحاطة وحسن الذوق .

والخلاصة : أن انفتاح باب الاجتهاد لم يؤثر على الفقه عندهم فقط بل له تأثيره البليغ فى سائر العلوم حتى الحساب والهندسة والفلك وما اليها واذا أردت أن تعرف الفرق بين فقههم وفقه بقية المذاهب الاسلامية فمن الجدير ان تسيم نظرك فى مؤلّفنا الجديد الذى فرغنا من تأليفه وطبعه العام الماضى ، وهو كتاب (تحرير المجلة) فى خمسة اجزاء ، الاربعة الاولى منه فى العقود والمعاملات و الالتزامات والضمانات والقضاء والمرافعات ، والخامس فى ما يسمّونه اليوم بالحقوق الشخصية الذى استدركناه على أرباب المجلة.

وهذا البيان الوجيز وفق ما امكن لاوفق ما يلزم ، ولا زلتم موفّقين لخدمة المعارف بدعاء الأب الروحى .

۲۸

غيبة المهدي المنتظر عليه السلام

ولدى العزيز المهذّب النجيب

سألت عن «المهدى المنتظر» وقلت ان الشيعة يزعمون انه دخل فى سرداب فى سامراء وتغيّب هناك... ويقفون فى كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب فيهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم، ثم ينفضون ويرجئون الأمر الى الليلة الآتية ـ (انتهى).

الجواب

عجبت كيف تسألنى عن هذه الخرافة؟ ونسيت ما قلته أنت ونقلته عنّا فى صفحة من صفحات كتابك انه (اى محمّد الحسين) لايرضى عن الرجوع فى تاريخ الشيعة اى ما كتبه ابن خلدون (البربرى) الذى يكتب وهو فى أفريقيا وأقصى المغرب عن الشيعة فى العراق واقصى المشرق انتهى. فهل نقلت الأسطورة الخرافية الّا عن ابن خلدون أو أمثاله؟ وهل وجدتها فى شيء من كتب الشيعة؟

وقد أوضحنا غير مرّة أن من الاغلاط الشائعة عند القوم (اى عند السنّة) من

سلفهم الى خلفهم والىٰ اليوم زعمهم أن الشيعة يعتقدون غيبة الامام فى السرداب؛ مع أن السرداب لاعلاقة له بغيبة الامام اصلا؛ وانما تزوره الشيعة وتؤدّى بعض المراسيم العبادية فيه لأنه موضع تهجد الامام وآبائه العسكريين، ومحل قيامهم فى الأسحار لعبادة الحق.

وأعجب من ذلك قضية الوقوف على باب السرداب والهتاف باسمه ودعوته للخروج، فان سامراء من مشاهير مدن العراق، يقصدها كل يوم او كل شهر، او كلّ عام ألوف من أهل الاقطار النائية من مختلف العناصر والمذاهب، ومقام السرداب وبابه مفتوح لكل وارد انفتاح سائر المشاهد والمعابد، فمن ذا الذى رأى الشيعة يقفون على بابه ويهتفون باسمه للخروج نعم السرداب مزار عند الشيعة ويقفون على بابه أيّ وقت شاؤوا لايختص بمغرب ولاغيره؛ ويسمّيه العوام او بعض الخواص بـ(سرداب الغيبة) لان الامام غاب فى تلك الدار، وهى التى ولد ونشأفيها، ويقفون على الباب يستأذنون للدخول شأن الوقوف على الاماكن المقدّسة، و يسألونه تعالى تعجيل الفرج برفع كابوس هذا الظلم عن العالم، واقامة موازين القسط والعدل بظهور امام يملؤها قسطاً وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجوراً، ولا يختص السرداب بهذا الدعاء بل يدعون به فى كل زمان وكل مكان وهذه احدى الافتراآت التى كانت الدعايات السوداء تنشرها عن الشيعة، وكنّا نحسبها زالت او تزول فى هذا العصر الذى يسمّونه عصر النور ـ وهو أظلم العصور ظلماً وظلاما ـ كنا نحسبه عصر التمحيص وعصر الحقائق ـ واذاً الناس تلك الناس ـ والزمان ذلك الزمان، وكل كتاب فجر الاسلام، وكل كاتب أحمد أمين... (**فلا حول ولا قوة الا بالله العظيم**).

ثم ذكرت أنّ المؤرخون السنّيون يَشِكّون كلّ الشك فى نسب عبيدالله المهدى ـ (الفاطمى). مع أن كثيراً من مؤرخى السنة يصححون نسب الفاطميين، ومنهم

المقريزى على ما ذكر ، والظاهر ان محمّد بن اسماعيل هو محمّد المكتوم لامحمّد بن المكتوم ، أما ما نقلته عن المقريزى من أن أصل الدعوة الفاطمية مأخوذ عن القرامطة فان الحس والوجدان ، وسيرة الفاطميين أنفسهم تفند هذا الرأى وتزيفه ، فان القرامطة ملاحدة ، وقضيتهم فى مكة المشرفة وقلع الحجر ، وقول زعيمهم :

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا

وقوله بعد أن قتل فى المسجد الحرام سبعين ألفامن الحجّاج :

ولو كان هذا البيت بيتا لربّنا لصبّ علينا من صواعقه صباً

الى آخر الأبيات ، فان كل ذلك معروف .

٢٩

الفاطميون والقرامطة

سألت عن الفاطميين وصلتهم مع القرامطة، أقول: الفاطميون فيمكن أن يصحّ القول عنهم: أنه ما من دولة نشرت الثقافة الاسلامية وخدمت الاسلام عموماً، ومصر خصوصاً مثل الدولة الفاطمية، ولو لم يكن لهم من المآثر والمفاخر سوى الأزهر الخالد لكفى، أمن الحق والانصاف أن يكون جزاء هؤلاء ازاء خدماتهم لمصر والاسلام انهم ملاحدة قرامطة مذهباً؟ ويهود بالاصل نسباً ؟! الحكم فى ذلك لوجدانك النزيه، وضميرك الحرّ ونعوذ بالله من العصبية التى تضع على الأبصار والبصائر كل غشاوة.

فمن عقائد الفاطميين قولهم بوصاية على بن ابيطالب عليه السلام، وهى فكرة مأخوذة عن الشيعة الامامية. وهم الذين لقبّوا عليا بهذا اللقب فى حياته وان علياً لم يرض به كما لم يرض بغيره من الاقوال التى ذهبوا فيها الى تقديسه الى آخر ما ذكرت، وهذه شنشنة قديمة أعرفها من اخواننا السنّيين، ولااستطيع ان أثبت لك بهذه الفصاحة وصاية على عليه السلام من كتبهم لانه قد يستوعب مجلداً، ولكن ليت شعرى أنظرت فى «أصل الشيعة وأصولها» ونسيتها او تناسيتها اولم تنظرها ؟ وعلى كل

فأنا أرشدك الى شاهد ثبت لعلك تقنع به ، وتعرف منه أن لقب الوصى لعلّى عليه السلام أشهر ـ كما يقولون ـ من الشمس فى رائعة النهار ، هو المسطور فى آخر مجلد من لسان العرب لابن منظور المصرى تحت مادّة «وصى» أنظر هناك واعجب[1] ثم ليت شعرى من اين ثبت عندك أن عليا عليه السلام لم يرض به فى حياته ؟

وهذا (نهج البلاغة) مشحون بما يدلّ على ذلك ، وغير النهج من خطبه وكتبه .

---

(١) قال امام ائمة اللغة جمال الدين محمّد المعروف بابن منظور الافريقى المصرى الانصارى المتوفى (٧١١) هـ فى كتابه الكبير النفيس «لسان العرب» ما هذا لفظه :

قيل لعلى عليه السلام «وصى» لاتصال نسبه وسببه وسمته بنسب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسببه وسمته (قلت) كرم الله وجه اميرالمؤمنين على وسلم عليه هذه صفاته عند السلف الصالح رضى الله عنهم ويقول فيه غيرهم لولا دعابة فيه وقول كثير .

تـخبر مـن لاقت انك عـائذ	بل العائذ المحبوس فى سجن عـارم
وصى النبى المصطفى وابـن عـمه	وفكـاك اغـلال وقـاضى مـغارم

انما اراد ابن وصى النبى وابن ابن عمه وهو الحسن بن على او الحسين بن على رضى الله عنهم فاقام الوصى مقامهما الاترى أن عليا رضى الله عنه لم يكن فى سجن عارم ولاسجن قط قال ابن سيدة انبأنا بذلك ابوالعلاء عن ابى على الفارسى والاشهر انه محمّد بن الحنفية رضى الله عنه حبسه عبدالله بن الزبير فى سجن عارم والقصيدة فى شعر كثير مشهورة والممدوح بها محمّد بن الحنفية (ا هـ) انظر لسان العرب ، ج ٢٠ ، ص ٢٧٤ ، ط مصر . وقد خاطب رسول الله ـ اميرالمؤمنين ـ فى صدر الاسلام بلقب (الوصى) وذلك حينما نزلت آية وانذر عشيرتك الاقربين وجمع رسول الله صلى الله عليه وآله اعمامه وعشيرته وتكلم فقال : يا بنى عبدالمطلب انى والله ما اعلم شابا فى العرب جاء قومه بافضل ممّا قد جئتكم به قد جئتكم بخير لادنيا والاخرة وقد امرنى الله تعالىٰ ان أدعوكم اليه فايكم يوازرنى على هذا الامر على ان يكون أخى و وصى وخليفتى فيكم ، فاحجم القوم عنها جميعا قال اميرالمؤمنين عليه السلام وقلت انى لاحدثهم سنّاً وارمصهم عينا واعظمهم بطناً واحمشهم ساقا انا يا نبى الله أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقبتى ثم قال : ان هذا اخى و وصى وخليفتى فيكم فاسمعوا له واطيعوا قال : فقام القوم يضحكون فيقولون لابى طالب قد امرك ان تسمع لابنك وتطيع . وقد اجمع المؤرخون على نقل هذه القضية فى كتب التواريخ انظر تاريخ الكامل لابن الاثير ج ٢ ، ص ٢٢ ، ط مصر و تاريخ الطبرى ج ٢ ، ص ٢١٦ . وغيرهما من الكتب المعتبرة يطول الكلام بذكرها .

۳۰

عصمة الأئمة عليهم السلام و ...

١ . سألت عن القول بعصمة الائمة عند الشيعة الامامية يحجب شيئا من الحرية الفكرية عندهم ، او يحول دون التمتع بها على الوجه الاكمل .

الجواب

أنى لااحسب ان طائفة من طوائف الاسلام تلتزم الحرية الفكرية وتطلق سراح العقل فى أوسع آفاقه كعلماء الطائفة الامامية ؛ والقول بالعصمة لايضايق العقل عندهم ولاتقيّده بشىء من قيود ، وللعقل المقام الأعلى فى ادلة الاحكام ؛ واذا عارضه النقل فالمعول على العقل وكثيراً ما يأتى الحديث الذى هو فى أعلى مراتب الصحة عن الائمة المعصومين عليهم السلام ـ وهو ما يسمّونه بالصحيح الاعلائى ـ ويكون منافيا للعقل ، فان أمكن تأويله الى ما يوافق العقل أوّلوه ، والاّ ضربوا به الجدار ، وتأدّباً يقولون نردّ علمه الى أهله ، ولا يعملون به .

٢ . وسألت ما هى أهمّ الفروق الواضحة بين الشيعة الامامية والشيعة الفاطمية الذين هم فرع من الامامية ؟ !

الجواب

ما قلته لبعض علماء الشيعة الاسماعيلية الذين هم الى اليوم فى الهند (بومباى) فانّهم بقية الفاطميين تحقيقا وأعنى بهم (البهرة) أتباع. «طاهر سيف الدين» لاأتباع «آغاخان» فانّهم ملاحدة تحقيقاً: لاحج، ولاصوم، ولاصلاة، بخلاف الاوّلين.

نعم قلت: نحن وأنتم سرنا فى طريق واحد وعند ما وصلنا منتصفة الطريق فارقتمونا وهكذا الحال فانهم يوافقوننا فى ستة من الائمة من على عليه السلام الى جعفر الصادق عليه السلام وينكرون الستّة الآخرين؛ وللمقال هنا مجال واسع فى ذكر أصولهم وفروعهم، وفى ذكر القاضى النعمان بن محمّد المصرى وغيره من افراد أسرته الجليلة الذين تولّوا القضاء للفاطميين أكثر من مأة سنة وكتابه الجليل (دعائم الاسلام) ولكن لاقوة تساعدنى على الافاضة فى ذلك، فعذراً.

٣. وسألت ما هى الصلة بين الشيعة الامامية ومنهم الفاطمية وبين المعتزلة التى هى من فرق السنة؟ فقد وجدت الفريقين تتحدثان عن صفات الله، وتخصّان صفة العدل من صفاته تعالى بالكلام.

الجواب

أن المعتزلة فرق كثيرة، وقد انقرضت اليوم على الظاهر، ومنها معتزلة الشيعة، ومعتزلة السنّة، ومعتزلة السنّة ايضا أنواع مفضّلة وغير مفضّلة، والذى يجمعها عموما مع الشيعة عموما هو قولهم بأن من صفاته تعالى العدل الذى ينكره الاشاعرة. وعلى هذا تبتنى مسئلة الحسن والقبح العقليين التى تقول بها الامامية والمعتزلة؛ وتنكرها الاشاعرة ايضا، وبهذا الملاك يطلق على الفريقين اسم العدلية.

أما الكلام فهى مسئلة أخرى، فان الاشاعرة قالوا بالكلام النفسى له تعالى،

وأنه من صفاته الثبوتية ، وانكره العدلية بأجمعهم ، ومن هذه القضية تفرّعت المسألة المهمة التى أخذت دوراً واسعاً فى زمن المأمون والمعتصم ، والواثق بل والمتوكل ايضا ، وهى قضية خلق القرآن وهل هو حادث او قديم ؟ مخلوق او غير مخلوق ؟ وهى المحنة التى ضرب فى سبيلها الامام أحمد بن حنبل بالسياط ، وقد أشبعنا الكلام فى هذه المباحث فى الجزء الاول من كتاب (الدين والاسلام) ولا مجال لتفصيل هذه المباحث العويصة فى هذا الكتاب الوجيز مع ما نحن فيه من العجز .

۳۱

عصمة الرسول الأعظم ﷺ

سألت ـ وفقك الله ـ عن الحديث الذى رواه البخارى ومسلم وأرباب السنن كالترمذى، وابن داود ابن ماجه عن حذيفة أنّ رسول الله ﷺ أتى سباطة قوم فبال قائماً. وأن بعض أئمة المساجد لم تستطع أن تقنعه بأن هذا الحديث كذب. وتقول هل جاء نص بحرمته؟ وطلبت منا الجواب.

فاعلم أننا وأكثر المذاهب الاسلامية على الظاهر نعتقد عصمة النبى ﷺ ولاشك أنّ العصمة فوق العدالة بمراتب والعدالة كما هو معروف ترك الكبائر وعدم الاصرار على الصغائر، وعدم ارتكاب منافيات المروّة، ويمثّلون منافيات المروة بمثل الأكل فى الطريق او المشى فيه عاريا مستور العورة، فاذا كان مثل الاكل منافياً للمروّة ومسقطاً للعدالة، فكيف لايكون البول فى الطريق منافيا للمروة ومسقطاً للعدالة؟ فهل يعقل أن يكون النبى ﷺ غير عادل؟ مع أن الواجب عقلا أن يكون معصوما والعصمة فوق العدالة، ومنافيات المروة لايلزم أن تكون حراما حتى يقال هل أتى نص بحرمته، وغير خفى على ذى لب أن مقام النبى الكريم الذى يقول فيه العظيم: ﴿ وَ إِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ

عَظِيمٍ﴾[١] حتى في احواله العادية فضلاً عمّا يعود الى عالم التشريع هو فوق مستوى البشرية فهو منزه في كل أقواله وأفعاله بعيد عمّا يكون له أي مساس بحفظ الكرامة، والصيانة والوقار، والهيبة ولاريب أن البول قياما ولاسيما أمام جماعة من الناس ممّا تنبوعنه الطباع وتشمئز منه النفوس، ألاترى ان العرب كانوا اذا أرادوا ذم الرجل، وأنه جلف جافي لايعقل شيئا يقولون: (أعرابي[٢] بوّال على عقبيه) أي يبول قائما يترشح البول او يسيل على عقبيه كالبهائم. فاذا كان أحد أئمة المساجد الذي لم تستطع اقناعه بكذب الخبر يرضى أن يكون نبيّه بوالاً على عقبيه، فنحن لانرضى بذلك وننزّه مقام النبوّة ونقدّسه عن مثل هذا الرذائل. ومن الشائع المعروف عند الامامية أنه ﷺ ما رآه أحد على بول او غائط قط وان الارض تبتلع فضلاته.

وهذا أمر جلي واضح يدركه الذوق والوجدان وهو في غنى عن الدليل والبرهان، فان كل ذي شعور اذا وجد رجلا يبول في الطريق قائما أو قاعداً يسقط من عينه، ولايبقى له أي كرامة في المجتمع، كمن يمشي عاريا في الجامع، ويستحق الذّم واللوم عند العقلاء وهو في سائر الناس فما ظنك بالنبيّ والائمة سلام الله عليهم؛ والعلماء الذين بهم الأسوة والقدوة؟!

هذا من طريق العقل والعرف والاعتبار، أما لو اردنا سرد الاخبار الواردة في كراهة البول قائما او في الطريق، واستحباب التباعد بالبول بحيث لايرى، وأن يتوقى الترشح ونحوه فهو كثير لايسع المجال لاحصائه، نعم لو رأينا النبي ﷺ بال قائما بأعيننا او ثبت ذلك بالتواتر وجب علينا تخريج وجه لصحة عمله، وطلب وجوه التأويل لهذا العمل المنكر عقلا وعرفا وشرعا، فنقول ان مراده بيان الجواز؛

---

(١) سورة ٦٨ آية: ٤.

(٢) الاعراب أهل البادية من العرب والعجم.

ودفع توهّم الحرمة، او أن الضرورة وشدة الحصر دفعه الى ذلك لدفع الضرر، كما ورد في بعض الاخبار: «بل ولو على ظهر حمارك» أي اذا حصرك البول. وبالجملة اذا قطعنا بصدور العمل منه يلزمنا التأويل.

أما بمثل هذا الخبر الضعيف السند المضطرب المتن، السخيف المعنى والمبنى فنضرب به الجدار، ومن أصرّ عليه فلاذوق له، وان أبىٰ فهو حمار، وقد روى البخارى بنفسه ضد هذا الخبر سنده عن ابن طاووس عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ مرّ على قبرين فسمع منهما أنينا فقال: ان صاحبيهما ليعذّبان وما يعذبان عن كبيرة، أما أحدهما فكان لايستتر ببوله وأما الاخر فيمشي بالنميمة.

وفى بعض الاخبار التى رواها فى بول النبي ﷺ أن حذيفة كان الىٰ جنب النبي ﷺ لما بال وهو قائم، والقصارى ان هذا الخبر يشهد بكذبه العقل والعرف والذوق والاحاديث الكثيرة، فان قنع صاحبك بهذا كله فالحمدلله على الوفاق، والّا فانك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء.

۳۲

أسماءِ اللهِ الحُسنىٰ

سؤال:

ما المراد من الاسم او الاسماء الواردة فى أدعية متفرقة عن أهل الذكر علیهم السلام كما فى دعاء السحر «اللهم انى أسألك من أسمائك بأكبرها وكل أسمائك كبيرة» وكما فى غيره «وبأسمائك التى ملاءت أركان كل شيء» «وبأسمائك التى تجلّيت بها للكليم على الجبل» وأمثال ذلك وكالاسماء التى اشتقّها تعالى من أسمائه لبعض أوليائه كمحمد ؛ وعلى ؛ وفاطمة ؛ والحسن ، والحسين عليهم السلام مع أنه جل وعلا لم يجعل من أسمائه التى تسمّى بها محمّداً ، وفاطمة ، وحسين ؛ ، كما قد جعل عليا وحسنا منها ، وما المراد من الاشتقاق ؟

الجواب:

المراد من الاسماء فى تلك الادعية الشريفة المظاهر الآلهية التى يتجلّى بها جلّ شأنه لخاصّة أصفيائه فى أزمنه خاصة ، وأمكنة مقدسة فالاسماء التى تتجلى بها

للكليم هى الظهورات التى ظهر بها الجليل على جبل طور سيناء، أى الانوار اوالنار التى ظهرت للكليم ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[1] وتوجد الاشارة الى كثير من هذه الظهورات فى دعاء السمات الذى يقرء عصر الجمعة وهو من الادعية الجليلة وهذه هى الاسماء التى ملاءت أركان كل شىء، فان له تعالى فى كل ظهور.

وفى كـل شىء له آيـة   تدل على أنـه واحـد[2]

وأما اشتقاق أسماء بعض أوليائه من أسمائه، فالمراد اشتقاقها من المصادر، والمعانى الشريفة التى هى من أوصافه بالحق والاستحقاق، وعلى الاطلاق كالحمد الذى اشتق منه محمّد ﷺ وكالعلو الذى اشتق منه على عليه السلام وكالحسن والاحسان الذى أشتق منه الحسن والحسين، وهكذا، والله وأوليائه أعلم بمرادهم.

وللاسم معان أخرى لايتسع الوقت لبيان أعظمها؛ العقل الاول فى لسان الحكماء ورحمته التى وسعت كل شىء فى لسان الشرع، وهكذا والله العالم.

---

(١) سورة ٢٨ آية : ٣٠.

(٢) هذا البيت لابى العتاهية الشاعر المشهور المتوفى : (٢١٠)

۳۳

ما معني : « علماء أمّتي كأنبياء بني اسرائيل ؟ »

ما تقولون فى الحديث النبوى : علماء امتى كأنبياء بنى اسرائيل ؟[1]

ما المراد بالعلماء أهم الائمة علىّ أميرالمؤمنين وأولاده عليهم السلام ؟ أم علماء الشيعة ؟!

وما المراد بالانبياء أهم نوح ؛ وابراهيم ، وموسى ، وعيسى عليهم السلام ؟ أم سائر أنبياء بنى اسرائيل ؟

الجواب:

وجوه الشبه والمماثلة بين أنبياء بنى اسرائيل وعلماء هذه الأمّة كثيرة .

---

(١) هذا الحديث مذكور فى كثير من الكتب المتداولة ومشهور فى الالسنة ولكن لم يوجد فى الجوامع الحديثية للامامية من روايته وسنده عين ولا أثر بل صرح جمع من مهرة المحدثين وأساتذتهم انه من موضوعات العامة .

قال المحدث الاكبر السيد عبدالله الشبر رحمه الله فى كتابه مصابيح الانوار روى عن النبى صلى الله عليه وآله قال : علماء أمتى انبياء بنى اسرائيل او كانبياء بنى اسرائيل أو افضل من انبياء بنى اسرائيل . وهذا الحديث لم نقف عليه فى اصولنا واخبارنا بعد الفحص والتتبع ، والظاهر انه من موضوعات العامة وممن صرح بوضعه من علمائنا المحدث الحر العاملى رحمه الله فى «الفوائد الطوسية» والمحدث الشريف الجزائرى رحمه الله وكيف كان فيمكن توجيهه بوجهين الخ . انظر ج ١ ، ص ٤٣٤ ط بغداد .

الاول: المشابهة عندالله سبحانه فى المنزلة والكرامة.

الثانى: أن بنى اسرائيل كان اكثر أنبيائهم يختلفون فى التكليف بالدعوة. فبعض يدعو طائفة وآخر يدعو بلداً، وثالث يدعو قرية وهكذا وكذلك علماء هذه الامة.

الثالث: كما أن أكثر أنبياء بنى اسرائيل لم يكونوا أصحاب شرائع جديدة بل كانوا يدعون الى شريعة موسى، و يبلغون الى الناس أحكام (التوراة) فكذلك علماء هذه الامة يدعون الى شريعة خاتم الانبياء ويبلغون أحكام القرآن الكريم.

الرابع: كما أن أنبياء بنى اسرائيل كانوا فى الغالب تحت اسرالبلاء والشدة والبلاء والمحنة من جبابرة زمانهم، فكذلك العلماء الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، الصالحون المصلحون ممتحنون مضطهدون.

الخامس: كما أن أنبياء بنى اسرائيل زاهدون فى الدنيا راغبون فى الاخرة، حلماء حكماء فكذلك علماء هذه الامة، ولعل هناك وجوها آخر يستخرجها الفطن اللبيب، وعلى أى حال فالمراد من العلماء هم فقهاء الامامية وحملة آثار النبوة والامامة، لاخصوص الائمة المعصومين سلام الله عليهم وان كانوا أظهر أفراد العلماء.

وباختلاف تلك الوجوه يختلف التعميم والتخصيص من حيث ارادة تمام انبياء بنى‌اسرائيل حتى موسى و عيسى عليهما السلام، او من عدا اولى العزم منهم، والله العالم.

٣٤

هاشم وأميّة ليسا من أب واحد

قد يعترض على بيتين من قصيدة السيد حيدر الحلّي[١] وهي قوله كما يأتي أدناه متهجّماً على بني أمية وآل سفيان ماسّاً في عرضهم، يدّعي المعترض انّ هذا خطأ من السيد الحلّي لأنّ نساء بني أمية وبناتهم عرض النبي حيث بني أمية وبني هاشم من أب واحد واخوان، ومن يمس بعرض بني امية ويقول فيهم الفحش قد مسّ النبي، ولم يقنع من أن الاسلام فرّق بين المؤمن والكافر وبين الاخ واخيه والولد وأبيه الخ ...

الأبيات:

ودونكم والعار ضمّوا غشائه	اليكم الى وجه من العار أسود
يرشح لكن لالشيء سوى الخنا	وبعدكم فيما يروح ويغتدي
وترف لكم للبغاء فتاتكم	فيدنس منها في الدجى كل فرقد

---

(١) سيد حيدر بن سليمان الحسيني الحلي امام شعراء العراق شاعر اهل البيت على الاطلاق الجامع بين فصاحة اللسان وبلاغة البيان وشدة التقوى والورع وقوة الايمان ويحق ان يقال هو فخر الطالبيين وناموس العلويين ولد سنة: (١٣٤٦) هوتوفي سنة: (١٣٠٤) هـ.

الجواب:

لاغرو أن يعترض أمثال هؤلاء الاغراروالناشئة الذين لاخبرة لهم بشيء من السير والتاريخ والامور الضرورية من أحوال الجاهلية والاسلام وان الذى ذكره علماء التاريخ من رجال السنة وشعرائهم وكتّابهم من فضائح بنى أمية ومخازيهم والقدم فى أعراضهم وبيان (عهرهم) وفجورهم أكثر مما ذكره علماء الشيعة وشعرائهم بكثير، وقضايا هند أم معاوية زوجة ابى سفيان وفجورها قد نظّمه الشعراء فى زمن النبى ﷺ وأشهر من شهرها شاعر النبى حسان ثابت بقوله :

لمن الصبى بجانب البطحاء ملق عليها غير ذى مهد
بخلت به هيفاء آنسة من عبد شمس صلة الخد

فى أشعار كثيره كلّها مخزية، ومارواها الاّ علماء السنة وشعرائهم ولماذا نذهب بعيداً الى ثلاثة او أربعة عشر قرنا وهذا الشاعر الفحل الذى لم يبعد عن عصرنا بقرن واحد وهو (عبدالباقى) وهو سنّى عمرى فاروقى يقول فى الباقيات الصالحات من جملة ابيات مشهورة :

واحربا يا آل حرب منكم يا آل حرب منكم واحربا
فيكم وعنكم وبكم ومنكم[1] مالو شرحناه فضحنا الكتبا

فرحمة الله على السيد حيدر فانّه أقصى ما صنع بشعره انه فضحهم ولكن العمرى فضح الكتب بفضايحهم، وعلى أى فقل لذلك الجاهل المعترض (بأنّ نساء بنى امية عرض النبى ﷺ) ليتك أيها الغرّ قرأت كتاب ابن ابى الحديد او نهج البلاغة الذى طبع مئات المرّات، ليتك تقرء وتتدبّر ان أميّة وهاشم ليس ابوهما

---

(١) لكم ومنكم وعليكم وربكم... كذا فى ديوانه : «الترياق الفاروقى» ص ٩٦ ط ٣ النجف سنة : ١٣٨٤ هـ

واحداً ، فان امية ليس من صلب عبد شمس ولكنه لقيط أى : ابن زنا وولد فاحشة تبنّاه عبد شمس(١) ويشهد لهذا اقوى شهادة قول أميرالمؤمنين سلام الله عـليه فى كتاب له ذكره السيد الرضى رضوان الله عليه فى محاسن كتب النهج جوابالكتاب من معاوية يقول فيه لاميرالمؤمنين عليه‌السلام : ألسنا نحـن ـاى بنى اميّة ـوانتم ـاى بنى هاشم ـمن شجرة واحدة او ما هو بهـذا المضون فـيقول له سـلام الله عـليه فى الجواب : نعم ولكن ليس المهاجر كالطليق ولا الصميم كاللصيق ، يعنى ان هـاشما

---

(١) من نعم النظر الى التاريخ بالبحث والتنقيب والتحليل الصحيح يجد فى صفحات التاريخ الخالى عن الافائك ودسائس السياسة الغاشمة فى العهدين = الاموى والعباسى حقائق راهنة ويقطع بـالوجدان انى بنى امية = تلك الشجرة الملعونة = لم يكونوا من العرب ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف فان امية كان فتى من الروم تبنّاه عبد شمس على عادة العرب فى الجاهلية من تبنّيهم اولاد الاسرى كما فـى قضية زيد ورسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله . وقد بين لنا اهل البيت عليهم‌السلام فى جملة اسرارهم المودعة عند علماء شيعتهم ان بنى امية ليسوا من القريش ولذا ورد عنهم عليهم‌السلام فى تأويل قوله تعالى : «الم غلبت الروم» ان الروم هم بنو امية وعن اميرالمؤمنين عليه‌السلام قال قوله تعالى : (الم غلبت الروم) فينا وفى بنى امية .

قال الباحث النقاد المتضلع على بن احمد الكوفى المتوفى : سنة (٣٥٢) فى كتاب «الاستغاثة) : لقـد روينا عن علماء اهل البيت عليهم‌السلام فى اسرارهم وعلومهم التى خرجت منهم الى علماء شيعتهم ان قوما ينسبون من قريش وليسوا من قريش بحقيقة النسب وهذا مما لايعرفه الا معدن النبوة و ورثة عـلم الرسالة وذلك مثل بنى امية ذكروا انهم ليسوا من قريش وان اصلهم من الروم وفيهم تاويل هذه الاية الم غلبت الروم معناه انهم غلبوا على الملك وسيغلبهم على ذلك بنو العباس (ا ه)

ومن هنا يظهر للقارى ، الفطن ان قصة تولد هاشم وعبد شمس توأمين من الاساطير التى وضعتها يد السياسة فى العصر الاموى لاثبات اتصال نسبهما ووحدته وهى اكذوبة اختلقتها يد الاثيمة ونـقلها بعض المؤرخين من دون تحقيق وتثبت كما هو دينهم فى نقل اغلب القصص والقـضايا كـما يـقول المقريزى فى كتابه «النزاع والتخاصم» ص ١٨ ط مصر ما هذا لفظه :

(وقد كانت المنافرة لاتزال بين بنى هاشم وبنى عبد شمس بحيث انه يقال ان هاشما وعبد شمس ولدا توأمين فخرج عبد شمس فى الولادة قبل هاشم وقد لصقت اصبع احدهما بجبهة الاخر ، فلما نزعت دمى المكان فقيل سيكون بينهما او بين ولديهما دم ، فكان كذلك ويقال ان عبد شمس وهاشما كانا يوم ولدا فى بطن واحد كانت جباههما ملصقة بعضها ببعض فاخذ السيف ففرّق بين جباههما بالسيف = فقال بعض العرب الا فرق ذلك بالدرهم فانه لايزال السيف بينهم وفى أولادهم الى الابد) . وفى بعض التواريخ كان ظهر كل واحد منهما متلزقا بظهر الاخر ففرق بينهما بالسيف .

الولد الصميم وامية الولد اللصيق، قل لذلك الجاهل او كانت نساء اميّة عرض النبي ﷺ لنهى شاعره حسان عن التعرّض لها، وما لنا نذهب بعيداً وهذا كتاب الله العظيم يقول لنبيّه نوح حين قال: ان ابنى من أهلى، فنفاه تعالى عنه بقول: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾؛ ولكن اكثر شبّان هذا الزمان يدخلون المدارس ويخرجون بعد ست سنوات او أكثر يحملون الشهادة او شهادة (الدكتوراه) ولايحفظون آية واحدة من كتاب الله العظيم حتى ولافاتحة الكتاب، لان الشيطان والتمدن الغربى بحمدالله قد اسقط عنهم كل تكليف وكل أدب اسلامى.

اما معاوية فلى فيه رأى خاص لعلى قد انفردت به ـ على الظاهر ـ وهو ان هنداً حملت به من...[١] ولا أدرى أكان ذلك فى الجاهلية او الاسلام ولكنه... ولى على ذلك شواهد كثيرة لامجال لذكرها فى هذه اللمحة العابرة ولو وجدت متسعاً فى الوقت ومهلة من الاشغال وفترة من الاسقام لشرحت لك قدراً وافيا من فضايح بنى امية ومخازيهم ما يصدّق قولا الفاروقى: (ما لو شرحناه فضحنا الكتبا) ولعرفت القائل فى صحيفته السوداء من المتعصبين لهذه الشجرة الملعونة فى القرآن والقرود التى رآها رسول الله ﷺ تنزوه على منبره، نعم لو فسح لى المجال لعرفته ضلالته بقوله: الاسلام بلغ ذروته فى أيام بنى امية وأريته بالعيان والوجدان فضلا عن الدليل والبرهان ان الاسلام ما ضربه أحد الضربة القاضية سوى بنى أمية وكل الحروب والرايات التى قامت بضد الاسلام مارفعها سوى ابى سفيان وقومه قبل الاسلام وبعد وسواء كان امية من العرب او من غيرهم، فلقد سوّدوا وجه العرب بشنائعهم ومخازيهم فى الجاهلية و أول الاسلام كما سوّد ملك العرب اليوم جبين العروبة الأغرّ بخيانتهم فى قضية فلسطين ولله امر هو بالغه، ولاحول ولا قوة إلّا به.

---

(١) ذكر شيخنا الامام ﷺ فى هذا المقام اسم رجل اقتضت المصلحة العامة للمسلمين اليوم عدم التصريح باسمه.

۳۵

هل حديث : « من رآنا فقد رآنا » صحيح ؟

سمعنا أن أهل البيت عليهم السلام قالوا : من رآنا فقد رآنا فهل هذا صحيح ؟ وكيف يتّفق مع انكار العلم الحديث صحّة الحديث ؟

الجواب:

اما صحّة الحديث فهو من الشهرة والاستفاضة بمكان وقد اتفق على روايته فى الجملة رواة العامة والخاصة ، وهو وان وقع الاختلاف فى الفاظه وتراكيبه ولكن القدر المشترك منه وهو : عن النبى صلى الله عليه وآله **من رآنى فقدرآنى فانّ الشيطان لايتمثل بصورتى**[1] مستفيض ، وقد رواه الصدوق رحمه الله فى الامالى والعيون، وتعرّض ابوالفتح الكراجكى رحمه الله لهذا الحديث فى كنزه[2] ونقل عن شيخه المفيد رضوان الله عليه

---

(۱) صحيح البخارى، ص ٥٤، ج ٨ عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله : قال... ومن رآنى فى المنام فقد رآنى فان الشيطان لايتمثل صورتى .

(۲) انظر كنز الفوائد للعلاالمة الكراجكى رحمه الله ص ٢١٢ ـ. وفى اسألة مهنّا بن سنان رحمه الله عن آية الله العلامة

←

كلاماً عاليا فى شرحه و وجوهه .

اما صحّة الاحلام فى الجملة واصابة كثير منها للواقع فأمر لايقبل الانكار ويشهد به الوجدان قبل الشريعة والقرآن واتفقت عليه حكماء الهند واليونان ، اما علماء الغرب واهل العلم الحديث فلا احسبهم متفقين على انكاره ، وان وجد فيهم من ينكره فهم المادّيون المنكرون للارواح المجردة والجواهر المفارقة ، اما المثبتون للارواح والذاهبون الى صحة التنويم المغناطيسى واستحضار ارواح الاموات والاحياء فهو محقق عندهم وبالجملة فصحة بعض الاحلام مما لايرتاب فيها ذو والاحلام .

← الحلّى ﷺ : انه صح عن سيدنا رسول الله ﷺ انه قال : «من رآنى فى المنام فقد رآنى فان الشيطان لايتمثل به» .

ولكن السيد الامام المرتضى على الهدى ﷺ قال فى الامالى ما هذا لفظه : فان قيل : فما تأويل ما يروى عنه ﷺ من قوله : «من رآنى فقد رآنى فان الشيطان لايتخيل بى»... قلنا : هذا خبر واحد ضعيف من أضعف أخبار ولامعول على مثل ذلك... وللسيد ﷺ كلمة فى المنامات ينبغى ملاحظتها أنظر الامالى ج ٢ ، ص ٣٩٢ = ٣٩٥ ط مصر سنة : ١٣٧٣ هـ.

٣٦

عصيان آدم ابوالبشر

سؤال:

حول عصيان آدم ابوالبشر لربّه فى أكل الشجرة الّتى نهاه عنها، فكيف يجوز ذلك إلى الانبياء؟

الجواب:

فهى مسألة جدا بسيطة، فانها فرع من اصل؛ وينبغى البحث والنظر فى ذلك الأصل فان كان محققاً كان ترتب الفرع عليه ضروريا والافلا، اما الاصل فهو قضية عصمة الأنبياء، فان قامت الادلة العقلية القاطعة على لزوم عصمتهم فلامحيص من تأويل كل ما ورد فى النقل مما هو بظاهره معارض لحكم العقل، اذ الدليل النقلى يقبل التأويل مهما كان قوى الظهور بخلاف الدليل العقلى، أما حكم العقل بوجوب عصمة الانبياء فى الجملة مما لاريب فيه[1] والا لانتقض الغرض من

---

(١) غير خفى على الباحث الخبير ان الادلة العقلية القطعية والنقلية من الكتاب والسنة و ضرورة مذهبنا ←

بعثتهم ولكن شمول الادلة لاثبات العصمة حتى لآدم الذى هو بدء الخليقة واول التكوين ولم تكن هناك أمة أرسل الى هدايتها وارشادها ولا دعوة قام باعباءها، نعم شمول الادلة لوجوب عصمة مثله مشكل، وشمول العصمة حتى لمثل هذا الذنب اشكل وصدور المعصية منه بمعناها الحقيقى لايمنع منه العقل ويشهد به النقل، ولكن علمائنا الاساطين ولاسيما السيد المرتضى والمفيد رضوان الله عليهم أبوا الّا تنزيهه عن المعصية كتنزيه سائر الانبياء حتى الصغار منهم وتأويل كل ما ورد فى الكتاب الكريم مما هو كالنص فى صدورها منه مثل قوله تعالى: **وعصى آدم ربه فغوى**[1] ونظائرها كثيرة.

نعم كافة الامامية نزّهوا آدم عن المعصية ولعلّهم ارادوا أن يكونوا لأبيهم ابناء بررة، ولا يعقّونه كما عقّه سائر المسلمين بل وغيرهم بل أفرط بعض الفلاسفة الأدباء من حكماء الاسلام حتى الى أعباء مسئولية جميع ابنائه عليه، فهذا الفيلسوف ابن شبل البغدادى[2] فى قصيدته الكونية المشهورة التى يقول فى أولها:

بربك أيها الفلك المدار أقصد ذا المسير أم اضطرار

← دلت على عصمة الانبياء عليهم السلام من الكبائر والصغائر من اول عمرهم الى آخره قبل بعثتهم وبعدها فما ورد من الآيات القرآنية او بعض الآحاد من الاحاديث الشريفة وظاهرها نسبة الذنب اليهم لابد من تأويلها ورفع اليد من ظاهرها كما نرفع اليد عن ظاهر بعض الايات الشريفة الظاهرة فى التجسيم والتشبيه ورؤية الله تعالى وامثالها المخالفة للادلة العقلية والنقلية المحققة ولذا لاينبغى التأمل فى انه لابد من تأويل تلك الايات الشريفة.

وقد تحقق فى محله ان ظواهر القرآن الكريم حجة مالم يدل دليل على خلافها من العقل او النقل واذا دل الدليل على الخلاف فنرفع اليد من الظواهر والله العاصم.

(١) سورة ٢٠ آية: ١٢١.

(٢) حسين بن عبدالله بن شبل البغدادى المتوفى بها سنة: (٤٧٥) هـ من رجال الادب والفلسفة والطب والشعر له قصائد مشهورة عالية انظر ترجمته فى معجم الادباء لياقوت الحموى و «لغت نامه» لدهخدا ومعجم ادباء الاطباء للنطاسى الاديب الشاعر الكبير ميرزا محمّد الخليلى النجفى = وغيرها.

فــان يك آدم أشــق بــنيه بأمــر مــاله مــنه اعــتذار
ولم يــــنفعه بــالاسماء عــلم ولانـفع السـجود ولاالحـوار
فــيالك أكــلة مـازال مـنها عــلينا نــقمة وعــليه عـار

وزاد فيلسوف المعرّة[1] على ذلك فى عدة مـقاطيع مـن لزومـياته بمـثل قـوله مخاطبا بنى آدم:

أكــان ابـوكم آدم بـالذى أتى نجيبا فترجـون النـجابة للـنسل

ولكن تلطف المتنبى[2] وابدع فى تقريع أبيه أبى البشر ونبزه بـالمعصية حـيث يقول على لسان حصانه.

ابــوكم آدم ســن المــعاصى وعــلّمكم مــفارقة الجــنان

نعم والتأويل فى قضية عصمة الانبياء لابـد مـنه فى القـرآن ولا محـيص عـنه والآيات الظاهرة فى ارتكاب الانبياء للمعصية كثيرة سيّما فى حق نبينا سيّد الانبياء صلوات الله عليه وآله مثل:

ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخّر، وللجميع وجوه من التأويل معقولة ومقبولة.

---

(١) ابوالعلاء المعرى المتوفى (٤٤٩) هـ

(٢) ابوالطـيب احـمد الكـوفى الشـاعر المشـهور بـ(المـتنبى) ولد سـنة: (٣٠٣) هـكـان يـتحقق بـولاء اميرالمؤمنين عليه السلام تحققا شديدا وله فيه قصائد سماها العلويات توفى سنة: (٣٥٤) هـمقتولا ـراجـع الكنى والالقاب للمحدث القمى رحمه الله ج ٣، ص ١١٧ ط صيدا. نقلاً عن كتاب «نسمة السحر بذكر مـن تشيع وشعر» ومن شعره كما فى الكنى والالقاب:

أبا حسـن لو كـان حـبك مـدخلى جهنم كـان الفـوز عـند جـحيمها
وكيف يخاف النار من بات مـوقناً بأن أمــيرالمـؤمنين قسـيمها

وقد نسبهما الشيخ الاعظم الشيخ البهائى قدس سره فى الكشكول الى الصاحب بن عباد رحمه الله تعالى مع تغيير يسير فى بعض الفاظهما ـانظر ص ٢٠٠ طبعة سنة ١٢٩٦ هـ ق والله العالم.

۳۷

هل للخلاف بين المسلمين ثمرة ؟

هل وجد المسلمون ثمرة للخلاف ؟ وماهى الأسباب التى دعتهم الى ذلك ؟

الجواب:

اعلموا أولا أن الاختلاف ليس ضرورياً فى البشر فقط بل هو ضرورى فى طبيعة هذا الكون ايضا، أعنى عالم الكون والفساد. ليل ونهار وظلم وأنوار، حرّ وبرد، وصيف وشتاء، وغيم وصحو، وهلمّ جرّاً واختلاف الآراء من أدقّ نواميس الكون وأقوى قاعدة لحفظ نظام العالم، ولايزالون مختلفين، والواحدة التى ندب اليها القرآن الكريم ليست هى الوحدة فى الآراء والمذاهب، فذلك مستحيل بحسب طبيعة البشر ومعطل لأكبر المواهب وأى موهبة أشرف من موهبة حرية الآراء وعدم الحجر على العقول واخماد جذوة الذكاء والفهم والبحث والتنقيب، انما المراد بالوحدة المندوب اليها فى القرآن العزيز والتى هى احدى دعامتى الاسلام ـ الوحدة والتوحيد ـ هى الوحدة الاخلاقية، الوحدة الايمانية، وحدة الاخاء المودّة.

وذلك بأن لايكون اختلاف المذاهب والآراء سببا للتباغض والتقاطع والجفاء

والعداء بل يأخذوا بالمثل الأعلى والقدوة الحسنة من خيار الصحابة فى صدر الاسلام، فقد كانوا على كثرة ما بينهم من الاختلاف فى القضايا الفرعية والمسائل العلمية على أقصى مايرام من الاخاء والصفاء، ودفاع بعضهم عن بعض وحماية بعضهم لبعض مايرام من الاخاء والصفاء، ودفاع بعضهم عن بعض وحماية بعضهم لبعض كأن الاسلام جسد وهم أعضاء ذلك الجسد تجمعهم روح واحدة روح المبدء المقدس وتحية كل عزيز فى سبيله، اما من هو المسئول عن ادارة الشئون الاخلاقية فى الاوساط الاسلامية، فالجواب الصحيح عن ذلك. كلكم راع وكلكم مسئول. كلّ على حسب شأنه وبمقدار قابليته وكلّ ذى شعور هو أعرف بنفسه وبقدر ما فى وسعه، والحقيقة ان الجميع مكلف. والكل مقصر يتطلب لنفسه العلل والمعاذير والحقائق لاتخفى والمعاذير لاتنفع، يوم تبلى السرائر فماله من قوة ولاناصر.

۳۸

سبب ظهور المبطلين على المحقّين

ما تقول فى سبب ظهور المبطلين على المحـقّين ؟ وما سرّ غلبة روح الشرّيـرين على الخيّرين ؟ مع علمك بأن الناموس الطبيعى ينادى بلسان فصيح: ﴿ **الا ان حزب الله هم الغالبون** ﴾ ، فنرجو من حضرتكم أن تبيّنوه لنا بصورة فنّية فلسفية تحليلية.

الجواب:

لاشك ان مرادكم السؤال عن سبب الظهور فى الدنيا وغلبتهم فى هذه العاجلة ، وحينئذ فلا أجيبكم عن ذلك بما ربما يجيب به الزاهدون المتقشّفون انّ سـبب ذلك هو احتقار الدنيا عندالله جل شأنه ، وانه لو كان لها من القدر عندالله جناح بعوضة لما سقى الكافر منها قطرة من الماء كلّا لا أجيب بهذا الجواب الذى لعلّه لايوافـق ذوق هذا العصر وروح هذا النشأ الجديد ؛ بل ربما لايوافق ذوقى وذوق امثالى من الروحانيين المشذبين الذين يرون أن الدنيا مهما زادت حقارتها وخسّتها ، وقصرت أو طالت مدّتها فهى مزرعة الآخرة ، وبها تحصل السعادة والشقاوة ، وهى نعم دار المتّقين وان دين الاسلام متكفل بالسعادتين ، وان السعيد حقيقة من فاز بنعيم الدنيا

والاخرة وأخذ حظّاً من هذه وحظاً من هذه كما صرّحت به جمهرة من الاخبار وأشارت اليه نبذة من الآيات.

انما الجواب الفلسفى التحليلى فى سبب غلبة المبطلين على المحقّين هو أن اهل الحق مقيّدون بقيود العقل والدين فلا يتوصلون الى مقاصدهم الا على ضوء الفضيلة وفى مناهج الشرع والعقل.

(**وقد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها حاجز من تقوى الله فيدعها رأى العين وينتهزها من لاحريجة له فى الدين**)[١] مثلا ان معاوية لايتأخر ولايتوقف من اعطاء خراج مصر كله لعمرو بن العاص وكان خراجها يومئذ والى اليوم يعدّ بالملايين يعطيه لشخص فاسق[٢] ليعينه على أمر باطل وهو محاربة اميرالمؤمنين عليه السلام فى حين ان اميرالمؤمنين عليه السلام لايسمح لأخيه عقيل وهو سيّد شريف[٣] ولاشك ان نعله أشرف من عمرو بن العاص، لايسمح له بزيادة دريهمات على راتبه الذى هو درهمان فى كل يوم مع كثرة عياله وأطفاله.

نعم سمح له بالحديدة المحماة، والناس كما تعلم وكما قال سيد اهل الاباء وامام الشهداء عليه السلام: **الناس عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم** الخ، وسئل الخليل بن

---

(١) من كلمات الامام على سلام الله عليه (منه ره).

(٢) بمعنى انه كافر فان محاربو اميرالمؤمنين عليه السلام كفرة ومخالفوه فسقة وعمرو بن العاص كافر منافق والمنافق فى الدرك الاسفل من النار.

(٣) عقيل ابن ابى طالب عليه السلام يكنى ابا يزيد كان عالما بانساب العرب فصيحا لطيف الطبع حسن المحاورة . والروايات فى سفره الى الشام فى انه على عهد اخيه الامام او بعده متضاربة واستظهر ابن ابى الحديد فى شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٨٢ انه بعد شهادة اميرالمؤمنين عليه السلام وجزم به العلامة السيد على خان المدنى فى كتاب: «الدرجات الرفيعة» وهو الحق الذى لامحيص من القول به بعد التحقيق وقد حقق هذا الموضوع سيدنا الحجة السيد عبدالرزاق المقرم النجفى فى مصنفاته انظر كتابه «العباس» ص ٣٥ = ٤٥ط النجف.

أحمد[١] لماذا مال اناس عن على عليه السلام الى غيره مع عظيم فضائله وشهرة مناقبه ؟ فقال: قهر نوره نورهم وغلب جمهوره جمهورهم والناس الى امثالهم أميل .

وهناك سرّ آخر لغلبة الاشرار والفجار على خصوص الانبياء والاوصياء ؛ وهو ما بسط القول فيه بأحسن بيان نائب الحجة الخاص الحسين بن روح رضوان الله عليه فى جواب من سأله ان الحسين عليه السلام ولى الله ؟

قال : نعم ، فقال الشمر عدو الله ؟ قال نعم فقال : كيف يسلط الله عدوّه على وليّه ؟ فأجابه بجواب طويل شاف ملخصه : ان الله لمّا أيد أنبياء بالمعجزات وخوارق العادات فلو جعلهم فى كل أحوالهم غالبين وقاهرين لاتخذتهم الناس أربابا من دون الله ، ولكن جعلهم تارة قاهرين ، وأخرى مقهورين ، ومرّة غالبين ومرّة مغلوبين ليعلم الناس أنهم بشر أمثالهم وعباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون انتهى.

اما قوله تعالى : ﴿ **فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾[٢] وأمثاله نظير قوله تعالى : ﴿ **وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً** ﴾[٣] وأمثال : «الحقّ يعلو ولا يعلى عليه» فقد ورد تفسيرها فى بعض الاخبار أن المراد الغلبة بالحجة والبيان والدليل والبرهان لا أنّ المراد الغلبة بالملك والسلطان والسيف والسنان ، ويمكن أن يكون المراد الغلبة فى الدار الاخرى دار القرار ومنزل الخلود والابدية ، فان هذه الدنيا على سعة مدتها وطول امتدادها ليست بالنسبة الى وعاء الدهر والسّرمد وحقيبة

(١) الخليل بن احمد العروضى من علماء الامامية توفى سنة : (١٧٠) هكان افضل الناس فى الادب وقوله حجة فيه واخترع علم العروض قيل انه دعا بمكة ان يرزق علماً لم يسبقه اليه احد ولا يؤخذ الاعنه ، فلما رجع من حجه فتح له علم العروض. رحمة الله عليه .

(٢) سورة ٥ آية : ٥٩.

(٣) سورة ٤ آية : ١٤١.

أحقاب الازلية والابدية الاكغمضة عين او كلمح بالبصر، فما شأن الغلبة فيها مع المغلوبية هناك.

لاوأيم الله وكلّا، بل ان حزب الله هم الغالبون حتى فى هذه الدنيا مثلا انّ يزيد وابن زياد قتلوا الحسين عليه السلام وأصحابه وغلبوهم ولكن الغالب فى الحقيقة والواقع هو المغلوب والقاتل هو المقتول، فان يزيد قتل الحسين عليه السلام فى جسده وفرّق بين بدنه ورأسه؛ ولكن الحسين عليه السلام قتل يزيد فى روحه وفرق بين الشرف واسمه وقرن اللعنة به، فاصبح الحسين عليه السلام واهل بيته وأصحابه تمثال الشرف ورمز الكرامة وعنوان الفخر فى الدنيا فضلا عن الاخرة، واصبح يزيد وبنوامية مجسمة الخبث واللعنة والسفالة والنذالة والسقوط والخسّة فى الدنيا مع قطع النظر عن الدار الاخرة، فبالله عليك ايها الفطن اللبيت أىّ الرجلين هو الغالب وأيهما المغلوب، فارجع واتل بحق واذعان ويقين وايمان: ألا ان حزب الله هم الغالبون، ولايسع المقام لأكثر من هذا.

۳۹

ديانة الرسول ﷺ قبل البعثة

انّ رسول الله ﷺ قبل بعثته بالرسالة والنبوّة ـ أيّ دين ـ كان يعتنق، واذا يوجد حال استثنائى فى قواعد البشرية للنبى ﷺ ما هو؟

لأنّ عادة البشر يلزم أن يكون متديّناً بدين(١) والعوام مقلّد. فعليه، النبى ﷺ قبل ان يبعث بالرسالة كان على أى طريقة؟

الجواب:

أولاً: ان الدّين عبارة عن وظائف روحيه و وظائف جسديه يعنى اعمال للقلب واعمال للقالب، فاعمال القلب و وظائفه هو الاعتقادات وبعبارة أخرى أصول الدين كالتوحيد والنبوّة والمعاد بما فيه من الحساب والثواب والعقاب والصراط والميزان وغير ذلك وهى اصول الاسلام التى لاخلاف فيها بين جميع فرق المسلمين، ثم العدل والامامة التى هو من مختصّات العدلية كالامامية وكثير من

---

(١) التدين بالدين فطرى للبشر كما حقق ذلك فى محله لا أنه من باب العادة المتبعة اللهم الا ان يكون المراد بها هو ما ذكرناه من الفطرة.

فرق المعتزلة وتلك هى التى لاتتغيّر ولاتتبدّل وبها بعثت جميع الكتب والرسل لاتختلف بها شريعة ولا أحرى دين عن دين وهى عقلية استقل العقل بأمهاتها وأيده الشرع واستقل ببعض فرعياتها.

وبينا «محمّد» ﷺ بل وسائر الأنبياء كلهم على هذه العقيدة منذولدبل وقبل أن يولدوا فالسؤال هنا لامحل له.

واما الفروع وهى الاحكام التى تتعلق بالعمل فهى التى يمكن ان تختلف باختلاف الشرائع والملل حسب اختلاف الظروف والملابسات الزمنية والمكانية، والامكانات الذاتيّة او الفرضية ولكن فيها جملة احكام اتفقت عليها ايضاً جميع الأديان وهى الوصايا العشر التى جاء بها موسى وتبعه عيسى عليه السلام فى خطبته على الجبل والأصل فيها صحف ابراهيم عليه السلام وملّته التى هى أم الشرائع والاديان واضحة مشهورة هى: لاتقتل. لاتشرب. لاتسكر. لاتزنى. لاتعق أبويك. لاتسرق. الى آخرها.

ثم جاء الاسلام فأكدّها وشدّدها وزادها كثيراً، وملّة ابراهيم هى البذرة الأولى للأديان وفيها عدا تلك الوصايا العشر التى أخذتها الأديان الثلاثة أصول وأحكام أخرى كالحج بما فيه من طواف وسعى وغيرها والختان وغسل الجنابة وسنن وواجبات ومستحبات كالسّواك، وقصّ الشارب[1] والأظفار وأمثالها ممّا جاء فى الاسلام مما زاد فيه بعض الشروط والكيفيات ولعل اكثرها كان فى شريعة موسى عليه السلام.

واما الزعامة الدينية من بنى اسرائيل فغيّروا وبدّلوا كما غيّرت المسيحية أحكام

---

(١) عن النبى ﷺ كما فى كلمات قصاره المباركة: من لم يأخذ شاربه فليس منا ـ انظر الى شرح الكلمات القصار ص ١٤٦ وتوفير الشارب من علائم المجوس.

التورات فانّ أناجيل النصارى تنصّ ان عيسى عليه السلام يقول:

تزول السماوات والارض ولايزول حرف من الناموس ولا يتبدل حكم من احكامه. مع انهم قد بدلوا السبت الى الاحد والختان الى التعميد، وتعدد الزوجات الى زوجة واحدة الى كثير من امثال ذلك.[١]

والغرض: ان أصل الشرائع هى ملة ابراهيم وآيات القرآن تنصّ على انّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان متّبعاً وعاملاً بها مثل قوله تعالى: **وأوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم ـ ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين ـ**[٢] ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ـ الى كثير من أمثال ذلك.

ولا ينافيه ان شريعة عيسى عليه السلام هى الشريعة الأخيرة وان شريعته عامّة لانه من أولى العزم[٣] لما عرفت من ان الصحيح والصميم من شريعة عيسى و موسى عليهما السلام

---

(١) وممّا هو ثابت ومسلم ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ما معناه: أن كل ما وقعت واتفقت فى الأمم السابقة من القضايا والحوادث فهى واقعة فى هذه الامة حذوالنعل بالنعل ومما وقع فى الامم هو تغيير الدين والشريعة بعد كل واحد من الانبياء اصحاب الشرائع وتحريف احكامها وبعد وفات رسول الله صلى الله عليه وآله قام جمع من المنافقين لتغيير الاحكام وتحريفها واخراجها عن مسيرها الصحيح الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله ولاشك ان الشريعة المقدسة مسمرة الى يوم القيامة وباقية الى آخر الدهر على النهج الصحيح فانها آخر الشرائع ونبيها آخر الانبياء وبه ختمت النبوة، فلابد من أن يبقى شرعه الى الابد فبعث الله تعالى اهل بيت نبيه وجعلهم أوصيائه يذبون عن الدين انتحال المبطلين وتحريف الجاهلين والمعاندين فكل ما غيّروه من الشرائع والاحكام فاهل البيت عليهم السلام بيّنوا للناس حقيقتها وصحيحها وسقيمها و واقعها ولذلك بقيت الاحكام والشرائع التى جاء بها رسول الله صلى الله عليه وآله محفوظة غير متبدلة ومن هنا تعرف القارىء الكريم علة ان فى بعض الاحكام اختلافاً بين المسلمين كالوضوء والتكتف فى الصلاة وبعض مسائل الارث وغيرها لوشرحناه لخرجنا عن القصد، فان المقصود هو الاشارة الى هذا المطلب المهم فان ذلك هو الاساس لاختلاف بعض الاحكام بين المسلمين والصحيح منها هو ما بينه أهل البيت عليهم السلام فى عصورهم وبعدهم العلماء التابعين لهم فى بيان الشرائع والاحكام:

بآل محمّد عرف الصواب　　　وفى أبياتهم نزل الكتاب

(٢) الضمير يرجع الى الله تعالى فى الآية الشريفة. راجع الى مجمع البيان.

(٣) كون شريعة عيسى عليه السلام عامة غير مسلم ولعلها مختصة ببنى اسرائيل ولا ينا فى ذلك يكون عيسى عليه السلام ←

هو ما وافى شريعة ابراهيم عدا بعض الاضافات والملابسات التى اقتضتها الظروف الزمنية والامكانات المكانية مما لاتقدح فى الجوهر.

واما اليهودية والنصرانية التى كانت فى زمن النبى ﷺ والى اليوم فهى ممسوخة مسخاً كلّياً والتوراة والانجيل محرّفات تحريفاً جلياً فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عندالله، وقد دللنا واثبتنا فى مؤلفاتنا كـ«الدين والاسلام» و«التوضيح» وغيرهما فضايح هذه الكتب ومخازيها التى منها: ان لوط شرب الخمر وسكروزنى ببناته ـ معاذ الله تعالى.

(القصارى) ان القرآن ينصّ على ان رسول الله ﷺ كان قبل بعثته متّبعاً لملّة أبيه[1] ابراهيم عليه السلام بل ولايبعد أنّ آبائه الاطهار كهاشم وعبدالمطلب وعبدالله ايضاً على هذه الشريعة ماسجدوا لصنم قط ولاعبدوا غيرالله تعالى.

«ولكن التحقيق العميق» والفكرة الدقيقة تقضى بانه سلام الله عليه وآله من أول نشأته بل وقبل بلوغه فضلا عمّا قبل بعثته ما عمل الّا بشريعته[2] وهى شريعة الاسلام وكان يعلم بها بالالهام بل وبالوحى الخاص ولاينافيه قوله تعالى: ﴿ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾[3] فان ملته ملة ابراهيم فى مرتبتها الكاملة ومقامها الشامخ. والغرض من هذه الآيات الشريفة الردّ على اليهود والنصارى

← من أولى العزم فان معنى ذلك كونه صاحب شريعة مستقلة ولم يكن مثل اغلب الأنبياء من اتّباع نبى آخر. وشيخنا الاستاذ رحمه الله هو أعرف بما جادبه يراعه الشريف.

(١) يعنى فى الاساسيات والاصول واما فى الفروعات والاحكام الجزئية فكان رسول الله ﷺ تابعاً وعاملاً لشريعة نفسه المقدسة كما سيصرح به شيخنا الامام رحمه الله ويأتى تحقيق ذلك فى آخر الكتاب تفصيلاً على نحو البسط والتحقيق فى الايات والروايات ونقل أقوال جمع من العلماء، والاكابر مع بعض الاضافات.

(٢) وعلى هذا القول اجماع الامامية واتفاقهم كما صرح به الشيخ الطوسى قدس سره فى كتابه النفيس «العدة» يأتى نقل عين كلماته الشريفة فى آخر الكتاب ان شاء الله تعالى.

(٣) النحل ـ آية: ١٢٣.

الذين كانوا يقولون للعرب: ﴿ وَ قَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرٰاهِيمَ حَنِيفاً وَ مٰا كٰانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.[1]

واذا كان محمّد ﷺ أكمل الأنبياء وأفضلهم وشريعته أكمل الشرائع، فيستحيل ان يتدين الاكمل بغير الأكمل، ويترجح الفضول على الأفضل ولاغرابة في كونه عالماً وهو صبيٌّ بجميع نواميس الشريعة الاسلامية وقوانينها، فاذا تكلم عيسى عليه السلام بالمهد صبيّاً وتكلّم رأس يحيى عليه السلام في طشت من ذهب، وتكلم رأس الحسين عليه السلام على الرمح.

ولبس محمّد الجواد عليه السلام خلعة الامامة وهو ابن سبع سنوات، والتحف بها الحجّة عجّل الله تعالى فرجه وهو ابن خمس سنين، وظهرت في قضية الهميان وغيره له تلك الكرامات الباهرة، فلم لايكون لسيّدهم وسيد الكائنات ما هو أعظم من ذلك؟

نعم كان يعمل بشريعته قبل بعثته غايته انه لم يكن مأموراً بدعوة الخلق اليها الا بعد بلوغ الأربعين ولنا هنا تحقيقات أنيقة وأسرار من المعارف رشيقة ولكن لامجال لذكرها هنا ولله المنّة نستمد التوفيق.

---

(١) البقرة: ١٣٥ نفى الله تعالى الشرك في هذه الاية الشريفة وأثبته لليهود والنصارى قوله تعالى: وما كان من المشركين يعني لم يكن ابراهيم من اليهود والنصارى فسمّاهما مشركين فان لم يكن المراد من المشركين هو اليهود والنصارى فحينئذ لم يرتبط اول الاية مع آخرها كما حققنا ذلك في كتاب «فصل الخطاب في تحقيق اهل الكتاب» ـ المخطوط.

﴿ ٤٠ ﴾

كيفية المعراج وفائدته

ماهى فائدة وفلسفة وميّزة نبيّنا الأكرم ﷺ عن أنبياء أولى العزم بمعراجـه الى السماء وكيفية المعراج .

الجواب:

أنّ كيفية معراج النبى ﷺ الى السماء وفلسفة ميّزته على سائر الأنبياء لوأردنـا ايضاحها على نحو البسط والتحقيق ـ احتجنا الى تأليف رسالة او كتاب ، ولو ألّفنا تلك الرسالة لاأحسبها تكون فى متناول أفهامكم ولعل من العـبث او المـرجـوح خوضكم فى مثل هذه النظريات العويصة التى هى مزالق أذهان الحكماء ، فكـيف بغيرهم ولماذا يتكلف الانسان مـا لم يكـلف الله بـه ولا يسأله يـوم القـيامة عـنه ولايحاسب عليه ، والذى أراه خيراً لكم أن تأخذوا احدى الرسائل العملية الفقهية كوجيزة الاحكام أو غيرها، وتحفظون بها مسائل دينكم من أحكام الصلاة والغسل والوضوء واحكام البيع والشراء ، وسائر أبواب المعاملات كالاجارة ونحوها.

وليت شعرى هل فرغتم من كل احكام تلك التكاليف حتى عرجتم الى كـيفية

المعراج ؟ وتلك الاحكام والوظـائف هــى التى يسأل عـنها العـبد يـوم القـيامة ، ويعاقب أشد العقاب على ترك تعلّمها والتسامح بها .

واما مسائل المعراج ونحوها من الجسمانى أوالروحانى فلاتزيد العامّة من الناس الّا حيرة وارتباكاً ، وقد سكت الله تعالى عن أشياء لم يسكت عنها عجزاً أو بخلاً ولكن سكت عنها رحمة بعباده ولطفاً .

﴿ يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَ قُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمٰالَكُمْ ﴾ الى آخرها = وفقكم الله .

٤١

حول حديث : اختلاف امتي رحمة

طالعت فى بعض الكتب العلمية حديثاً منسوباً للنبي ﷺ وهو (اختلاف امتى رحمة) فهل هذا من الاحاديث المأثورة؟ واذا كان صحيحاً هل تفسّروه لنا وتفيدوننا عن سببه ؟؟

الجواب

نعم هو شائع فى كتب الشيعة والسنة عدا الصحاح ، فانه لم يذكر فيها وقد ذكره المناوى فى «كنوز الحقائق» فى حديث خير الخلائق. والسيوطى فى «الجامع الصغير» الحديث الثمانون بعد المأتين ورواه الشعرانى فى «الميزان الكبرى» هكذا عن النبي ﷺ [**جعل اختلاف امتى رحمة وكان فيما قبلها عذاباً**] اما فى كتب الشيعة فلعل اول من ذكره الصدوق فى كتاب «معانى الاخبار»، حيث روى بسنده عن الصادق عليه السلام قال قلت لابى عبدالله ان قوماً رووا ان رسول الله ﷺ قال «ان **اختلاف امتى رحمة**» فقال صدقوا. قلت : ان كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب قال ليس حيث ذهبت وذهبوا أنما اراد قول الله عزوجل ﴿ **فَلَوْ لاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ**

مِنهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ فامرهم ان ينفروا الى رسول الله ﷺ فيختلفوا اليه فيتعلّموا ثم يرجعوا الى قومهم فيعلّموهم، انما اراد اختلافهم فى البلدان لااختلافاً فى دين الله انما الدين واحد: انتهى.

وبهذا الحديث ظهر احد المعانى المحتملة فى الحديث. ويحتمل فيه معنى آخر ولعله أظهر وهو ان المراد الاختلاف فى الفروع اى فى الفتاوى الاجتهادية، فان الحكم الواقعى وان كان واحداً ولكن اختلاف المجتهدين فى تعيينه هو رحمة للعباد مثل الماء الذى يغسل به الثوب المتنجّس مع خلوّه من عين النجاسة قيل: انه نجس وقيل: انه طاهر فمن يريد الورع والاحتياط يأخذ بقول النجاسة ويجتنبه ومن يريد السعة والتيسير يأخذ بقول الطهارة فيستعمل وهكذا قضية طهارة اهل الكتاب ونجاستهم ـقول بطهارتهم مطلقاً، وقول بنجاستهم كذلك، وقول ثالث بالتفصيل، بين حال الضرورة وفى حال عدم العلم بمباشرتهم للخمر والخنزير وامثالها من النجاسات فيجوز مساورتهم وفى حال عدم الضرورة او الاطلاع على مباشرة نجس فلايجوز.

والحاصل لاريب ان اختلاف الفقهاء فى الفتاوى رحمة وتوسعة على العباد واليه الاشارة فى حديث آخر رواه الصدوق ؒ ايضاً فى كتاب (معانى الاخبار) قال رسول الله ﷺ **ما وجدتم فى كتاب الله عزوجل فالعمل به لاعذر لكم فى ترك سنتى وما لم يكن سنة منّى فما قال اصحابى فقولوا به فانما مثل اصحابى فيكم كمثل النجوم بأيّها أخذ أهتدى وبأى أقاويل أصحابى اخذتم اهتديتم واختلاف اصحابى لكم رحمة فقيل يا رسول الله: ومن اصحابك؟ قال: اهل بيتى** ؑ، ثم قال مؤلف الكتاب: ان اهل البيت لايختلفون ويفتون الشيعة بحرّ الحق وربّما أفتوهم بالتّقية فما يختلف من قولهم فهو للتقية والتقية رحمة للشيعة:[1] انتهى.

---

(١) يدل العقل بدفع الضرر عن النفس والمال والعرض ومستقل فى دفع الاهم بالمهم وهذا معنى التقية فى مذهبنا كما حققنا ذلك فى تعاليقنا على «اللوامع الالهية» انظر ص ٤٥٨ ط تبريز.

٤٢

ديوان الامام عليّ عليه السلام

هل ديوان الشعر الموسوم (بديوان الامام على عليه السلام) هو له أو منسوب له ؟ وهل كان ينظّم الامام عليه السلام ؟ وهل نظّم النبي صلى الله عليه وآله او كان يستشهد او كان يستشهد به فقط ؟ ؟

الجواب

هذا الديوان على التحقيق ليس كلّه للامام على عليه السلام بل اكثره لغيره من أبى الأسود الدئلى وابى العتاهية والسيد الحميرى وامثالهم وربما يوجد فيه شىء قليل لأميرالمؤمنين عليه السلام واصل هذا الديوان قد جمعه قطب الدين الكيدرى من اهالى أواخر القرن السادس الهجرى تلميذ الطبرسى رحمه الله صاحب « **مجمع البيان** » المطبوع بالعرفان وسمّى الديوان الذى جمعه من متفرق الكتب « **انوار العقول من اشعار وصى الرسول** » وذكر الكتب التى نقل عنها ولكن حذفوا الاسانيد فى هذا الديوان المطبوع.

والخلاصة : ان اميرالمؤمنين سلام الله عليه لاشك انه نظّم الشعر وانما الكلام فى

مقداره مقلّ او مكثر فبين من يقول جميع الديوان له وبين من يقول لم ينظّم مدة عمره سوى بيتين قال فى القاموس فى مادة « ودق » ذات ودقين الداهية واستشهد بقول على عليه السلام .

تلكم قريش تمنّانى لتقتلنى... الخ. ثم نقل عن المازنى انه لم يثبت عن على عليه السلام انه نظّم من الشعر سوى هذين البيتين وصوّبه الزمخشرى . اما النبى صلى الله عليه وآله فنص القرآن الكريم انه بعيد عن الشعر ﴿ وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِي لَهُ ﴾[1] وذلك مصلحة ـ معلومة فى الدعوة النبوّة وان نسب اليه بعض الابيات الرجزية مثل قوله :

انا النبي لاكذب   انابن عبدالمطلب

وقوله :

ان انت الا اصبع دميت   وفى سبيل الله مالقيت

ويعتذرون بان لم يقله بقصد الشعراى صدرا عفواً ككلام فاتفق انه صدر موزوناً كما فى القرآن العظيم كثير من هذا القبيل ـ ان جميع البحور موجودة فى القرآن .

(١) سورة «يس» آية : ٦٩.

٤٣

وجه الحكمة لاختصاص الأمم بالأنبياء عليهم السلام

الاول: السؤال عن وجه الحكمة فى اختصاص بعض الامم والبلدان ببعض الانبياء الذين دعوتهم (عند كافة اهل الاديان) عامة لجميع البشر، فماذا خصّ العرب بخاتم الانبياء صلى الله عليه وآله واليهود بالمسيح عليه السلام وبنى اسرائيل بالكليم عليه السلام وحرم منهم الهند والفرس والصين وامثالهم من الامم ذات الحول والطول والكثرة والقوّة، فكان الواجب على الله سبحانه من باب اللطف لايخلى بقعة من الارض الاوبعث فى اهلها رسولا اقول: ان لسئوالك جوابين اجمالى اقناعى وآخر تفصيلى...

امّا الاول: فلايخلو اما ان يكون بين السايل والمجيب اصول موضوعية ومبادى مسلمة ام لا وأعنى بتلك المبادىء اعتراف الطرفين بان للكائنات صانعاً حكيما واجب الوجود وانه ارسل اولئك الرسل المدعين للنبوة المؤيدين بالمعجزة وانهم رسل حق من ذلك الصانع الحكيم، فان لم تكن هذه المبادى مسلمة لزم النظر فيها اولا والبحث فى وجه الاختصاص والسؤال عن الحكمة فيه لاوجه له بل لامجال له قبل تلك المبادى.

واما بعد اثباتها او بعد تسالمها عليها فايضاً لاوجه ولامجال له اذ بعد الاعتراف

بحكمته وسعة علمه وانه هكذا صنع فلابد من الالتزام بثبوت حكمته هناك وان كانت مجهولة لنا ولا احد من الخلايق مهماكانوا من القرب والزلفى عندالله عزّ شانه من ملائكته وانبيائه يقدر ان يدّعى لنفسه العلم بجميع الحكم والاسرار الالهية « سبحانك لاعلم لنا » « قل لايعلم من فى السماوات والارض الغيب الا الله » « قال انما العلم عندالله » الى كثير من امثالها ممّا هو صريح فى نفى العلم المطلق عن كل احد وحصره بالواحد الاحد وعلى ايّ حال، فالسؤال ساقط على كلا الفرضين غاية الأمرانّه على تقدير التسالم على المبادى او اثباتها جديداً يلزمنا الاقرار بحكمته هناك ولايلزمنا البحث عنها بل ربما يكون البحث عنها من قبيل ـ لاتطلب ما لايعنيك فيفوتك مايعنيك ـ وكفى به ضرراً وشرّا وهذا الجواب وان كان اجماليا ولكنه جواب سيّال نافع فى كثير من تلك الاسألة التى لايكون الجهل بها فحلا بشرط من شروط الايمان والاسلام ولانحن بمسئولين عنها يوم الدينونة.

و اما الثانى: فالنبى الذى اختاره الله سبحانه لسفارته السابق علمه به « الله اعلم حيث يجعل رسالته » اذا كانت نبوته بامر الله عامة ودعوته لكل البشر شاملة يلزم كما ذكرت من باب اللطف واتمام الحجة بلوغ الدعوة مقرونة بالحجة والبرهان الى جميع من على وجه البسيطة من الشعوب والعناصر المستعدّين للتكليف لا القاصرين والمستضعفين الذينهم بالبهايم لااقرب شبهاً منهم بالانسان كزنوج افريقيا المتوحشة العرات كالحيوانات وهنود امريكا قبل الاكتشاف فاللازم بلوغ الدعوة لاخصوص صاحب الدعوة و وصوله الى كل مكان وانسان وعلى النحو المتعارف فى التبليغ لاعلى سبيل خرق العادة والاعجاز ـ والا « ولو شاء ربك لامن من فى الارض كلهم جميعا » ولعلك جد خبير بان كل ايام الدعوة من المسيح عليه السلام كانت ثلاث سنوات ثم رفعه الله وما تجاوزت دعوته فى ايامه منطقة قريته وبعض اهالى بلاده من فلسطين ولكن ياهل علمت الى اين بلغت دعوته وانتشرت من بعده

نبوّته فى امم الشرق والغرب حين نفضت الي ماوراء المحيط من امريكا كل ذلك بفضل مساعى الاثنى عشر من الحواريين الذين آمنوا به وفازوا بصحبته اوبصحبة اصحابه كمرقس وپولس ـو پطرس ـويوحنا ـ.. واحزابهم الذين استوعبوا كل ما كان من المعمور ووصلوا الى جميع ملوك الاض وكانوا يدعون الناس الى دين المسيح والمعجزات تجرى على ايديهم بحيث لوا دعوها لأنفسهم لراج لهم ذلك ولم يكن لولا الحق شططا وقد اشارالله سبحانه فى كتابه المجيد الى بعض اولئك الرسل الناشرين لدعوة المسيح حيث قال : واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اى : انطاكية ـاذ ارسلنا اليهم اثنين ـ بولس ـو صاحب له ـ فعززنا هما بثالث ـ شمعون الصفا واول من امن بهم من القرية حبيب النجار وهو المشار اليه بقوله تعالى (وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى) وما آمن بهم حين طلب منهم المعجزة وكان له ولداكمه مطموس العينين فوضعا (بندقتين) على موضع باصرته ، فصار تا عينين باصرتين فانتشر الخبر فاحضرهم الملك وطلب منهم احياء ولد له كان مات قريبا فاخبره فآمن الملك واكثر اهل المدينة ، الى كثير من امثال ذلك وعلى هذا المنوال نبينا محمّد ﷺ فان دعوته فى حياته وان لم تتجاوز الا اطراف شبه جزيرة العرب ولكن بعد بضع سنوات من وفاته استوعبت امهات ممالك كسرى وقيصر ونفذت الى اقصى الشرق من العراق الي خراسان ثم من سوريا الى مصر وهلمّ جرّاً من اليمامة والبحرين وغيرهما وكل ذلك بتائيد من الله سبحانه للقائمين بنشر الدعوة من بعده وقوّادهم وقدكانت المعجزة تجرى على يد بعضهم عند مسيس الحاجة اليه كما فى قصة ـ خالد بن الوليد مع عبدالمسيح بن يقلبه فى الحيرة على ما ذكره السيد المرتضى ؒ فى أماليه « الدرر والغرر » فى باب المعمرين حيث دخل على خالد وفى يد عبدالمسيح شيء يقلبه وهو سم ساعة فاخذه خالد وذكر اسم الله عليه وابتلعه ، فسكن قليلا ثم قال وكأنما أنشط من عقال فاذعن عبدالمسيح وبعض قومه للجزية

ودخل جماعة منهم فى الاسلام[١] وكما جرى للعلاء الحضرمى فاتح البحرين من عبوره هو واصحابه على الخليج بعدان احرق اهل الرّدة سفنهم فعبروا بدوابهم الى كثير من امثال ذلك .

---

(١) انظر الى تفصيل القصة فى الامالى للسيد ﷺ ج ١ ص ٢٦١ ـ ٢٦٠ ط مصر.

❀ ٤٤ ❀

في عزاء سيّد الشهداء عليه السلام

هل يوجد دليل على استحباب أو جواز لطم الصدور فى عزاء أبى عبدالله الحسين ارواحنافداه أولاً ؟ فانّ بعض من ليسوا من أهل نحلتنا ينكرون الجواز ، وبعض آخر يقولون انا نستكشف الجواز من لطم الفاطميات .

الجواب

مسألة لطم الصدور ونحو ذلك من الكيفيات المتداولة فى هذه الأزمنة كالضرب بالسلاسل والسيوف وامثال ذلك ان أردنا ان نتكلم فيها على حسب ما تقتضيه القواعد الفقهية والصناعة المقررة لاستنباط الاحكام الشرعية فلا تساعدنا الاّ على الحرمة ولايمكننا الا الفتوى بالمنع والتحريم. فانه لامخصّص للعمومات الأولية والقواعد الكلّية من حرمة الاضرار وايذاء النفس والقائها فى التهلكة ولادليل لنا يخرجها عنها فى المقام ولكن الذى ينبغى ان يقال بالقول الصريح أنّ من قطعيات المذهب الامامى ومن مسلّمات هذه الفرقة الحقّة الاثناعشرية .

انّ فاجعة الطف والواقعة الحسينية الكبرى واقعة عظيمة ونهضة دينية عجيبة

والحسين عليه السلام رحمة الله الواسعة وباب نجاة الأمّة ووسيلة الوسائل والشفيع الذى لايرد وباب الرحمة الذى لايسدّ.(١)

وانّى أقول انّ حق الأمر و حقيقة هذه المسألة انما هو عندالله جلّ وعلا ولكن هذه الأعمال والافعال ان صدرت من المكلّف بطريق العشق الحسينى والمحبّة والوله لأبى عبدالله عليه السلام على نحو الحقيقة والطريقه المستقيمة وانبعثت من احتراق الفؤاد واشتعال نيران الأحزان فى الاكباد بمصاب هذا المظلوم ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله المصاب بتلك الرزيّة بحيث تكون خالية ومبرّاتاً من جميع الشوائب والتظاهرات والأغراض النفسانيّة فلا يبعد أن يكون جائزاً بل يكون حينئذ من القربات وأجلّ العبادات وعلى هذا يحمل ما صدر من الاعمال ونظائر هذه الافعال من أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام مثل ما نقل عن العقيلة الكبرى والصدّيقة الصغرى زينب عليها السلام من «أنها نطحت جبينها بمقدّم المحمل حتّى سال الدم من تحت قناعها» ومثل ما ورد فى زيارة الناحية المقدّسة فى وصف مخدّرات أهل البيت سلام الله عليهم «للشعور

---

(١) وقد خدم«ع» الدين بنهضته المقدسة واحيى التوحيد فى العالم بتلك التضحية العظيمة ولولا شهادته لم تقم للاسلام قائمة فان الاحقاد القديمة من بنى امية وتلك الضغائن الخبيثة من تلك الشجرة الملعونة نهضت على محو الدين الاسلامى الذى ظهر من اسرة عريقة بالمجد والشرف اعنى البيت الهاشمى البازغ منهم شمس الرسالة والنبوة فلو ارخينا عنان القلم نحو الوجهة التاريخية وما كان للامويين من النيّات الممقوتة فى هدم الاسلام لخرجنا عن الغرض المقصود فى هذه الرسالة وهى ترجمة الكلمات المترشّحة من قلم سماحته رحمه الله. ولكن استطيع ان اقول أيها القارى العزيز على الاجمال: ان بنى امية سلكوا فى سياستهم الغاشمة فى عدم الاسلام ونسفه المسلك والشرعة التى علمها لهم رئيسهم ورئيس المنافقين والزنادقة أبوسفيان ـفى تلقينه لهم تعاليمه الجاهلية ونزعاته الاموية حين دخل على عثمان بعد ان ولىّ الخلافة وخاطبهم بكلامه المعلن بكفره ونفاقه وقال: (يا بنى امية تلقفوها تلقف الكرة والذى يحلف به ابوسفيان ما زلت ارجوها لكم ولتصيرن الى صبيانكن وراثة) وقال لعثمان: ادرها كالكرة واجعل اوتادها بنى اميّة فانماه والملك ولاادرى ما جنة ولانار. واتى قبر حمزة سيدالشهداء رضي الله عنه فركله برجله ثم قاله: يا حمزة ان الامر الذى كنت تقاتلنا عليه بالامس قد ملكناه اليوم وكنا أحق به من تيم وعدى.

ناشرات وللخدود لاطمات» ولكن هذا المعنى الذى اشرنا اليه لايتيسّر لكل احـد وليس شرعة لكل وارد ولا مطمع لكل طامع ولايحصل الادعاء والتـخيّل فـانّه مرتبة عالية ومحل رفيع ومقام شائخ منيع واغلب الاشخاص الذين يرتكبون هذه الامور والكيفيات لايأتون الاّ من باب التظاهر والمرآت والتحامل والمداجات مع أنّ هذا المعنى بغير القصد الصحيح والنيّة الصادقة لايخلوا من اشكـال بـل حـرام وحرمته تتضاعف لبعض الجهات والعوارض الحالية والطوارئ المقامية واحسن الاعمال وانزهها فى ذكرى الحسين السبط صلوات الله عليه هو النـياحة والنـدبة والبكاء لريحانة الرسول ﷺ والمظلوم الموتور والسلام عليه والزيـارة له واللـعن على اعدائه والتبرّى من ظالميه والمشاركين فى دمه وقاتليه والرّاضين بقتله صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأولاده الميامين المنتجبين.

٤٥

زيارة عاشوراء

السؤال

هل يكفى فى زيارة «عاشورا» قراءة كلّ من السّلام واللّعن مرّة واحدة بدلاً عن مائة مرّة.

الجواب

لابدّ وأن يعلم أنّ اكثر المستحبات المركّبة غير ارتباطية بمعنى أنّ ثواب بعض اجزائها وصحّتها غير موقوفة على صحّة وثواب الباقى بل كثير منها من باب المستحب فى المستحب كما أنّ القنوت فى الصلاة مستحب ودعاء الفرج ايضاً فى القنوت مستحب آخر، فان قلنا انّ زيارة (عاشوراء) من هذا القبيل فيمكن الاكتفاء بلعن واحد وسلام واحد ولكن هذا المعنى من مساق الأدلة والاخبار بعيد فى الغاية بل زيارة (عاشوراء) نظير صلاة جعفر الطيار والتسبيحات الأربع المعتبرة فيها بعدد ستين وثلثمائة وستّين تسبيحة على الترتيب المعروف فان نقص

عدد واحد منها فى هذه الصلاة المخصوصة التى لها آثارها الخاصة فكأنّه لم يأت المكلف بتلك الصلاة وهكذا فى زيارة (عاشوراء) الواردة برواية سيف بن عميرة ورواية صفوان الجمّال بالكيفيات المعهودة والا ثار المخصوصة فان تركت تكبيرة واحدة من كبيراتها فضلاً عن اللعن والسلام كلّ واحد منهما مائة مرّة يكون هذا العمل باطلاً نعم لايحرم المكلف ثواب مطلق زيارة سيدالشهداء سلام الله عليه بل يحسب من زائريه بلاشك.

ويمكن لنا استفادة مطلب آخر من هذه الأخبار وهو أنّ الزائر ان كان له شغل او عذر ولا سيّما الشغل الذى هو مستحب مؤكد عند الشارع المقدّس مثل عيادة المؤمن وتشييع جنازته أو قضاء حوائج اخوانه فى الدين ونظائر ذلك فيمكن له ان يكتفى بلعن واحد وسلام واحد بمعنى أنّ له الشروع باللعن واتمامه ولو حال المشى فى الطريق أو فى مجلس آخر فانّ الامر اذا دار بين فوات الاجزاء أو الشرائط فمراعات الاتيان بالاجزاء أولى وأهمّ والظاهر أنّ شيخ مشايخنا المحقق الانصارى ﷺ تعرّض لهذا المطلب فى (فرائده) فى رسالة اصل البرائة ويمكن ان نتوسّع فى هذا المعنى حتى بالنسبة الى الصلوات المستحبّة كصلاة جعفر وغيرها بمعنى أنّه ان عرض شغل مهمّ للمكلف امكن له ان يصلى تلك الصلاة حيثما اراد اربع ركعات متعارفة بنيّة صلاة جعفر وبصدها وبعد اتمامها يسبّح ستّين وثلاثمائة تسبيحة فان لم يتكلم فى الاثناء كان احسن وأولى.

وأما فى زيارة (عاشوراء) فان اكتفى بلعن واحد وسلام واحد فينبغى اتمام العمل حتّى السجدة الأخيرة وبعد ذلك يتّم اللعن والسلام مائة مرّة الى آخر العمل وهذا النحو ايضاً احسن وأولى البتة والله العالم.

❧ ٤٦ ❧

في آية الوضوء

ظاهر الآية الشريـفة فى القـرآن الكـريم «فـاغسلوا وجـوهكم وايـديكم الى المرافق»[١] يدّل على أنّ الغسل من الأصابع الى المرافق فما وجه العكس اى الغسل من المرافق الى رؤس الأصابع ؟

الجواب

المتحصّل والمستفاد من هذه الآية الشريفة هو أنـه لابـدّ مـن غسـل الوجـه والأيدى ومسح الرأس والأرجل فى الوضوء، ولمّا كان عند الشارع المقدّس يكفى فى خصوص الرأس مسمّى المسح بمقدار من مقدّم الرأس كمايدّل على ذلك دخول باء التبعيض فى قوله تعالى «برؤسكم» ليفيد هذا المعنى وامّا باقى الأعضاء فلمّا كان غسلها أو مسحها بأجمعها ممّا لابدّ منه فلم يدخل الباء عليها ولكن لابدّ من بيان حدودها، امّا حدود الوجه فهى معلومة ولا يطلق عند العرف على المعانى المختلفة

---

(١) سورة المائدة آية: ٦.

فانّ من المعلوم عند عموم الناس أنّ الوجه هوما يواجه به فى مجلس التخاطب ويشاهد حين التقابل وحدّه منتهى شعر الرأس من طرف الجبين الى آخر الذقن، وأمّا الأيدى والأرجل فلمّا كانت حدود هما مشتبهة ولها اطلاقات كثيرة عند العرف فتارة يراد من اليد عندهم خصوص الكف التى هى عبارة عن الاصابع الى الزند وتارة اخرى تطلق الى المرفق وثالثة الى الكتف كان من اللازم تعيين المراد من اليد وأنّه أىّ معنى اراد سبحانه من هذه المعانى فقال تبارك وتعالى «الى المرافق» وهكذا الحال فى الأرجل حيث كان لها اطلاقات كثيرة فقال تعالى «الى الكعبين» فيعلم من ذلك أنّ هاتين الملمتين فى الآية الشريفة انّما هما لبيان غاية المغسول والممسوح وبيان حدودهما لا لبيان غاية الغسل والمسح، والحق أنّ الغسل والمسح فى الآية الشريفة مطلقان من حيث النكس وغير النكس أما بطلان الوضوء بالنكس فهو مستفاد من الأخبار لامن الاية وما ذكرناه فى المقام هو تحقيق انيق فى فهم المراد من الآية الشريفة والله الموفق وبه المستعان.

٤٧

هل يلزمنا اجتناب أهل السّنة والجماعة

هل يلزمنا اجتناب أهل السنة والجماعة مع العلم بأنّهم يباشرون أهل الكتاب والمشركين بالرطوبة حتى فى الأكل والشرب وأنّهم قائلون بطهارة الدم والمنى أولا يلزم ذلك ؟ وهل يجوز أكل الدم المتخلّف فى رقبة الحيوان اذا اطبخ أولا ؟ من جهة استصحاب النجاسة تفضلوا ببيان الدليل فى المسألة لازلتم مرجعاً للعلم والدين .

الجواب

اعلم أنّ كل من يشهد الشهادتين يحكم عليه شرعاً بالطهارة غير الغلات والنواصب والخوارج فأهل السنة من حيث الذّات فى انفسهم طاهرون ببركة الشهادتين ، واما من حيث نجاستهم العرضية بسبب ملاقات احدى النجاسات فلابدّ من اعتبارهم متنجّسين ولافرق فى هذه الجهة بين الخاصة والعامة ، وعموم المسلمين الذينهم محكومون بالطهارة بل وجميع الأشياء التى يحكم بكونها طاهرة بالذّات لايحكم بنجاستها باحتمال التنجّس وقاعدة الطهارة حاكمة وليس لنا ان نخرج من هذا الأصل الاّ بالعلم اليقينى الوجدانى أو مايقوم مقام العلم شرعاً

كالبيّنة أو خبر العدل الواحد على القول به فى الموضوعات وامّا الاعتماد على العلم العادى فى هذه الموارد فمشكل وبناء على هذا ففى كل مقام ومورد جاء احتمال الطهارة ولو كان فى غاية الضعف، فلابدّ من البناء على الطهارة وهذه القاعدة المباركة حاكمة، ومن المعلوم أنّ الطهارة فى نظر الشارع المقدّس مبنيّة على التوسعة، وامّا امر النجاسة والتنجس فهو مبنى على الضيق وعدم التوسع ﴿ يُرِيدُ اللّٰهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لاٰ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[1] بل الغالب أنّ هذه الخيالات والتوهمات تنجّر الى الوساوس والمخاطر وهى الطامّة الكبرى المفسدة للدّين والدنيا، فعلى هذا فان رأيت بعينك أنّ العامى باشر الدم أو المنى ولم يجتنب منها أو أنّه باشر الكافر ولم يتباعد عنه ففى ذاك المجلس اجتنب عنه وكذا ان علمت أنّه فى الامس أو فى مجلس قبل هذا المجلس باشر الكافر لزم الاجتناب ايضاً وليست الغيبة فى هذا المقام مطهّره فانّه يشترط فيها العلم بالنجاسة وهو ليس بقائل بنجاسة هذه الامور المذكورة ففى هذا الفرض يجرى استصحاب النجاسة.

وامّا اذا علمت أنّ المباشرة انّما وقعت فى وقت من الأوقات ولكن لم يعلم أنّها فى أىّ وقت وقعت بالخصوص ففى هذه الصورة لايجرى الاستصحاب بل تجرى قاعدة الطهارة.

فصارت النتيجة أنّ فى كل مورد تزاحم احتمال الطهارة مع احتمال النجاسة فاحتمال الطهارة مقدّم عليه عند الشارع المقدّس ولو كان احتمال النجاسة اقوى عند العرف والعادة أو من قرائن الأحوال الآن يجرى أصل او تقوم بيّنة ومع عدمها وعدم كون المقام مورداً لما يبنى على الطهارة وهذا المقام من الموارد التى يحسن الاحتياط فيها ولكن فى غير موارد العسر والحرج، وامّا الدم المتخلف فى الرقبة

---

(١) سورة البقرة آية: ١٨٥.

أوفى مطلق الذبيحة من الحيوان الطاهر بعد قذف القدر المتعارف منه فهو من الخبائث وأكله مستقلاً حرام ولو كان بعد الطبخ ، وامّا تبعاً للّلحم فيجوز أكله فانّه ليس له فى نظر العرف وجود مستقل فلا يكون مورداً للاستصحاب والله العالم.

٤٨

في ظهور أجساد من العلماء وغيرهم طرّياً

أنّه قد تعارف بين الناس أنّهم اذا وجدوا جسد ميت من العلماء وغيرهم بعد سنين من دفنه طريّا لم يتغير يعدّون ذلك من الكرامات له ويحسبون أنّ ذلك من علائم السعادة فما وجه هذا الاعتقاد هل له دليل ومستند مستفاد من اخبار اهل البيت عليهم السلام خزّان علم الله وحفظة وحيه أولا ؟ مع أنّا نشاهد بالوجدان والعيان ظهور جسد بعض الفساق بل ومن هو اسوأ حالا منهم ايضاً بعد اعوام كثيرة من موته طريّالم يتغير.

الجواب

يخطر على بالى أنّ فى احد الكتب من ارشاد الديلمى، أو معالم الزلفى او الانوار النعمانية : أنّ الانبياء والائمة سلام الله عليهم بل والعلماء لاتبلى اجسادهم وهذه القضية شايعة عند عوام الشيعة، بل وبعض الخواص ولعله بلغكم مايقال: من أنّ احد الامراء اراد نبش قبر الامام موسى بن جعفر سلام الله عليهما ليتحقق هذه القضية فقيل له أنّ الشيعة يعتقدون ذلك فى علمائهم ايضاً فنبش قبر الكلينى او

المفيد رضوان الله عليهما فوجده بحاله لم يتغيَّر، ومثلها للشاه اسماعيل الصفوى مع الحرّ سلام الله عليه، ومثل هذه الاشياء لاينبغى الجزم بتصديقها ولاتكذيبها بل «فذروه فى سنبله» وقاعدة الشيخ الرئيس كلّ ماقرع سمعك الى آخرها أما فى الأدلّة الشرعية من الكتاب والسنة فلا أتخطر دليلاً فى ذلك معتبراً يعتمد عليه، نعم فى خواص بعض الاعمال المستحبة كغسل الجمعة ربما يوجد أنّ من خواصها حفظ الجسد من البلا وعلى فرضه فلابد أن يكون المراد الى مدة ما والاّ فكل شيئ فان ولايبقى الاّ وجهه الكريم وبقاء الأجسام وتلاشيها ببطؤ أو سرعة يختلف باختلاف استعدادها والتربة التى يدفن فيها وربّ جسد يبقى مائة سنة وآخر الى جنبه تلاشى بخمسين سنة ولله البقاء ومنه البدء وحده واليه المعاد.

٤٩

القرآن وأوّل خليقة من البشر

هل القرآن دالّ على كون آدم أبا البشر، وأوّل خليقة من هذا النوع أم لا؟ وعلى فرض كون آدم أوّل مخلوق من النوع الانسانى فكيف التناسل بين أولاده؟

الجواب

جميع الآيات الكريمة فى هذا الموضوع صريحة فى أنّ آدم خلق من تراب، وتكون بالخلق الفجائى، وأنّ ينبوع الحياة الأزلى نفخ فيه نسمة الحياة، وهو حيّ مستحدث من جماد بل الحق الصراح عند ارباب الفلسفة العالية أنّ الروح فى سائر الأجسام الحيّة هى جسمانية الحدوث روحانية البقاء فآدم الذى نوّه عنه القرآن الكريم هو الأب الأعلىٰ لهذا النوع الموجود على هذه البسيطة وكلّهم من نسله ولكن ليس فى القرآن ولا الاحاديث ما يدل على أنّه الاول من هذا النوع بل فى الكتاب والحديث ما يدلّ على خلاف ذلك ففى تفسير قوله تعالى ﴿ **بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ** ﴾[1] وردت عدة اخبار عن الصادقين سلام الله عليهم مضمونها أو

---

(١) سورة ق آية: ١٥.

نصّها تقريباً... (تحسبون أنّه ليس غير آدمكم هذا بلى أنّ الله سبحانه خلق الف الف آدم والف الف عالم قبل هذا، ويخلق بعد انقراض هذا العالم ودخول اهل الجنة جنتهم، واهل الجحيم جحيمهم الف الف آدم والف الف عالم، وتجد معظم هذه الأخبار في كتاب «الخصال» للصدوق اعلى الله مقامه وصريح هذه الاخبار أنّ هناك مالا يحصى من الادميين والعوالم وهو الموافق لعدم تناهى قدرته تعالى وأنّ يديه مبسوطتان، وأنّ فيضه مازال ولايزال ولاينقطع في حال من الاحوال وقالت اليهود يدالله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا.

امّا كيفية التناسل في بدء هذا الدور اعنى دور آدمنا هذا الذى نحن من نسله فلها حسب ما ورد في بعض الآثار والأخبار طريقتان:

الاولى: ولعلها الأصح أنّ حوّا كانت تلد توأما كلّ بطن ذكر وانثى فكان يزوج الذكر من هذا البطن من الأنثى فكان يزوج الذكر من هذا البطن من الأنثى من البطن الاخر وهكذا والاشكال أنّه كيف يزوج الاخت من اخيها ولو من بطن آخر، وأنّه لايخرج عن كونه زنا وبذات المحارح مدفوع بأنّ الزنا ليس الاّ مخالفة القوانين المشروعة، والنواميس المقرّرة من المشرّع الحكيم، وحيث أنّ في بدء الخليقة لايمكن التناسل الاّ بهذا الوضع اجازه الشرع في وقته لوجود المقتضى وعدم المانع ثم لمّا تكثّر النسل، ومسّت الحاجة الى حفظ الأنساب وتميّز الأسر والأرحام، وحفظ النظام العائل، وحصل المانع من تزوّج الأخ باخته وامثال ذلك ممّا تضيع فيه العائلة وتهدم دعائم الأسر ولايتميز الأخ من الابن والأخت من البنت لذلك وضع الشارع قوانين للزواج يصون النسل عن الاختلاط والامتزاج وهذا المحذور لم يكن في بدء الخليقة يوم كانت أسرة آدم وحوّاء نفراً معدوداً.

الطريقة الثانية: ما فى بعض الاخبار من أنّ الله جل شأنه انزل حوريتين فتزّوجهما ولد آدم فكان النسل منهما، ولعلّ المراد من الحوريتين امرأتين بقيتا من السلائل البشريّة المتقدمة على آدمنا هذا، وعلى كلّ حال فلايلزم الزنا، ولا مخالفة حرمة نكاح المحارم.

٥٠

سبب الخسوف والكسوف

ذكر علماء الهيئة أنّ سبب الخسوف هو حيلولة الأرض بين القمر والشمس، وسبب الكسوف هو حيلولة القمر بين الارض والشمس وبهذا يعلم المنجّمون وقت الخسوف، والكسوف، فحينئذ أى ربط بين ما ذكروه وبين ما فى بعض الأخبار بأنّ سببهما كثرة الذنوب وهاتان من علامة غضب الله فكيف يعلم المنجّمون وقت غضب الله، فلو فرضنا عدم وجود انسان فى الدنيا لايكون خسوف ولا كسوف؟

الجواب

ما ذكره علماء الهيئة فى سببهما كاد يكون محسوساً أو كالمحسوس، أما ما ورد فى الاخبار من أن سببهما كثرة الذنوب فهو مضافاً الى ضعفها المانع عن جواز التعويل عليها ومعارضة بعض الاحاديث النبوية لها الواردة فى الخسوف المقارن لموت ابراهيم بن رسول الله ﷺ واعتقاد الناس أنّ ذلك لموت ابراهيم فردعهم النبى ﷺ وخطب قائلاً: انّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لايخسفان لموت أحد

ولا لحياة أحد الخ يمكن تأويلها وحملها على ارادة المعنى الكنائى: وهـى أنّ كـثرة الذنوب هى التى تطمس نور شمس الهداية وتذهب بنور أقمار العقول. فـالذنوب هى التى ينخسف بها قمر العقل وينكسف شمس المعرفة فلايبقى للعقل ولاللمعارف أثر كما ينكسف الشمس بحيلولة القمر، والقمر بحيلولة الأرض، وهذا معنى حسن ومقبول عند ذوى العقول وان أبيت فطرح تلك الأخبار هو الأصح والله العالم.

❧ ٥١ ☙

المعاد الجسماني

ما معنى المعاد الجسمانى هل يعود عين البدن الدنيوى أو غيره؟ فلو كان عين البدن الدنيوى فما معنى قوله تعالى ﴿ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمىٰ وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً ﴾ ؟[1]

الجواب

معنى المعاد الجسمانى كما فى بعض الأخبار انّك لو رأيته لقلت هذا هو فلان بعينه وكما أنك لو رأيت شخصاً فى الدنيا وهو صحيح سليم الاعضاء ثمّ رأيته بعد عشر سنين مثلا مقطوع الاصبع، أو اليد، او قد ذهبت عينه، او أذنه تقول هو فلان بعينه ولا يقدح فى شخصيته فقدان يده او عينه فكذلك فى الآخرة لايقدح فى وحدته، وتشخصه كونه كان فى الدنيا بصيراً ويحشر فى الاخرة أعمى، وهذا العمىٰ هو العمىٰ الحقيقى الذى كان له فى الدنيا وهو عمى البصيرة وحيث أنّ الدار الآخرة هى الدار التى تبلى فيها السرائر وتظهر الحقائق ـ فلا محيص من ان يحشر الكفار

(١) سورة طه آية: ١٢٥.

والفاسق اعمى، ويعرف أهل المحشر أنّ هذا هو الذى كان اعمى فى الدنيا حقيقة وان كان بصيراً صورة قد حشره الله بصورته الحقيقية فى الاخرة التى هى دار الحق والحقيقة، ويؤيده قوله تعالى: ﴿كَذٰلِكَ أَتَتْكَ آيٰاتُنٰا فَنَسِيتَهٰا وَكَذٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسىٰ﴾ فتدبره جيّداً.

﴿ ٥٢ ﴾

اولاد الزّنا والنجاة في الآخرة

ولد الزنا هل له نجاة فى الاخرة أم لا ؟... وفرض كونه من الهالكين خلاف مقتضى العدل لانّ الذنب على أبويه.

الجواب

ولد الزنا حسب قواعد العدلية المطابقة للموازين العقلية والادلة القطعية ـ من انّه لاتزر وازرة وزر اخرى، ولا يعاقب شخص بجريمة غيره فحاله اذاً حال سائر المكلّفين ان اختار الطاعة وعمل اخير فهو من أهل الجنة والنعيم، وان اختار المعصية وعمل الشرّ كان من أهل الجحيم وكل ما فى الاخبار ممّا ينافى هذا فلابدّ من تأويلها وحملها على مالا ينافى تلك القاعدة المحكمة، وخبث نطفته وشقاوة ابويه ليسا بحيث يسلبان منه القدرة والاختيار على الطاعة والمعصية، فهذه الأخبار كأخبار الطينة والسعادة والشقاوة مثل أنّه تعالى قبض قبضة من طينة البشر وقال هذه للنار ولا ابالى، وقبض أخرى وقال هذه للجنة ولاابالى، وامثال قوله تعالى

﴿ طَبَعَ اللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾[١] ﴿ وَ أَضَلَّهُ اللّٰهُ عَلىٰ عِلْمٍ ﴾[٢] وهى كثيرة فى القرآن العزيز مما يدل بظاهرة أنّ الاغواء والاضلال والطبع والشّقاء هو من الله قهراً وجبراً على العباد وليس ذلك هو المراد قطعاً ولامجال لبسط الكلام فى هذا المقام باكثر من هذا.

---

(١) سورة التوبة آية : ٩٣.

(٢) سورة الجاثية آية : ٢٣.

۵۳

في خاتمية الرسالة

ظاهر القرآن، أو الدليل العقلى يساعد كون نبينا محمّد ﷺ خاتم الانبياء «بالكسر» أم لا ؟

الجواب

نعم ظاهر القرآن فى قوله تعالى ـ وخاتم النبيين[1] على القراءتين الفتح والكسر «اسم فاعل واسم مفعول» هو انّه صلوات الله عليه وآله قدختمت به النبوّة، وامّا الدليل العقلى فهو واضح لمن تدبّر نواميس هذه الشريعة واحكامها وأنّها بلغت الغاية فى الاحاطة بمصالح البشر والنظام الاجتماعى الذى لاتتصور العقول ارقى منه واكمل. فلابدّ أن تكون هى الغاية والخاتمة كما قال جلّ شأنه ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾[2] واذ اكمل الشيئ فقد تمّ وانتهى ولامجال لجعل غيره اذ المجعول امّا مثله او أنقص فهو قبيح وأمّا الاكمال فهو حاصل فى هذه الشريعة والله العالم.

---

(۱) سورة الاحزاب آية: ٤٠.

(۲) سورة المائدة آية: ۳.

٥٤

في حديث: أنت لا تطيق حمل النّبوة

في الحديث أنّ النبي ﷺ لما فتح مكة ودخل الكعبة وكسر الاصنام كان صنم في موضع مرتفع فقال علي عليه السلام: يا رسول الله انا أحملك لتكسر هذا الصنم فقال رسول الله: انت لاتطيق حمل النبوة ما معنى هذا الحديث والحال أنّ النبي يركب الدوابّ؟

الجواب

نعم فرق بين حمل الدواب للنبيّ ﷺ وحمل أميرالمؤمنين عليه السلام له اذ من المعلوم الضروري أنّ البدن سواء في الحيوان، أو الانسان هو الذي يحمل الاثقال وينهض نهضة الابطال ولكن انّما ينهض البدن بحملها بقوّة الروح وعزيمة الهمّة والشعور ضرورة أنّ الجبل الشامخ لايقوى على حمل طائر بل لايقدر على حمل ذبابة بل الطائر والذبابة تحمل نفسها عليه. فانّ الانسان بقدر عزمه وهمّته وشعوره يحمل الاثقال، ولمّا كان مثل أميرالمؤمنين عليه السلام يعرف عظمة النبي ﷺ ويقدر هيبة النبوّة، ويدرك معنى تلك المرتبة والوظيفة الآلهية، فلاريب أنّ قوّة البشريّة مهما كانت

عظيمة فهى تتصاغر أمام تلك العظمة وتندك لدى اشراق لمعات تلك الهـيبة لانّ تقديرها على مقدار ادراكها والشعور بهـا أمـا الحـيوان وسـائر افـراد الانسـان فلايدرك من النّبى ﷺ ولايعرف من حقيقته الّا جسده الظاهرى وهيكله المادى ومعلوم أنّه خفيف الطبع لطيف الجسد يقوى على حمله من هذه الجهة كـلّ أحـد ولكن أميرالمؤمنين عليه السلام وجبرئيل يعرفان من فضله ما يعجزهما عن حمله فـتدبّره واغتنم وبالله التوفيق.

۵۵

فلسفة الأضحية في منىٰ

ما هى فلسفة الأضحية فى منى، نرى كثرة الحجاج وعدم المصرف للحوم ذبائحهم فى منى، فلو فرضنا الحجاج مائة الف فلا يقل كلّ واحد غالبا عن ذبيحتين فى الاضحية، والكفارة تصير مأتى الف ذبيحة فيذبح ولا مصرف لها، ولا أحد يأخذ، فيطرح على الارض ويفسد الهواء ويتولد الامراض وفى هذا الزمان يقولون يجمعها ابن سعود فى بئر ويطرح عليها التراب، فأىّ فائدة فيها اجتماعية وانفرادية، فلو عيّن الشارع الاسلامى على كلّ احد من الحجاج بدل الهدى مقداراً معينا من النقود فيجمع للصرف فى مصالح العامة للمسلمين أليس أحسن ؟

الجواب

قضية الذبائح، والقرابين وتقديمها للالٓهة بكثرة شعيرة من الشعائر القديمة فى اكثر الاديان حتى عند المشركين وعبدة الاوثان فضلا عن الديانات الثلاث المشهورة، وحيث أنّ الشريعة الاسلامية جعلت الكعبة قبلة للمنسلمين واليها حجّهم وموقع الكعبة هو الحجاز، وهى ارض (كما يعلم كلّ احد) قاحلة وحرة

سوداءة لايعيش فيها ضرع ولازرع ، واهل الحجاز على الغالب فقراء بالفقر المدقع الذى كان يدفعهم الى استطابة اكل الحشرات والوحوش من الضب ، واليربوع ، والأرانب ونحوها بل ربما يضطرون فى بعض السنوات الى اكل الدم الممتزج بالصوف بل ما هو اسوأ من ذلك فقضت الحكمة الالهية الارفاق بأهل تلك البلاد والتوسعة عليهم ، ومن يتجوّل فى القبائل الحجازية وينظر شحوب تلك الشعوب ، وغبرة وجوههم ، ورّث ملابسهم وجشوبة طعمهم يعرف سعة الرحمة الآلهية والشفقة الربوبية فى فرض هذا النسك ، ومن يراجع الايات الكريمة الواردة فى هذا الموضوع يعرف جلياً أنّ الحكمة والغرض من هذا الحكم هو التوسعة على الفقراء والهلكى الذين هم أكثر أهل الحجاز واشباع نهمهم وسد فورتهم يقول جلّ شأنه : **﴿ فكُلُوا مِنْهَا وَ أَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾**[1] ـ ثم يقول : **﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَ أَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾**[2] فقول السائل انه لامصرف لها غير صحيح وكلّ احد يعلم أنّ جمعاً كبيراً من أعراب تلك النواحى يجتمعون ويتقاسمون تلك الذبائح فيما بينهم ويتناهبون تلك الاغنام انتهاب الغنائم ، وان بقى فضلة منها فهى من التوابع القهرية ، والغالب أنّ الخير الكثير ليستتبع الشرّ اليسير ، وهذا ايضاً لايعود الى نقص فى التشريع فانّ قبائل الحجاز لو اجتمع نصفهم فضلا عن كلهم لما كان يقع سهم كلّ واحد منهم شاة واحدة من تلك الاضاحى الكثيرة لانّهم يبلغون على أقل تقدير أكثر من مليونين ونصفهم على أقل فرض فقراء فلو اجتمعوا فى صحراء منى وعرفات وهى قريبة منهم أو ارسلوا وكيلا ، أو وكلاء يحملون اليهم حصصهم لكان سهم كل عشرة شاة واحدة ولكن هم المقصرون فى الانتفاع بما فرضة الله لهم .

أمّا تعيين مقدار من النقود بدلها فهو خلاف غرض الشارع الذى يحب اطعام

---

(١) سورة الحج آية : ٢٨.

(٢) سورة الحج آية : ٣٦.

الطعام، وبذل الزاد لاشباع الجائع، ودفع كضّة النهـم، والقـرم فـانّه قـديرٌ عـلى البدوى فى الصحراء الشهر او الشهرين لايذوق فيها طعم اللحوم، ولا يشمّ قـتار الدسوم على أنّ الشارع ببركة ما اوجب على أغنياء المسلمين فى الحـجّ الى تـلك المشاعر، والشعائر، وما ينفقون فيها من الاموال الطائلة قد صبّ عـليهم البركـة صبّاً وملاء جيوبهم بالنقود ـفاوجب الاضاحى ـ تـكميلا للـغاية، واتسـاعاً فى المنفعة واستقصاء فى الاخذ بأسباب الجود، وعموم الكرام ولعل هذا هو السرّ أو بعض المصالح والحكمة التى نظرت اليها العناية العليا والرعاية الازلية حتى صارت القرابين والاضاحى من النواميس المقدسة فى أكثر الشرائع والاديان، وحثت على الاكثار منها ولان كان هذا بالغاً مرتبة الرجحان فى سائر الاقطار والبـلدان فـهو للحجاز ولاسيما البيت الحرام، وهو بواد غير ذى زرع، ولاسبد، ولا لبد ينبغى بل يلزم أن يكون بحد الوجوب، وهكذاكان الامر من لدن حكيم عليم؛ نعم يلزم على أولياء الامور فى تلك المشاعر التنظيم والعناية بما يستوجب الانتفاع بتلك الذبائح، ودفع مضارها أو بيع مالا يمكن الانتفاع مـنه الا بـالاحتفاظ بـه بـعمل وتـدبير كجلودها واصوافها فيلزم اصلاحه أولا ثم بيعه وتوزيع ثمنه على الفقراء أو المصالح العامة باجازة حاكم الشرع أو الحاكم العادل.



۵٦

ما الحكمة في تعدّد ازواج النبى ﷺ

الجواب

انّنا لو أردنا أن نكتب مألّفا خاصّاً فى الحكم، والمصالح التى اشتملت عليه هذه الشرعة النبوية والسياسة المحمديّة لكان يلزمنا القيام بأكبر مؤلف وقد لانحيط بسائر الجهات منها، نعم نعلم على الجملة انّ اقترانه بكلّ واحدة من تلك الزوجات كانت المصلحة فى تلك الظروف المعيّنة يقتضى وجوبه الحتمى، وللمجموع أعنى لمجموع التعدّد اجمالا حكم ومصالح أيضاً توجبه وتلزم به، ولايسعنا ايضاح تلك المصالح جميعاً ولكن نشير الى واحدة منها اشارة اجمالية وهى: أنّه سلام الله عليه أراد أن يضرب المثل الاعلى والبرهان الاتمّ الاجلى لنفسه الملكوتية ومقدار رزانتها، وقوة استقامتها وعدلها، وعدالتها، وكلّ أحد يعلم كيف تتلاعب النساء بأهواء نفوس الرّجال وتتصرّف فيها حسب ما تشاء، كما يعلم كل أحد ما بين النساء والزوجات من التنافس، والغيرة، واعمال الدسائس والمكائد فيما بينهن، واضطراب حبل النظام العائلى والقلق الداخلى، وهذه الذات المقدسة

الغريبة فى جميع أطوارها ـ ضرب المثل الأعلى فى ضبط النفس واقامة العدل بين زوجاته المتعدّدات وعدم الانحراف عن محجّة العدل والانصاف بينهم قيد شعرة مع جمعه لهنّ فى منزل واحد واختلافهن فى السنّ والجمال وسائر الجهات الّتي تستهوى النفوس ونحن نجد فى الكثير الغالب أنّ الرجل الصلب القوى قد يعجز عن ارضاء زوجتين واقامة ميزان العدل بينهن على أتمّ حدوده ومقاييسه ولابدّ أن ترجّح احدى الكفّتين عنده ولو قليلا مهما بالغ فى التحفّظ والكتمان فكيف بمن يحسن معاشرة تسع نساء أو أكثر فى منزل واحد فيرضى الجميع ويعدل بين الكل ويخضعن له جميعاً وهنّ «حبائل الشيطان» ولا يرضيهنّ فى الغالب كلّ ما فى الكون من ثروة وسلطان حتّى أنّ احدى زوجاته وهى سودة بنت زمعة[1] لمّا أراد النبيّ

---

(١) سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية العامرية عدّها شيخ الطائفة الطوسى (قده) فى رجاله من الصحابيات وكذلك جمع من علماء اهل السنة وكانت قبل ان يتزوجها رسول الله ﷺ تحت ابن عم لها يقال له : السكران بن عمرو. ولما اسلمت وبايعت النبى ﷺ اسلم زوجها معها وهاجرا جميعاً الى ارض الحبشة فلما توفى عنها تزوجها رسول الله ﷺ وكان ذلك فى شهر رمضان سنة عشر من النبوة بعد وفات خديجة بمكة وقيل سنة ثمان للهجرة على صداق قدره اربعمائة درهم وهاجر بها الى المدينة وكانت امرأة ثقيلة ثبطه ومن فواضل عصرها واسنت عند رسول الله ﷺ ولم تصب منه ولداً. ووهبت ليلتها لعائشة حين اراد طلاقها فقالت : لاتطلقنى وامسكنى واجعل يومى لعائشة لارغبة لى فى الرجال وانما اريدان احشر فى ازواجك ففعل ﷺ فنزلت : فلاجناح عليهما ان يصلحا بينهما والصلح خير وروى محمّد بن اسحاق عن حكيم بن حكيم عن محمّد بن على بن الحسين عن ابيه عليه السلام قال : كان جميع ماتزوج رسول الله ﷺ خمس عشرة امرأة وكان أول امرأة تزوجها بعد خديجة بنت خويلد سودة بنت زمعة وذكر النسابة محمّد بن حبيب البغدادى المتوفى سنة (٢٤٥) هبسر من رأى من زمن خلاقة المتوكل العباسى ـ فى كتابه (المحبر) ص ٧٩ طبعة حيدر آباد الدكن ان سورة (كانت قدرأت فى المنام أن النبى ﷺ اقبل يمشى حتى وطىء على عنقها فأخبرت زوجها فقال : وأبيك لئن صدقت رؤياك لأموتن وليتزوجنك محمّد ﷺ ثم رأت فى المنام ليلة أخرى كان قمراً انقض عليها من السماء وهى مضطجعة فأخبرت زوجها فقال : وأبيك لا ألبث الا يسيراً حتى أموت ثم تتزوجين من بعدى فاشتكى السكران من يومه ذلك فلم يلبث الا قليلا حتى مات ، فتزوجها النبى ﷺ ثم طلقها تطليقة وكانت قد

←

طلاقها وهبت لعائشة ليلتهــا ولم ترض أن يـطلقها وقــالت : أريـد أن أحــشر فى أزواجك ، وكانت بيئته وقلّة ذات يده وجشـوبة عـيشه وخشـونة ازيـائه كـلّها تستدعى على الدوام بينهنّ حدوث الشغب وتقطع حبل الراحة بمقاريض التعب ، ولكنّه على ذكره السلام لم يحدث شيء واحد من ذلك فى بيته مدّة عـمره بـينهنّ سوى واقعة واحدة هى فى غاية البساطة بل هى من اعلام النبوة ودلائل الوحى والرسالة واحدى قضايا الاعجازوهى قضية مارية القـبطية[1] التى نـزلت فـيها

← كبرت فبلغها ذلك فجمعت ثيابها ، ثم جلست على طريقه الذى يخرج منه الى الصلاة فلما دنا مـنها بكت ، ثم قالت : يا رسول الله ﷺ هل غمصت علىَّ فى الاسلام ؟ فقال : اللهم لا ، قالت : فانى أسألك لما راجعتنى فراجعها فقالت له : يا رسول الله ﷺ يومى لعائشة فى رضاك لانظر الى وجهك فوالله مابى ما تريد النساء ولكنى أحب أن يبعثنى الله فى نسائك يوم القيامة وكانت حاضنة ولده ﷺ توفيت سودة بالمدينة فى شوال سنة (٥٤) هفى زمن معاوية وقيل : توفيت فى خلافة عمر وقيل : توفيت سنة (٥٥) هـ ثم ان سودة التى كانت فى زمن خلافة أميرالمؤمنين عليه السلام هى سودة بنت عمارة بن الا شتر الهمدانية وهى شاعرة من شواعر العرب ذات فصاحة وبيان ووفدت على معاوية فاستأذنت عليه فاذن لها : فلما دخلت عليه سلمت فقال لها : كيف أنت يا ابنة الاشتر ؟ قالت بخير قال لها : أنت القائلة لابيك :

شمر كفعل أبيك يا ابن عمارة	يوم الطعان ومـلتقى الاقـران
وانصر عليا والحسين ورهطه	واقصد لهـند وابـنها بـهو ان
ان الامام أخـا الـنبى مـحمّد	علم الهدى ومـنارة الايـمان
فقد الجيوش وسر أمام لوائـه	قدماً بـابيض صـارم وسـنان

قالت : اى والله ما مثلى من رغب عن الحق او اعتذر بالكذب قال لها : فما حملك على ذلك ؟ قالت : (حبّ على واتباع الحق) الى آخر كلامها مع معاوية ولله درّها وقـد اشـادت بـالحق وصـدعت بـما يرضى الله ورسوله عليه السلام وصارحت بما فى نفسها من حب أميرالمؤمنين عليه السلام وجاهرت بـه فـى وجـه معاوية عدو الاسلام ومبغضه الذى صارت الخلافة الا سلامية بيده ملكاً عضوضاً وسلطنة كسروية «المصادر» انظر : بلاغات النساء والعقدالفريد ورجال الشيخ الطوسى وتنقيح المـقال وأسـد الغـابة والاصابة والاستيعاب وطبقات ابن سعد المحبر والتاريخ الصغير للبخارى وشـرح الزرقـانى عـلى المواهب واعلام النساء ...

(١) مارية بنت شمعون القبطية من فواضل نساء عصرها عدها جمع من علماء الرجال مـن الصـحابيات ←

اوائل سورة التحريم ، وفى قضية الزوجتين اللّتين أودعهما النبيّ ﷺ سرّاً فاظهرتاه والمرأة مهما كانت رخوة العنان ضعيفة الكتمان ولكن أراد النبيّ ﷺ أن يصهرهنّ فى بوتقة الامتحان حتّى يظهر الذهب الخالص من المزيف ، وعلى كلّ حال فقد اظهر الله جلّ شأنه لنبيّه فى تعدّد الزوجات معجزتين : الاولى : فى داخليته وعدّله المستمرّ بينهن أكثر من عشر سنين .

الثانية : وهى اكبر آية واعظم اعجازاً واسطع برهاناً ذاك انّ من يستقرأ سيرة النبيّ ﷺ بعد هجرته من وطنه البيت الحرام الى مصيره الأخير ـ يثرب يجده فى هذه السنوات الأخيرة من عمره الشريف كالرجل الفارغ البال من أثقال العيال ، يجده كالوادع الأمن والهادىء المطمئنّ كأنّه لاعلاقة له بشيىء من النساء ولا واحدة فضلا عن المتعدد ، فهو قائد جيش ومشرع احكام وامام محراب

← وهى مولاة رسول الله ﷺ وسريته وهي‌ام ولده ابراهيم بن النبى ﷺ وكانت ام مارية رومية وكانت مارية بيضاء جعدة جميلة فاهداها المقوقس صاحب الاسكندرية الى رسول الله ﷺ سنة(٧) هـ ومعها اختها سيرين وألف مثقال ذهبا وعشرين ثوابا ليناً وبغلته (دلدل) وحماره (عفير) ومعهم خصى يقال له : ما بورو هو شيخ كبير وبعث كل ذلك مع حاطب بن ابى بلتعة وعرض حاطب على مارية الاسلام ورغبها فأسلمت ورغبها فيه فأسلمت وأسلمت أختها واقام الخصى على دينه حتى أسلم بالمدينة فى عهد رسول الله ﷺ فاعجب رسول الله ﷺ بمارية وانزلها بالعالية وكان رسول الله ﷺ يختلف اليها هناك وضرب عليها الحجاب وفى ذى الحجة من سنة ثمان للهجرة ولدت مارية ابراهيم فدفعه رسول الله ﷺ الى أم بردة بنت المنذر بن زيد بن النجار فكانت ترضعه وقالت عائشة : ماغرّت على امرأة الاّ دون ما غرّت على مارية وذلك أنها كانت جميلة من النساء جعدة وأعجب بها رسول الله ﷺ علمة النهار والليل عندها حتى فرغنا لها فجزعت فحولت الى العالية فكان يختلف اليها هناك فكان ذلك أشد علينا ثم رزق الله منها الولد وحرمناه منه قلت انى أتعَجب من غيرة عائشة على مارية كما أن من العجب حقدها على الصديقة الطاهرة فاطمة بنت رسول الله ﷺ وكان من جراء ذلك أنه توفيت فاطمة عليها السلام فجاء نساء رسول الله ﷺ كلّهن الى بنى هاشم فى العزاء الاّ عائشة فانها لم تأت واظهرت مرضاً ونقل الى على عليه السلام عنها ما يدل على السرور راجع اعلام النساء لعمر رضا كحالة ، ج ٢ ، ص ٨٥٢ ط دمشق .

وقــاضي خــصومات ، وعــاقد رايـات ، ومـؤسس شريـعة ، وعـابد مـنقطع الى التهجد والعبادة ، ولقد كان يصلّي حـتى ورمت قـدماه فكـيف مـع ذلك كـلّه استطاع ادارة تسع نساء أو أكثر مع شدّة الغيرة والتنافس بينهنّ وكيف لم يقسمن فكره ويشغلن باله عن تلك الأعمال الجبّارة والعزيمة القهّارة فهل هذه الّا المعجزة بذاتها والقدرة الآلهية بأجلى مظاهرها ؟

وهل تريد لتعدد الزوجات اعظم من هذه الحكمة وابلغ من هذه الفائدة ؟ ولعل هذه واحدة من الف ، واشراقة من شمس ، والّا فالمسألة كما ذكرنا تستحق أن تفرد بالتأليف لكثرة مافيها من السياسات والحكم .

۵۷

القَسَم بالتّين والزّيتون

ما وجه القَسَمِ بـالتين، والزيـتون؟ ومـا سـبب امـتيازهما بـين المخـلوقات؟ وما تفسيرها؟

الجواب

جرت سنة الله العظيم فى كتابه: أن يقسم بمخلوقاته العـظيمة البركـة العـميمة الفائدة كالشمس والقمر والنون والقلم والرياح الذاريات والمرسلات كـما يـقسم بالقرآن الذى هو شمس الهداية الحقيقية وهداية الأرواح، والنفوس والعقول، بل بمادون ذلك كالصبح، والليل والجوارى الخنّس، والكواكب الكنّس، وأمثال ذلك ممّا هو كثير فى الكتاب الكريم، وحيث أنّ التين والزيتون من الأطـعمة العـظيمة الخير والبركة، فانّ العين فاكهة وحلوى رطبة نافع وجافة أنفع وهو غذاء ودواء وطعام وادام وفيه منافع كثيرة، ومثله الزيتون ولعله اشرف، والطف واعظم بركة ونفعاً باعتبار دهنه الذى لاتعدّ ولاتحصى منافعه وخيراته وخواصّه، وآثاره، وهو مع أنّه من أحسن الادام، والصبغ للآكلين فيه منافع عظيمة وخـواص بـليغة فى

المعالجات، فلهذا حسن القسم بهما لعظيم فائدتهما، هذا كله بناء على أنّ المراد بهما تلك الثمرتان، أو الشجرتان المباركتان ومن الجائز القريب بل لعلّه الاقرب أنّ المراد بالتّين جبل يكثر به شجرة التين من جبال القدس وحبرون[1] الذى تجلّى عليه الجليل لابراهيم الخليل عليه السلام، والزيتون جبل الزيتا الذى تجلّى الرّب فيه لاسرائيل يعقوب أبى الاسباط وللمسيح فيه مواقف كثيرة، ويشهد له عطف طور سينين عليهما و هو الجبل الذى تجلّى فيه الجليل لكليمه موسى عليه السلام ثم عطف عليهما البلد الأمين وفيه جبل حراء الذى تجلّى فيه الحق لحبيبه محمّد صلوات الله عليه وآله فهذه الجبال الاربع هى مظاهر الانوار الآلهية، والتجليات الربوبية على الارواح النبوية والهياكل البشريّة، ولا شيىء أحق منها للحق بأن يقسم بها من مخلوقاته، والله أعلم وأحكم بأسرار كلماته وسائر آياته.

---

(١) (حبرون) بالفتح ثم السكون وضم الراء وسكون الواو ونون اسم القرية التى فيها قبر ابراهيم الخليل عليه السلام بالبيت المقدس وقد غلب على اسمها الخليل ويقال لها ايضاً حبرى قاله ياقوت فى معجم البلدان ج ٣ ص ٢٠٨ وقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله تميم الدارى فى قومه وسأله ان يقطعه حبرون فاجابه وكتب له كتابا انظر نسخته فى معجم البلدان ج ٣ ص ٢٠٩ وهامش كتاب (الاموال) لابى عبيد القاسم بن سلام المتوفى (٢٢٤) ه ص ٢٧٤ ط مصر.

۵۸

في لبس خاتم الذهب

لأىّ علة منع لبس خاتم الذهب وزرّ الذهب للرجال ؟

الجواب

حق السؤال أن يكون هكذا ـ لماذا منع الدين الاسلامى من لبس الرجال الحرير والذهب ؟... والجواب : أنّ الدين الاسلامى يريد من الرجال الخشونة والصلابة ، وان يكونوا أشدّاء واقوياء ، ولمّا كان فى الحرير والذهب من النعومة والطراوة والميعان واللمعان ما ليس فى غيرهما حرّمهما على الرجال لعلمه تعالى ولعله من المشاهد المحسوس أنّ الزينة بمثل هذه الاشياء يوجب التأنث والتخنث وسفالة الهمّة والميل والانقياد الى الشهوات البهيمية ، ويسقط همّة الرجل فيها عن السّمو الىٰ نيل المعالى وعظائم الفتوح وعزائم الروح ، ولا يقاس هذا بلبس الأحجار الكريمة والجواهر الثمينة فانّها توجب العزّة والكرامة والسّمو وعلوّ الهمّة ، واين هذا من نعومة الحرير ولمعان الذهب الّتى تلائم ربّات الحجال. ويجب أن تترفع عنها الرجال حتى لو لم يحرّمها الشارع. فلله شريعة الاسلام ما أعظمها

وأجلّها ولله هذه الأمة المسلمة ما أضعفها وأجهلها والحكم لله ولا حول ولا قـوة الا بالله عليه توكلت واليه أنيب.

٥٩

الزّكاة والاشتراكية الصحيحة والتعاون في الاسلام

لما قضت العناية الازلية ؛ والحكمة البليغة لبقاء هذا النوع (البشر) أن يكـونوا مختلفين غير متساويين فى القـوى والمـلكات والافـهام والذكـاء كـاختلافهم فى الاخلاق والصفات والخلق والهيئات ، وكاختلافهم فى الغـنى والفـقر ، والسـعادة والشقاء ، ولو كانوا جميعاً فى رتبة واحدة من الذكاء والفقر والغنى والسعادة والعنا لهلكوا جميعاً ، والى هذا اشار الامام الجواد عليه السلام فى كلمة موجزة من ابلغ الكـلمات القصار ، حيث يقول : (لو تساويتم لهـلكتم) ؛ وهـذا جـلى واضـح لاحـاجة الى ايضاحه ، ولكن لازم هذا الاختلاف الواسع والتباين الشاسع لحفظ بقاء النوع هو التعاون مع رعاية التوازن والتعاون ضرورة من ضرورات الحياة ، وهو فى الجملة غريزة وطبيعة قضت به حاجة بعضهم الى بعض ، وتبادل المنفعة وتكافى المصالح ، وبه يتمّ النظام وتحفظ الهيئة الاجتماعية وهذا التعاون التى تدفع اليه الحاجة وتدعو له الضرورة هو فى غنى عن الحثّ والبعث اليه .

وانّما الذى يحتاج الى التشريع والبعث اليه هو التعاون بلاعوض وعمل الخـير

والاحسان؛ وصنع المعروف لوجه الله، وفى سبيل الله، لجميع عباد الله، للفقير والغنى، والعاجز والقوى، للمؤمن والكافر، وهذه الفضيلة هى فضيلة الجود والسخاء التى يقابلها رذيلة الشحّ والبخل فالكرم عطاء بلاعوض، وبذل من دون نظر الى الاستحقاق وعدمه، والبخل المنع حتى مع الاستحقاق، والاولى هى بمرتبتها العليا هى صفة الحق جلّ شأنه والامثل فالامثل من الانبياء والمرسلين، والاوصياء والصديقين، ولعلها فى بعض البشر من الغرائز والمواهب لاتحصل بالطلب والكسب كصفاء اللؤلؤة واشراق الشمس وفيض الينابيع، ومثلها رذيلة البخل قد تكون طبيعة فى بعض البشر وغريزة وهناك اوساط ونفوس ساذجة ليس فى جبلّتها هذا أوّلاً ذاك، فيؤثر فيها المحيط والتربية، والأقران فضيلة أو رذيلة، وما من شريعة من الشرايع، ولا دين من الاديان، ولا كتاب من الكتب قدحث وبعث وبالغ فى الدعوة الى الاحسان والمعروف وبذل المال فى سبيل الخير مجّاناً ولوجه الله تعالى كشريعة الاسلام وكتابها المجيد.

وقلّما تجد سورة من سور القرآن لم يتكرّر فيها طلب الانفاق والوعد بالأجر العظيم له خذ أول سورة بعد الفاتحة وهى اوسع سورة بعد الفاتحة وهى اوسع سورة تضمّنت التشريع الاسلامى وعامة فرايضه من الصلاة والصوم والزكاة والحج والنكاح والرضاع والطلاق والمعاملات والدّيون والرهن والقصاص والدّيات وغير ذلك، افتتح البارى جل شأنه هذه السورة بالانفاق، وقرنه بالايمان بالله، وبأهمّ دعائم الاسلام وهى الصلاة فقال ﴿ **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاٰةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾[1] ثمّ قال جلّ شأنه فيها بعد جملة آيات ﴿ **وَ لٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلاٰئِكَةِ وَ الْكِتٰابِ وَ النَّبِيِّينَ وَ آتَى الْمٰالَ عَلىٰ حُبِّهِ**

(١) سورة البقرة آية: ٣.

ذَوِي الْقُرْبىٰ وَ الْيَتٰامىٰ وَالْمَسٰاكِينَ ﴾[١] ثم قال بعد فصول طويلة، وبيان احكام كثيرة ﴿ **يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمّٰا رَزَقْنٰاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاٰ بَيْعٌ فِيهِ وَ لاٰ خُلَّةٌ وَ لاٰ شَفٰاعَةٌ** ﴾[٢] ولم يكتف بهذا كله فى هذه السورة المباركة حتى أفاض فى فضل الانفاق وأجره العظيم، وانّه يعود لاضعافه المضاعفة وجاء بأبلغ الامثال، وابدع المقال فندب الى البذل والاحسان وحرمة الربا الذى فى قطع سبيل المعروف، وأكل المال بالباطل، وجعل من يصرّ على استعماله محارب بالله العظيم والله محارب له، كلّ ذلك فى ضمن أكثر من ثلاثة عشر آية مطوّلة بدأها عزّ شأنه بقوله: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنٰابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَ اللّٰهُ يُضٰاعِفُ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ اللّٰهُ وٰاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾[٣] الى قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهٰارِ سِرًّا وَ عَلاٰنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[٤] ثم بعدها اربعة عشر فى فضل الانفاق الحقها بتحريم الرّبا، وفظاعة شأنه، وتهويل جريمته، وبيان جملة من احكامه فقال: ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبٰا لاٰ يَقُومُونَ إِلاّٰ كَمٰا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطٰانُ مِنَ الْمَسِّ** ﴾ وهذا تصوير بديع لحال المرابين، وعظيم جشعهم، وحرصهم على جمع المال وادّخاره وتوفيره، فهو كالذى فيه مسّ من الجنون يذهب ويجيء ويقوم ويقعد ويأخذ ويعطى، فهو فى حركة دائبة وعمل متواصل لايقرّ له قرار، ولا يستريح من التفكير والتوفير والادخار فى ليل ولانهار واذا اعترضه معترض قال ممرّراً عمله انما البيع مثل الربا والبيع حلال فالرّبا مثله، وهو قياس فاسد، ويعرف فساده من القاعدة الشرعية المباركة «الغُنم

---

(١) سورة البقرة آية: ١٧٧.

(٢) سورة البقرة آية: ٢٥٤.

(٣) سورة البقرة آية: ٢٦١.

(٤) سورة البقرة آية: ٢٧٤.

بالغرم» فكلّ معاملة فيها غنم بلا غرم فهى أكل مال بالباطل، والبيع غنم بغرم، ومبادله مال بمال، بخلاف الربا فانه للاخذغنم بلاغرم، وللدافع غرم بلا غنم، فاذا أعطى العشرة باثنتى عشر من جنس واحد فقد اخذ اثنين بلا عوض فهو أكل مال بالباطل ولذا اختص الربا بالمتجانسين، أى أن يكون العوضان من جنس واحد ويكون من المكيل والموزون، اذ المعاملة بالمعدود، والمشاهدة نادرة والنادر ملحق بالعدم، ومدار المعاملات فى العالم على الكيل والوزن مضافاً الى جهات اخرى، وما أبدع وأروع تعقيب آيات الحث على الانفاق احساناً وكرماً بآيات تحريم الرّبا فان ذلك فضل واحسان، وهذا جور وعدوان وهذه الفصول فى آخر هذه السورة التى هى أطول أو افضل سور القرآن من حيث بيان النواميس الاسلامية، محبوكة كالسرد الوضين فانه عز شأنه ذكر فضل الانفاق فى سبيل الله والعطاء المجّانى وربط به حرمة الرّبا، وهو الأخذ العدوانى، ثم اردفه بالدين والرهن واحكامها والامر بانظار المعسر ﴿ **وَ إِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلىٰ مَيْسَرَةٍ** ﴾[١] انظر واعجب لهذه الرحمة الواسعة، وهذا التشريع الرفيع، وهل يبقى لك شك فى ان هذا القرآن من الوحى المعجز والذكر المبين، نزل به الروح الامين من رب العالمين، وهل تجد شيئاً من هذه الأساليب فى شيء من التوراة والانجيل والزبور وغيرها وهى اكبر حجماً، واكثر ألفاظاً ورقماً أرأيت كيف تنازل العظيم من أوج عظمته الى مخلوقه العاجز الضعيف فصار يستقرضه ويقول: ﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضٰاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ** ﴾[٢] ثم لم يكتف بهذا كله فى الدعوة الى التعاون وتعاطف البشر بعضهم على بعض بالاحسان والمعروف، نعم لم يكتف بما ندب اليه من المعروف على سبيل الندب والاستحباب وان كان واجباً اخلاقياً.

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٨٠.

(٢) سورة الحديد آية: ١١.

نعم لم يكتف بذلك العموم والاطلاق فى الترغيب الى الانفاق والاحسان لكل ذى روح حتى البهائم والهوام بل وحتّى الكلب العقور، فاذا رأيت كلباً يلهث من العطش استحب لك فى الشريعة الاسلامية أن تسقيه الماء (**فان لكل كبد حرّاء أجر**) كما فى الحديث ما الرفق بالحيوان والحمولة والدواب فقد عنيت الآداب الاسلامية برعايتها والرحمة لها عناية بالغة، وفى الحديث ما مضمونه: اذا وصلت المنزل فابدأ بسقى دابتك وعلفها وراحتها قبل نفسك ولاتتخذوا ظهور دوابّكم منابر، ولا تحملوا عليها فوق طاقتها ولا تجدوها ولاتضربوا وجوها الى كثير من امثال ذلك مما لامجال لاحصائه فى هذا البيان.

أمّا الفقراء والضعفاء والعجزة فلم يكتف لهم الشارع المقدس ورحمته الواسعة بهذه العمومات والمطلقات، بل جعل لهم مزيد عناية تخصّهم وفرض لهم فى اموال الأغنياء نصيباً مفروضاً، وصيّرهم شركاء لهم فيما بأيديهم ولكن من دون اجحاف واعتساف باموالهم بل قال الشارع الاقدس فى كتابه المقدس ﴿ **يَسْئَلُونَكَ مٰا ذٰا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ** ﴾[1] يعنى الزائد من المال على حاجته حسب شأنه فى سنة أو سنوات، وقال المبلغ عنه من فضول اموال أغنيائكم ترد على فقرائكم وفى الحديث مامؤدّاء (**لما علم الله أن نسبة الفقراء من الاغنياء العشر فرض لهم العشر فى اموالهم وما جاع فقير الا بما منعه الغنى من حقّه**) نعم فرض للفقراء الحق على الاغنياء ولكن جعل السلطنة الأغنياء وأعطاهم الحرّية الواسعة والاختيار العام فيما يدفعون من نقود أو عروض ولأىّ فقير يدفعون، وبأى وقت يشاؤون، والفقير وان صار شريكاً ولكن لاسلطة له على الأخذ وانمّا سلطة الدفع والتعيين لربّ المال، وعدلت الشريعة الاسلامية هذه القضية حذراً من تفشّى داءِ الكسل والاتكال فى النفوس وترك الناس السعى والعمل وتغلّب البطالة والمسألة على المجتمع، فخصّ ذلك

---

(١) سورة البقرة آية: ٢١٩.

الحق بالفقير الذى لايستطيع العمل لعذر من الاعذار أو كان عمله لا يفى بمؤونة عياله، ثمّ حث الناس على الكسب والسعى فى توفير المال وأوجبه لتحصيل الرزق له وللعيال، كما أوجب للعمال دفع حقوقهم موفّرة من أرباب الأموال وعدم بخس ما يستحقّونه من الأجر وأن يدفع للعامل أجرته فوراً قبل أن يجفّ عرقه، وهذه هى الاشتراكية الصحيحة العادلة السمحاء التى وقعت وسطاً بين افراط الاشتراكية الحمراء وتفريط الرأسمالية القاسية السوداء فلم تسلب الغنى حرّيته فيما بيده وما استحصله بجهده كما تسلبه الشيوعية الظالمة التى تسلب بعسفها، وظلمها أفضل نعم الله على العبد وهو الحرّية، ولاسلبت الأمل ما يستحقه بعمله من الأجرة، ولم تبخس حقّه كالرأسمالية ﴿ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنٰاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾[١] أنظر سعة نظر التشريع الاسلامى وعنايته بسدّ الحاجة وتدارك مواضع الضعف فى الامّة فيما فرض من الزكاة وتعيين مصرفها ومستحقّيها فجعل الفقراء والمساكين فى الدرجة الأولى، ثم للعاملين فى جبايتها، ثم للمدينين الذين لايستطيعون وفاء دينهم، ثم الأسراء والعبيد وعتقهم، ثم أبناء السبيل المنقطعين فى الغربة والمؤلفة قلوبهم وفى سبيل الله أى المصالح العامة كبناء القناطر والمدارس والمعاهد والمعابد وتعبيد الطرق وامثال ذلك فرض الله الفقراء العاجزين عن تحصيل ما يمونهم وعيالهم لنقص فى أبدانهم من مرض ونحوه او عدم مواتاة الحظ لهم (ان صح أنّ شيئا يسمّى الحظ له شيء من التأثير فى المقادير).

نعم فرض الله الزكاة وقرنها بالصلاة اهتماما بها فى زهاء عشرين آية متفرقة ﴿ أَقِيمُوا الصَّلاٰةَ وَ آتُوا الزَّكٰاةَ ﴾ أربع منها فى سورة البقرة[٢] ثم تكرّرت فى عامّة سور

---

(١) سورة البقرة آية: ١٤٣.

(٢) سورة البقرة آية: ٤٣ ـ ٨٣ ـ ١١٠ ايضاً سورة البقرة آية: ١٧٧ (أقام الصلاة وآتى الزكاة) سورة البقرة آية: ٢٧٧ (أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة).

الطوال، والمفصل والقصار وآخرها في سورة (البينة) آخر القرآن ﴿ وَ مٰا أُمِرُوا إِلاّٰ لِيَعْبُدُوا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفٰاءَ وَ يُقِيمُوا الصَّلاٰةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكٰاةَ وَ ذٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[١] وفي الجميع قدمت الصلاة على الزكاة الاّ في آية واحدة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّٰى * وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلّٰى ﴾[٢] لنكتة معلومة، ولكن في الحديث مايشير الى انه تعالى ربط الزكاة بالصلاة للدلالة على أن من لا زكاة له لاصلاة له، يعني ان من وجبت عليه زكاة في امواله ولم يدفعها لمستحقّها لم تقبل صلاته، وان اتى بها على أصح وجوهها، ومن سعة رحمته وعناية بخلقه جعلها في اهم الاشياء واعمّها، والزمها في حياة البشر ومقوّمات العيش وهي الاجناس التسعة النقدان، والغلّات الأربع والانعام الثلاثة، وهو عزّ شأنه وان فرض فيها النزر اليسير، وهو العشر ونصفه أو ربعه ولكن الحاصل من مجموعه الشيء الكثير، وليست فوائد هذا التشريع وهذه الاشتراكية العادلة الحرّة مقصورة على الناحية الماديّة فقط بل فيها من الفوائد الاجتماعية والتأليف بين الطبقات وتعاطف الناس بعضهم على بعض وقطع دابر الفساد والشغب فيما بينهم ما هو اوسع وانفع واجلّ واجمع فانّ فيه غرس بذور المحبة بين الغني والفقير فالغني يدفع وينفع الفقير باليسير من ماله عن طيب خطره أداء لواجبه ورغبة بطلب المثوبة من ربه والفقير يأخذ من غير مهانة ولاذلّة لأنه اخذ الحق الواجب له من مالكه وخالقه ثم اردف الزكاة بالخمس توفيراً لحق الفقراء، وتكريما للعتره الطاهرة عن تلك الفضول التي هي صدقات ونوع من الاستجداء ثم رعاية شبه الجزاء والأجر لجدّهم الأعظم فيما تحمل من عناء التبليغ واعباء اداء الرسالة

---

(١) سورة البينة آية: ٥.

(٢) سورة الاعلى آية: ١٤ ـ ١٥.

وبعد ذلك الحثّ على الانفاق عموما، وتشريع الزكاة والخمس خصوصاً هل قنعت واستكفت سعة تلك الرحمة وبليغ هاتيك الحكمة ؟

هل اكتفت للفقراء والعناية بهم بكل ذلك ؟كلّا بل فتحت فى التشريع الاسلامى باب (الكفارات) وهو باب واسع يدخل فى اكثر العبادات وغير العبادات من المحرمات وغير المحرمات، فقد مشت وفشت فريضة هذه الضريبة حتى فى الصلاة وتكثّرت فى الصوم والاعتكاف والحج والايلاء والظهار والنذر واليمين وقتل الخطأ بل والعمد وغير ذلك مما يجد المتتبع فى اكثر ابواب الفقه، وهو اطعام للفقراء تارة، وكسوة أخرى وعتق ثالثة، جمعت الشريعة الاسلامية بسعة رحمتها وعظيم حكمتها بين رعاية الفضل والعدل، وأقامت قواعد الاقتصاد والاعتدال فى بذل الأموال ولمّا ندبت وبالغت فى الحث على الانفاق فى سبيل الله، وتدرّجت فيه الى أبعد غاية الانفاق من فاضل المال وحواشيه اولاً لامن صلبه ثم المواساة والمشاطرة من صميمه ثانياً ﴿ وَ فِي أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ لِلسّٰائِلِ وَ الْمَحْرُومِ ﴾[1] ثم الايثار على النفس ثالثاً ﴿ وَ يُؤْثِرُونَ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كٰانَ بِهِمْ خَصٰاصَةٌ ﴾[2] وهذا اقصى ما يتصوّر من السخاء والكرم والردع عن رذيلة البخل والشح، وحذراً من أن تطغى هذه العاطفة فتجحف بالمال و تضرّ بالاهل والعيال، ويضطرب بها حبل المعيشة والعائلة تداركت الشريعة ذلك ودلّت هذا المملّ على المال، وقال: لاصدقة وذو رحم محتاج بل سبق ذلك كتاب الله المجيد فانّه جلّت عظمته لمّا بالغ فى دعوة الناس عموماً، والمسلمين خصوصاً الى البذل والاحسان وانفاق المال على الفقراء والمساكين فيما يزيد على سبعين آية باساليب مختلفة، وتراكيب عجيبة توجّه

---

(١) سورة المعارج آية: ٢٤ ـ ٢٥ وفى سورة الذاريات آية: ١٩ قوله تعالى: وفى أموالهم حق للسائل والمحروم.

(٢) سورة الحشر آية: ٩ (٣) سورة الاسراء آية: ٢٦ ـ ٢٧.

الكتاب الكريم الى تعديل ذلك فأمر بالاقتصاد والتدبير والاعتدال ومجانبة التبذير فقال جلّ وعلا، ﴿ وَ آتِ ذَا الْقُرْبىٰ حَقَّهُ وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ لاٰ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كٰانُوا إِخْوٰانَ الشَّيٰاطِينِ وَ كٰانَ الشَّيْطٰانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴾[1] بل زاد فقال: ﴿ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذٰا أَثْمَرَ وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصٰادِهِ وَ لاٰ تُسْرِفُوا ﴾[2] اى لاتسرفوا فى العطاء بل أوضح ذلك فى سورة الاسراء وسورة الفرقان فقال فى الاولى: ﴿ وَ لاٰ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلىٰ عُنُقِكَ وَ لاٰ تَبْسُطْهٰا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ﴾[3] وفى الثانية ﴿ وَ الَّذِينَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كٰانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَوٰاماً ﴾[4] الى كثير من أمثالها، ومن هنا كانت الشريعة الاسلامية شريعة العدل والفصل ﴿ وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنٰاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾[5] لاتدعوا الى فضيلة الّا وتقرنهابالاعتدال والعقل والتوسط (وخير الامور أوسطها) فلله شريعة الاسلام المقدسة ما أسعها وأجمعها وأمنعها وأنفعها، أفلا قائل يقول لهذا الشباب الطائش المخدوع بتلك الشيوعية الحمراء، والبلشفية السوداء ؟... أتطلبون اشتراكية أعلى وأصح من هذه الاشتراكية المنظّمة العادلة التى توسّع على الفقراء والمحاويج مايرفع حاجتهم؛ ويحفظ لأرباب الاموال والأغنياء مكانتهم وحرّيتهم، ولاتضايقهم ولا ترهقهم ولاتحرم العاملين ثمرة اتعابهم ولا تجعلهم كآلة ميكانيكية، أو كالبهائم ليس لها الا علفها ومعلفها، نعم انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء، بل الشيطان سوّل لهم وأملى لهم؛ ولعل العناية تدركهم فتردّهم الى صوب الصواب والمنهج القويم ان شاء الله تعالى.

---

(١) سورة الاسراء آية: ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) سورة الانعام آية: ١٤١.

(٣) سورة الاسراء آية: ٢٩.

(٤) سورة الفرقان آية: ٦٧.

(٥) سورة البقرة آية: ١٤٣.

۶۰

ما هي السماوات في نطق القرآن

السّماوات التى نطق بها القرآن الكريم ما حقيقتها فى الديانة المقدّسة و تطبيقها مع الأفلاك التى تقول بها الهيئة القديمة وكذا تطبيقها مع الهيئة الجديدة لا تطمئنّ به النفس وايضاً أىّ دليل دلّ صريحاً من الكتاب والسنة على كون العرش والكرسىّ شيئاً جسمانياً.

الجواب

ظاهر القرآن العزيز أنّ السماوات أجسام واجرام مبدأها دخان ﴿ **ثُمَّ اسْتَوىٰ إِلَى السَّمٰاءِ وَ هِيَ دُخٰانٌ** ﴾[1] ولعله كناية عن الغاز أو الأثير أو ما اشبه ذلك من العناصر اللطيفة الشفّافة السائلة ثم تماسكت وجمدت كما تشير اليه بعض خطب اميرالمؤمنين عليه السلام فى النهج وغيره، وهذا قريب الى ما تصوره الهيئة القديمة من الأفلاك السبعة بل التسعة من فلك الأفلاك الى فلك القمر وأنّ كل واحد منها

---

١. سورة فصلت، آية ١١.

جسم اثيريّ مستدير لا يقبل الخرق والالتئام والكوكب يعنى زحل والمشترى والمريخ وأخواتها كل واحد منها مركوز فى ثخن فلكه وفرضوا لبعضها حوائل وموائل وجوز هرات الى تمام ما هو مبسوط فى الهيئة القديمة من الحدسيات ونحوها مما اضطرّهم الى فرضه حركات تلك الكواكب السبعة ولا سيّما الخمسة المتحيّرة منها ذوات الرجوع والاقامة والاستقامة نعم ما هو الظاهر من الشرع فى السّماوات والكواكب لا ينطبق على الهيئة الحديثة بل هى قديمة ايضاً فانّها مبنيّة على الفضاء الغير المتناهى وكلّ كوكب يتحرك فى ذلك الفضاء فى مدار مخصوص ويرتسم من حركته فلك أىّ دائرة لا ينفك سيره عليها، وفرضوا شموساً ولكلّ شمس نظام من أقمار وكواكب وأراضى تدور حول شمسها أحدها بل اصغرها نظامنا الشمسى، وليس فى انكارهم للسموات بالمعنى الظاهر من الشرع دعوى اليقين بعدها بل بمعنى أنّ علمهم وبحثهم لم يوصلهم اليها وهى أىّ هذه الطريقة أسلم وأبسط من الاولى والاعتبار والآثار تدلّ عليها ولم يحتاجوا الّا الى فرض الأثير المائى لذلك الفضاء لنقل النور من كوكب الى آخر، وقد اكتشفوا بآلاتهم الرصديّة سيارات أخرى كثيرة غير السبعة المشهورة ممّالا مجال لذكرها فى هذا المقام.

وأما العرش والكرسى فليس فى الشرع كتاباً وسنة ما يدلّ صريحاً على جسمانيتهما سوى بعض اشارات طفيفة مثل قوله تعالى ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ** ﴾[1] وقوله ﴿ **عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ** ﴾[2] وهى مصروفة عن هذا الظاهر قطعاً وامّا السنّة فالأخبار كما فى السماء والعالم من البحار وغيره مختلفة اشدّ الاختلاف

---

١. سورة البقرة، آية ٢٥٥.

٢. سورة طه، آية ٥.

وفيها ما يشعر بأنّهما جسمان واكثرها صريح فى عدم الجسمية وأنهما من مقولة العلم والقدرة والملك وصفات الذات المقدسة، وبالجملة فامعان النظر في الاخبار وكلمات العلماء والمفسرين لا يزيد الا الحيرة والارتباك والذى أراه فى هذا الموضوع الدقيق والسرّ العميق والبحث المغلف بسرائر الغيب وحجب الخفاء أنّ المراد بالكرسى هو الفضاء المحيط بعالم الاجسام كلها من السّماوات والارضين والكواكب والافلاك والشموس، فانّ هذه العوالم الجسمانية بالقطع والضرورة لها فضاء يحويها ويحيط بها سواء كان ذاك الفضاء متناهياً بناءً على تناهى الأبعاد أو غير متناهى أىّ مجهول النهاية بناءاً على صحة عدد متناهى معلولات العلة الغير المتناهية، وهذا الفضاء المحيط بعوالم الاجسام هو الكرسىّ ـ وسع كرسيه السماوات والأرض ـ وهو المعبّر عنه ايضاً بلسان الشرع (بعالم الملك) تبارك الذى بيده الملك، ثم تحمل هذا الفضاء وكل ما فيه القوة المدبّرة المتصرفة فيه وليست هى من الأجسام بل نسبتها الى الاجسام نسبة الروح الى الجسم وهذه هى (العرش) الذى يحيط بالكرسى ويحمله ويدبّره ويصرّفه ويتصرّف فيه، وتقوم تلك القوة بثمانية أركان كلّ واحد متكفّل بجهة من التدبير فتحمل ذلك العرش المحيط بالكرسى وما فيه وهى حملة العرش، ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية، ولعلّ هذه الثمانية هى الصفات الثمانية: العلم والقدرة والحياة والوجود والارادة والسمع والبصر والادراك، فهى بالنظر الى نسبتها الى تدبير الاجسام والسماء والارض وما فيها (العرش الاولى) وبالنظر الى نسبتها الى الذات المقدّسة وأنّها صفات تلك الذات (العرش الاعلى) والملائكة الكروبيين، والعرش الاعلى والادنى هو عالم الملكوت ثم فوق القوة المدّبرة للاجسام عالم العقول والمجرّدات والملائكة الروحانيين وهذا هو عالم الجبروت، ثم يحيط بهذا العالم ويدّبره ويتصل به عالم الأسماء والصفات والاشراقات والتجلّيات وهو عالم اللاهوت، فانتظمت العوالم الاربعة هكذا عالم

اللاهوت ، ثمّ عالم الجبروت ، ثمّ عالم الملكوت وهو العرش ، ثمّ عـالم المـلك وهـو الكرسيّ أعنى الاجسام والجسمانيات .

أمّا أهل الهيئة القديمة من علماء المسلمين فقد جعلوا فلك الثوابت هو الكرسى ، والفلك التاسع الأطلس هو العرش ، ومهما كان الواقع فانّ كل هذه العـوالم أشـعة تلك الذات المقدّسة الأحديّة ومضافة اليها اضافة اشراقية لا مقولية وسارية تلك الحقيقة سريان العلة فى المعلول .

جمـــالك فى كــلّ الحـقائق سـائر　　　　وليس له الا جـــلالك ســاتر

الى آخر الأبيات ، وهذا البيان فى توجيه العرش والكرسى وتطبيقه على العوالم الكونية من متفرداتنا ولنا هنا مباحث دقيقة واسرار عميقة لا يتّسع لها الوقت ولا المجال ولله الحمد والمنّة على كلّ حال .

٦١

ولاية الفقيه

عموم الولاية للفقيه فى زمن الغيبة ثابت أم لا ؟ وما هو المحقّق فى ذلك .

الجواب

الولاية على الغير نفساً ، أو مالا ، أو أىّ شأن من الشئون لها ثلاث مراتب بل أربعة :

(الاولى) ولاية الله جلّ شأنه على عباده وهو المالك لهم ولما يملكون بالملك الحقيق الذاتى لا الجعلى العرضى (هنا لك الولاية لله) وهذه الولاية بدرجتها .

(الثانية) جعلا وذاتاً لرسول الله والائمة سلام الله عليهم ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ** ﴾[1] أى فضلا عن الكافرين ، وهذه الآية واسعة مطلقة بتمام السعة والاطلاق بحيث لو أنّ النبى أو الامام طلّق زوجة رجل طلقت رغماً عليه فضلا عن المال وغيره .

---

١. سورة الاحزاب ، آية ٦.

(المرتبة الثالثة) ولاية الفقيه المجتهد النائب عن الامام وهى طبعاً أضيق من الأولى، والمستفاد من مجموع الأدلة أنّ له الولاية على الشئون العامة وما يحتاج اليه نظام الهيئة الاجتماعية المشار اليه بقولهم عليهم السلام : (**مجارى الامور بايدى العلماء والعلماء ورثة الانبياء وامثالها**) وهى المعبّر عنها فى لسان المتشرعة بالامور الحسبية مثل التصرف باموال القاصرين الذين لا ولىّ لهم، والاوقاف التى لا متولى عليها، وتجهيز الاموات الذين لا ولىّ لهم، واخذ ارث من لا وارث له، وطلاق زوجة من لا ينفق على زوجته ولا يطلّقها، أو الغايب غيبة منقطعة وكثير من أمثال ذلك ممّا لابدّ منه وعدم امكان تعطيله للزوم العسر والحرج، ولعلّ من هذا الباب اقامة الحدود مع الامكان وامن الضرر، وبالجملة فالعقل والنقل يدلّ على ولاية الفقيه الجامع على مثل هذه الشئون فانّها للامام المعصوم أولاً، ثم للفقيه المجتهد ثانياً بالنيابة المجعولة بقوله عليه السلام : **وهو حجّتى عليكم، وانا حجة الله عليكم** .

۶۲

حالات اميرالمؤمنين وأوصافه عليه السلام

انّما يعرف الرجل العظيم بأعماله العظيمة ويكرم ويعظم على قدر مساعيه الكريمة ويمتازعن غيره ويرتقى على من سواه بآثاره الخالدة وعن صفاته التى هى على نفاسة ذاته شاهدة ولو أن الانسان تصفح وسبر احوال جميع من وجد فى هذا العالم من بنى آدم من الأنبياء والأصفياء والملوك والعظماء والقادة والزعماء ونظر فى حياتهم وصحيفة اعمارهم ومابقى من اخبارهم وآثارهم لم يجد واحداً فى الدهر لأميرالمؤمنين عليه السلام مساوياً لابل لايجد له مقارباً او مدانيا عدامن اعتراف هو له بالفضل وشهد له بالتقدم بل يظهر من مستجم كلمات رسول الله صلى الله عليه وآله ومستجمع ما أبان فى فضل اميرالمؤمنين عليه السلام انهما فى المزايا الذاتية سيّان وفى حقيقة الشرف الجوهرى عدلان متوازيان وان اختلفا فى شرف المنصب من حيث النبوة والامامة الذى لايرجع الى تفاوت فى الكمالات الذاتية والفضايل الكسبيه وانما هو نص واختيار وتلجئة واضطرار بل فى بعض كلمات النبى صلى الله عليه وآله ما هو نص بانه لااحد اعظم منزلة عندالله سبحانه من على عليه السلام وهو كثير.

فمنه ما فى كلام لاميرالمؤمنين عليه السلام وقد تكرر منه ذلك بعبارات مختلفة حيث

يقول «انا من رسول الله ﷺ كالعضد من المنكب وكالذراع من العضد وكالكف من الذراع ربّانى صغيراً وآخانى كبيراً وقد علمتم انى كان لى منه مجلس سرّ لايطلع عليه غيرى واوصى الى دون اصحابه واهل بيته ولاقولن ما لم اقله لاحد قبل هذا اليوم سألته مرّة ان يدعولى بالمغفرة فقال : افعل ثم قام فصلى فلما رفع يده بالدعاء استمعت اليه ، فاذا هو قائل : اللهم بحق عليٍّ عندك اغفر لعلي فقلت يا رسول الله : ما هذا الدعاء ؟ فقال : أو أحد اكرم منك عليه فاستشفع به اليه » .

ولاغرو ولاعجب بعد الوقوف على السبب ، فانك اذا نظرت الى أيّ حال من احواله وصفة من صفاته بل الى كل واحد من اعماله تجدها خارجة عن الطاقة البشرية وممّا يعجز عنها ولم يتهيأ مثلها لأكابر اولى العزم من الرسل فضلا عن غيرهم ، فاذا نظرت مثلا الى شجاعته وحدها او الى بلاغته مع قطع النظر عن غيرها وجدتها بالغة الاعجاز ومترفعة عن الطراز البشرى والطبع الانسانى بحيث لو أن رجلاً تخلّص للشجاعة والفراسة والقراعة والمجالدة مدة عمره بحيث لم يعان مهنة سواها ولاتعاطى حرفة غيرها ، ثم برزمنه تلك البسالة الباهرة والشجاعة القاهرة لكانت موضع الحيرة والدهشة وموضع العجب والعجب ، فكيف بك لوضممت بعض تلك الصفات الى بعض على تضادها وتنافرها غالباً ، فان الشجاع لايكون حليما والحليم لايكون جسوراً والجسور لايكون زاهداً والزاهد المتعبد لايكون عارفاً حكيما والحكيم العارف لايكون فيلسوفا والفيلسوف لايكون متقشّفا والمتقشف لايكون بشوشا مداعبا وهكذا وهو سلام الله عليه قد جمع كل تلك الصفات والمحامد بل كان فى كل صفة هو فردها الاكمل ومظهرها الاتم الذى يضرب به المثل وله العل منها والنهل فليس له فى الشجاعة ثانى ولا فى البلاغة مدانى ولا فى العلم مقارب ولا فى الحلم مناسب وهكذا.

انظر وعمق الفكر والنظر فى ادنى الصفات وانزل المقامات وهو مقام زهده فى

الدنيا واحتقاره لها وشطف عيشه وجشوبة مأكله وخشونة ملبسه ثمّ قس ذلك الى شجاعته وبسالته وقوّة عضده وساعده وانظر هل يمكن عادة ان يعطى ذلك الغذاء تلك القوّة وينمو عليه ذلك الجسد هنالك تستيقن أن القوة الهية والتربية ملكوتية وانه صلوات الله عليه متصل بعالم الغيب بلاريب كما قال هو صلوات الله عليه والله ما قلعت باب خيبر ولادككت حصن يهود بقوة جسمانية ولكن بقوة الهية.

وكيف يمكن فى العادة أن غلاما ابن احدى او اثنى عشرين سنة يقلع بابا يعجز عن حمله أربعون رجلاً.

أما طعامه وقوته فقد تظافر الخبر عنه بل تواتر يجد كل ناظر فى تفاريق كتب التاريخ ومجاميع الاخبار ففى كتاب «نثر الدر للوزير الآبى» قال الاحنف: دخلت على معاوية فقدّم لى من الحار والبارد الحلو والحامض ما كثر تعجبى منه، ثم قدّم لى لونا لم أدر ما هو فقلت ما هذا؟ فقال: مصارين البط محشوّة بالمخ قد قلبت بدهن الفستق وذرّ عليها بالطبرزد فبكيت فقال:

مايبكيك؟ قلت: ذكرت عليا عليه السلام بينا انا عنده وقد حضر وقت افطاره وطعامه وسئلنى المقام اذ دعا فجئ له بجراب مختوم فقلت: سيدى ما فى الجراب؟ قال: سويق شعير قلت: خفت عليه أن يؤخذ أو بخلت به؟ فقال: لا ولا احدهما ولكن خفت ان يلثه الحسن اوالحسين بسمن اوزيت. قلت: محرّم هو يا اميرالمؤمنين عليه السلام؟ فقال: لاولكن يجب على أئمة الحق أن يعتدوا أنفسهم من ضعفة الناس لئلّا يطغى الفقير فقره، فقال معاوية: ذكرت من لاينكر فضله[1] انتهى.

---

(١) واشكال بعض القاصرين عن درك الحقائق على هذه القصة بانه: هل كان الحسن والحسين عليهما السلام لاينتهيان بنهى أميرالمؤمنين عليه السلام: بعدم ادخال سمن أوزيت على الجراب حتى كان عليه السلام يختمه خوفا منهما؟ = لاوجه له فانه اشكال فاسد اذ ليس فى القصة ان اميرالمؤمنين عليه السلام نهاهما عن ذلك ولم يصدر

←

وقد تكرر هذا المضمون باساليب متنوعة والظاهر انه عن وقايع متعددة ففي المجموعة بسنده عن عدى ابن حاتم الطائى رحمه الله انه دخل على على بن ابيطالب سلام الله عليه فى بعض مقاماته بصفّين عشاء قال: فلقيناه واذا بين يديه شنة فيها ماء قراح وكسيرات من خبز شعير وملح ثم قال: فقال له عدى: انى لارثى لك يا اميرالمؤمنين انك لتظلّ نهارك طاوياً مجاهداً وليلك ساهراً مكابداً ثم يكون هذا فطورك فرفع رأسه سلام الله عليه وقال: ياعدى الغنى فى النفوس والفقر فيها وصلّى الله على محمّد و آله الطاهرين.

← نهى عنه عليه السلام فى حقهما وانما كان يخاف منهما من ادخال سمن أوزيت على الجراب اشفاقاً منهما عليهما السلام على أبيهما وتلطفاً ورحمة منهما على صلوات الله عليه ولم يكن فى ادخال سمن أوزيت عليه حرمة أو كراهة بل كان أميرالمؤمنين عليه السلام امام عدل وحجة حق يسير فى سيرته سيرة ائمة الحق كما قال عليه السلام: **يجب على أئمة الحق أن يعتدوا...** وكان عليه السلام فى جانب عظيم من النفرة عن صفات الملوك الجبابرة حتى فى مأكله ومشربه. فصلوات الله وسلامه عليه وقد أسس دولة عدل لم يتيسر لأحد من الأقوام فى الدنيا الى اليوم تأسيس مثلها ومن الجدير ان نفتخر نحن الشيعة بذلك ونقيم لأجلها حفلات.

۶۳

مولد أميرالمؤمنين عليه السلام

فى كشف الغمة عن يـزيد بـن قـعنب ـقـال كـنت جـالساً مـع العـباس بـن عبدالمطلب(ض) وفريق من بنى عبدالعزّى ـبازاء بيت الله الحرام اذ اقبلت فاطمة بنت أسد أم أميرالمؤمنين عليه السلام حاملاً به لتسعة أشهـر وقد أخذها الطلق. فـقالت: يارب انى مؤمنة بك وبما جاء من عندك من كتب ورسل وانى مصدّقة بكلام جدى ابراهيم الخليل عليه السلام وانه بنى البيت العتيق فبحقّ البيت ومن بناه وبحق المولود الذى فى بطنى الّا مايسّرت علىٰ ولادتى.

قال يزيد بن قعنب: فرأيت البيت قد انشقّ عن ظـهره ودخـلت فـاطمة فـيه وغابت عن أبصارنا وعاد الى حاله فرمنا أن ينفتح لنا قفل البـاب فـلم يـنفتح، فعلمنا ان ذلك من أمرالله تعالى.

ثمّ خرجت فى اليوم الرابع وعلى يدها «على بن أبى طالب» ثم قالت: انى فضّلت على من تقدّمنى من النساء لأنّ آسية بنت مزاحم عبدت الله سرّاً فى موضع لايحب أن يعبدالله فيه الا اضطراراً وأنّ مريم بنت عمران هزّت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنيّاً. وانى دخلت البيت الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها،

فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف وقال: يا فاطمة سمّيه علياً فهو عليٌّ، والله العلي الأعلى يقول: شققت اسمه من اسمي وأدبته بآدابي وأوقفته على غامض علمي وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذّن على ظهر بيتي ويقدّسني ويمجّدني فطوبى لمن أحبّه وأطاعه و ويل لمن ابغضه وعصاه.

ــ قالت فاطمة سلام الله عليها: ولدت علياً ولرسول الله ﷺ ثلاثون سنة وأحبّه رسول الله ﷺ حباً شديداً، وقال: اجعلي مهده قرب فراشي وكان ﷺ يلي اكثر تربيته، وكان يطهّر علياً في وقت غسله ويوجره اللبن عند شربه ويحرك مهده عند نومه ويناغيه في يقظته ويحمله على صدره ويقول هذا أخي و وصيي وناصري وصفيّي وذخري وصهري وزوج كريمتي وخليفتي على أمتي وكان يحمله دائماً ويطوف به جبال مكة وشعابها وأوديتها وفجاجها فصلّى الله على الحامل والمحمول.

أقول: اتّفقت رواية الفريقين المؤالف والمخالف على انه سلام الله عليه ولد في الكعبة وأنّها من المزايا التي اختصّه الله بها فلم تكن لأحد بعده.

ولكن لم يبحث أحد من العلماء الراسخين عن سرّ هذا الرمز الالٰهي والايماء الربوبي، ولعلّه اشارة الىٰ ما بينه وبين الكعبة من المناسبة، فكما ان الصلاة لاتقبل ولاتصحّ الا بالتوجه اليه، فكذلك الاعمال كلها لاتقبل الّا بالتوجه اليه، والاعتماد على الأخذ منه ومن ذريته والتقرب الى الله بولايتهم و ولايته.

فهم كعبة الارواح وهو كعبة الاشباح، وهم كعبة الاسرار والمعاني وهو كعبة الظواهر والمباني وهم كعبة المعارف واللطائف وهو كعبة العاكف والطائف، والغاية أن تولده سلام الله عليه في الكعبة اشارة الى أنه هو سرّ شرف الكعبة وروح معناها وجوهر حقيقتها.

ولعل الحق جلّ شأنه انما شرفها في عالم الأزل لسابق علمه الأزلي بأنّها ستكون مهبط ذلك النور الأقدم ومحطّ ذلك التجلّي الأعظم وموضع بزوغ ذاك القبس

الآلهى والعلم الغير المتناهى، ويشير الى هذا ماهو المشهور من حديث: مفاخرة كربلاء والكعبة الذى صدع وسطع منه النداء الربوبى الكعبة قرى ياكعبة وتطامنى فلولا كربلاء ومن حل فيها لما خلقتك ولا شرفتك... الى آخر الحديث.

والا فليست الكعبة ولا المشاعر ولا البيت ولا الحجر ولا المروة ولا الصفا لولا طلوع تلك الأنوار منها وسطوع هاتيك الاقمار الربوبية عنها الاكسائر الأماكن والبقاع وحقّاً ما يقول القائل من أعمامنا:[١]

هم كعبة البيت ومن هم	هم عرفات والصفا وزمزم
ما الركن ما الكعبة ما المشاعر	هم باطن الامر وهذا الظاهر

وعلى هذا فيكون التعليل معكوساً ولاينبغى أن يقال: ما سرّ تولد أميرالمؤمنين عليه السلام فى الكعبة؟ وهو تولّده فيها، فتدبّر وبالله التوفيق وله المنة والحمدلله رب العالمين.

---

(١) هو العلامة الفقيه الشيخ عباس بن المرحوم الفقيه المتضلع الشيخ حسن صاحب انوار الفقاهة بن الشيخ الاكبر الشيخ جعفر كاشف الغطاء ولد عليه الرحمة سنة: (١٢٥٣) هقبل وفات أبيه بعشر سنين ونقلناه عن خطه الشريف ونقل هذه الابيات ايضاً لجده رحمه الله تعالى:

وليس لى كهف اليه التجى	الا ولائى للهدات الحجج
محمّد وصهره وولده	بهم نجى آدم لا فى ورده
وديعة الله المليك المنعم	عليهم بعد الصلاة سلم
ذخيرة المعاد حصن الملتجى	سفينة النجاة باب الفرج
تجاوزو سمك سماء الحجب	وقتربوا للرب بالتقرب
وكعبة البيت هم ومن هم	هم عرفات والصفا والحرم
والحجر الاسود والمقام	وزمزم والمشعر الحرام
هيهات ما المنسك ما المشاعر	هم باطن الامر وذاك الظاهر
ما البيت ما الاستار ما أركانه	هم قبلة البيت وهم أمانه

٦٤

احوال الامام موسى بن جعفر عليه‌السلام

روى الأفاضل الثقات عن الشيخ المفيد رضوان الله عليه فى الاختصاص قال قال ابوالحسن موسى بن جعفر عليهما‌السلام : لما امر هارون الرشيد بحملى دخلت عليه فسلّمت فلم يرد علىّ السلام ورأيته مغضبا فرمى الىّ بطومار فقال : اقرأه فاذا فيه كلام قد علم عزوجل برائتى منه وفيه ان موسى بن جعفر عليه‌السلام يجبى اليه خراج الآفاق من غلاة الشيعة ممّن يقول بامامته يدينون الله بذلك عليهم الى أن يرث الله الأرض و من عليها ويزعمون أنه فرض يذهب اليه بالعشر ولم يصل بامامتهم ولم يحجّ باذنهم ويجاهد بامرهم ويحمل الغنيمة اليهم ويفضّل الائمة على جميع الخلق ويفرض طاعتهم مثل طاعة الله ورسوله فهو كافر حلال دمه وماله وفيه كلام شناعة مثل المتعة بلاشهود واستحلال الفروج ولو بدرهم والبرائة من السلف ويلعنون عليهم فى صلاتهم ويزعمون ان من لم يتبرء منهم فقد بانت منه امرأته والكتاب طويل واناقائم أقرء وهو ساكت فرفع رأسه وقال : يا موسى خليفتان يجبى اليهما الخراج ؟ فقلت : يا اميرالمؤمنين أعيذك الله ان تبوء باثمى واثمك وتقبل الباطل من اعدائنا علينا فانه كذب علينا منذقبض رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله والذي بعث

محمّداً بالنبوة ما حمل الىّ أحد درهما ولا ديناراً من طريق الخراج كلّنا معاشر آل أبي طالب نقبل الهدية التى احلها الله لنبيه ﷺ فى قوله : لواهدى الىّ كراع لقبلت ، ولو دعيت الى ذراع لأجبت ، وقد علم اميرالمؤمنين ضيق ما نحن فيه وكثرة عدوّنا وما منعنا السلف من الخمس الذى نطق لنا به الكتاب فضاق بنا الأمر ورحمت علينا الصدقة فاضطررنا الى قبول الهدية وكل ذلك ممّا علمه اميرالمؤمنين فان رأيت بقرابتك من رسول الله ان تأذن لى احدثك بحديث اخبرنى به ابى عن آبائه عن جدى رسول الله فقال اذنت لك فقلت اخبرنى عن آبائه عن جدى رسول الله انه قال : ان الرحم اذا مسّت الرحم تحركت واضطربت فناولنى يدك جعلنى الله فداك ، فقال : ادنو فدنوت منه فأخذ بيدى ثم جذبنى الى نفسه وعانقنى طويلاثم تركنى وقد دمعت عيناه فقال : اجلس يا موسى فليس عليك بأس صدقت وصدق جدّك لقد تحرّك دمى واضطربت عروقى وغلبت علىّ الرقة حتى فاضت عيناى واعلم انك لحمى ودمى ان الذى حدثتنى به صحيح و انا اريدان اسئلك عن أشياء تتلجلج فى صدرى منذحين لم اسئل عنها احداً فان اجبتنى عنها خلّيت عنك ولم اقبل قول أحد فيك وقد بلغنى انك لم تكذب قط فاصدقنى عما اسئلك فقلت ما كان علمه عندى فانى مخبرك به ان آمنتنى قال : لك الامان ان صدقتنى وتركت التقيّة التى تعرفون بها بنى فاطمة فقلت ليسأل اميرالمؤمنين عمّا شاء .

قال : اخبرنى لم فضّلتم علينا ونحن وانتم من شجرة واحدة وبنو عبدالمطلب سواء أنتم بنو ابى طالب ونحن بنى العباس وهما عما رسول الله وقرابتهما منه سواء ؟ فقلت : نحن اقرب ، قال وكيف ذلك ؟ قلت : لان ابا طالب وعبدالله لأم وأب وابوكم العباس ليس من ام عبدالله ، قال : ولم ادعيتم انكم ورثتم النبى ﷺ ؟ والعلم يحجب ابن العم وقبض رسول الله ﷺ وقد توفى ابوطالب قبله والعباس عمّه حى فقلت له : ان رأى اميرالمؤمنين أن يعفينى من هذه المسألة ويسئلنى عن كلّ باب

سواه، فقال: لا أو تجيب؟ فقلت: فآمنى قال: قد آمنتك قبل الكلام، فقلت: ان فى قول على بن ابيطالب عليه السلام انه ليس مع ولد الصلب ذكرا كان او انثى لاحد سهم الا للأبوين والزوج والزوجة ولم يثبت مع ولد الصلب للعم ميراث ولم ينطق به الكتاب الّا أنّ تيماً وعديا وبنى امية قالوا: العم والد رأيا منهم بلاحقيقة ولا اثر عن النبى صلى الله عليه وآله ومن قال بقول على عليه السلام من العلماء قضايا هم خلاف قضايا هؤلاء هذا نوح بن درّاج يقول فى هذه المسألة بقول على عليه السلام وقد حكم به وقد ولاه اميرالمؤمنين المصرين البصرة والكوفة وقد قضى به فانتهى الى اميرالمؤمنين فامر باحضاره واحضار من يقول بخلاف قوله منهم سفيان الثورى وابراهيم المدنى والفضيل بن عباس فشهدوا انه قول علىّ فى هذه المسألة فقال لهم: لم لاتفتون به وقد قضى به نوح بن درّاج؟ فقال: جسر نوح وجبنا وقد امضى اميرالمؤمنين قضية بقول قدماء العامة عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال: اقضاكم علىّ وكذلك قال عمر بن الخطاب: علىّ اقضانا وهو اسم جامع لان جميع ما مدح به النبى صلى الله عليه وآله اصحابه من الفرايض والقرائة والعلم داخل فى القضاء فقال زدنى يا موسى، قلت: المجالس بالأمانات وخاصّة مجلسك، فقال: لاباس عليك فقلت: ان النبى صلى الله عليه وآله لم يورث من لم يهاجر ولا اثبت له ولاية حتى يهاجر فقال ما حجّتك؟ قلت: قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا ﴾ وانّ عمى العباس قدر على الهجرة ولم يهاجر وكان فى عدد الاسارى ببدر وجحد ان يكون له قدرة على الفداء، فانزل الله تبارك وتعالى على النبى صلى الله عليه وآله يخبره بدفين له من ذهب فبعث عليّا فاخرجه من عند ام الفضل واخبر العباس بما اخبره جبرئيل فاذن بعلى واعطاه علامة مادفن فقال العباس عند ذلك: يابن اخى ما فاتنى والله منك اكثر واشهدانك رسول رب العالمين فلمّا احضر على عليه السلام الذهب قال العباس افقرتنى يابن اخى فانزل الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ

فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنكُمْ ﴾ . فقال لى : اسئلك ياموسى هل افتيت بذلك احداً من أعدائنا او الفقهاء ؟ فقلت : اللهم لا وما سئلنى عنها الا اميرالمؤمنين ثم قال لم جوّزتم للعامة والخاصة أن ينسبوكم الى رسول الله ويقولون لكم يابن رسول الله وانتم بنو على وانما ينسب المرء الى ابيه وفاطمة هى وعاء والنبى جدكم من قبل أمكم ؟ فقلت : يا اميرالمؤمنين لو انّ النبى صلى الله عليه وآله نشر فخطب اليك كريمتك هل كنت تجيبه ؟ فقال : سبحان الله ولم لااجيبه بل افتخر على العرب والعجم وقريش بذلك ، فقلت : ولكنه لايخطب الىّ ولا ازوجه ، فقال : ولم ؟ فقلت : لأنه ولدنى ولم يلدك ، فقال : احسنت يا موسى فكيف قلتم انّا ذرية النبى والنبى ولم يعقّب وانما العقب للذكر لا الانثى وانتم ولد الابنة ؟ فقلت : اسئلك بحق القرابة والقبر ومن فيه الا اعفيتنى من هذه المسألة ، فقال : لا اوتخبرنى بحجتكم فيه يا ولد على وانت يا موسى يعسوبهم وامام زمانهم ولست اعفيك عن كل ما اسئلك حتى تأتينى فيه بالحجة من كتاب الله فانتم تدعون معشر ولد علىّ انه لا يسقط عنكم منه شيء الف ولا واو الا وتأويله عندكم واحتججتم بقوله تعالى : ما فرطنا فى الكتاب من شيء وقد استغنيتم عن راى العلماء وقياسهم ؟ فقلت : تأذن لى فى الجواب ؟ قال : هات فقلت :

بسم الله الرحمن الرحيم ومن ذريته داود وسليمان وايوب الى قوله وعيسى ... من أب عيسى يا اميرالمؤمنين ؟ فقال : ليس لعيسى اب ، فقلت : انما الحقناه بذرارى الانبياء من قبل مريم عليها السلام وكذلك انما الحقنا بالنبى صلى الله عليه وآله من قبل فاطمة عليها السلام فقال : احسنت احسنت ياموسى فزدنى من مثله فقلت : وقد اجمعت الأمة برّها وفاجرها ان حديث النجرانى حين دعاه النبى صلى الله عليه وآله الى المباهلة لم يكن فى الكساء الا رسول الله وعلى وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال الله تعالى **﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا**

وَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ فكان تأويل ابنائنا الحسن والحسين، فقال: احسنت ارفع الىّ حوائجك، فقلت: حاجتى ان تأذن لى فى الانصراف الى أهلى فانى تركتهم باكين آيسين من ان يرونى، فقال: مأذون لك اردد.

وهكذا كان دأب ذلك الطاغية مع الامام عليه السلام لايزال يناظره ويجادله والامام يصانعه ويجامله، يكاتمه مرة ويكاشفه اخرى ويحاشيه طوراً ويعايشه طوراً وكان هارون كأنه يريد بتلك المطارحات والمنافحات ان يستطلع مكنون الحقيقة من الامام ويستجلى مخبئات الاسرار ويتعرّف ما عند ابى الحسن سلام الله عليه فى أمر الامامة والخلافة وانه هل يرى فى نفسه ردائه المستلب وحقه المغتصب وهل فى أنفس آل على عليه السلام نزوع بعد اليها وعزيمة نهوض اليها ام طابت وتطامنت انفسهم عنها وتخلّت عزائهم منها، فكان الامام عليه السلام يتجافى عن ذلك ما استطاع وعدد امر لايفسح له فى ذلك ويابى الا ان يصارحه بالحقيقة ولايقنع منه الا بمخ الصواب، فاضطر الامام الى ان فلق عليه من الحجج البالغة بل الصواعق الدامغة ما يضيق الدنيا فى عينه ويصغر عظمة ملكه وسلطانه ويجعله فى اضيق من الحبوس التى حبس الامام فيها اخيراً مستشيراً حيث يوضح له عيانا حجة وبرهانا انه غاصب ظالم ومخلد فى العذاب الدائم وكل تلك المساجلات كان الغرض منها التوصل الى تلك الخفايا والوقوف على هاتيك الثنايا ولكن الغوى الرشيد والجبار العنيد عرف بعدان سئل الامام تلك المسائل التى ادلى سلام الله عليه فيها بالحجج وأوضح المنهج واخذ بالفلج انه لوصارحه بامر الامامة وقال له فمن اين جائتكم الامامة وصرتم اوصياء رسول الله ورسول الله لم يوص الى احد وانما الامامة باجماع اهل الحل والعقد وما أشبه هذا من مزخرفاتهم عرف انه لوسئله عن ذلك لالقمه الامام حجراً ولواه من الفشل والخزى ما يودّ معه لو نبذ بالعرا فلهذا قطع الكلام و وقف دون الغاية وقال فى نفسه يقينا حسبنا منك يا اباالحسن ما لقينا ولكن الامام

سلام الله عليه اتماماً للحجة وقطعا للمعاذير كان يصارحـه بجـواب ذلك السـؤال المقدر ويرميه بأم الصدر ويجرعه العلاقم، فقدروى اثبات الفـريقين مـن العـامة والخاصة حتى رواه الزمخشرى فى ربيع الابرار قال: ان الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر عليه السلام حدّلى فدك حتى أردها اليك فيأبى حتى الحّ عليه.

أقول وكأنه سلام الله عليه أراد أن يدله على ان فدك ليست هى تلك النخيلات التى بيثرب وانما هى الملك والسلطان الذى انت فيه وغاصب لنـا بـه، فـقال: لا أحدها الا بحدودها قال: وما حدودها؟ قال: ان حددتها لم تردها وكان الطاغية أحس فاخذ يلح على الامام ليستطلع طلع الحقيقة ويستجلى مخبأة السريرة، فقال للامام: بحق جدّك الا فعلت قال: اما الحد الاول فعدن فتغير وجه الرشيد وقال: الحدّ الثانى سمرقند فاربد وجهه وقال: الحد الثالث افريقيه فاسود وجهه وقـال: هبه قال: والرابع سيف البحر ممايلى حرزا ارمنية فقال الرشيد: فلم يبق لنـا شىء فتحول الى مجلسى؟ قال موسى عليه السلام قد اعلمتك اننى ان حددتها لم تـردها. وانت تعلم ان مثل هارون فى طاغوته وجبروته وحرصه على الملك الى اين يبلغ الغيظ والحنق به على من يبدى صفحته له قائلا انى انا احق منك بالملك واولى بالامامة والولاية وانت غاصب ظالم وهو الذى اباد البرامكة واستأصلهم وهم اعزّ الخلق عليه على الظنّة وتوهم انه ربما يغلبونه او يتغلبون على ولده من بعده ولذلك لما سمع ذلك الكلام من الامام صمّم الغريمة على اتلافه كما صنع اسلافه باسلافه وقال رواة ذلك الحديث فعندها عزم على قتله ومن تلك المحـاورات وامـثالها يـعرف مـعنى ماشاع عنهم سلام الله عليهم من انّ الحق يعلو ولايعلى عليه يعنى ان الحق يـعلو بالحجة والبرهان ان كان الباطل طالما يعلو على الحق بالغلبة والسلطان فان الائمة على ذكرهم السلام مازالو يقهرون اعدائهم بالحجج الباهرة والايات القاهرة ولكن اعدائهم يقهرونهم عـلى نـاموس ردالفـعل بـالمثل فـيرمونهم بـامهات المـهالك

يحطّمونهم حطما طحنوهم طحن الرحا وداسوهم دوس السنبل خطما خضما قتلا وسما وشنقا ومحقا ارهاقا وازهاقا واعتقالا واحراقا.

لما راى هارون ان لسان الامام على ذكره السلام اشد عليه من مأة الف سيف اراد ان يقتله بان يسجنه ويعتقله ليشفى ألم غيظه منه اولاً ويقطع سبيل وصول الناس اليه ثانياً كى لاتثور ثائرتهم وتعظم عليه بليتهم فزج الامام بسجن لايرى فيه أديم السماء ولا يبرد اليه بريد الهواء ولكن كل ذلك ما برّلوعة غيظه ولااطفى نار حقده ولم يجد ما يبرد أواره ويبلغه من الامام او تاره الاّ جرعة السم فى الرطب فنال فرعون ببغيه وسلطانه ما اراد من موسى زمانه وكذلك ما تركت تلك الامة التعيسة وفراعنتهم نوعاً من انواع العسف والجور والعذاب الاليم الا وقلبت اهل البيت على جمرة ساجور ومكنت زعماء الطاغوت حتى شفى من روح الايمان غليل كفره.

ففى بعض زياراتهم الجامعة المفجعة: ياموالى فلوعاينكم المصطفى وسهام الأمّة مغرقة فى اكبادكم ورماحهم مشرعة فى نحوركم وسيوفهم مولغة فى دمائكم يشفى ابناء العواهر والزوانى غليل الفسق من ورعكم وغيظ الكفر من ايمانكم وانتم بين صريع فى المحراب قد فلق السيف هامته وشهيد فوق الجنازة قد شكّت بالسهام اكفانه وقتيل بالعراء قد رفع فوق القناة رأسه ومكبّل فى السجن قد رضت بالحديد اعضائه ومسموم قد قطعت بجرع السم امعاؤه وشملكم عباديد تفنيهم العنيد وابناء العبيد والمكبل فى السجن المرضوضة بالحديد اعضائه المقطع بجرع السم امعائه، هم الامام موسى بن جعفر صلوات الله عليه وانّ جنازته اخرجت مع سلاسل السجن وللحديد حشخة فى رجله فهل المحن يا سادتى الا التى لزمتكم والمصائب الا التى عمّتكم والفجائع الا التى خصّتكم والقوارع الا التى طرقتكم، فصلوات الله عليكم وعلى ارواحكم واجسادكم و رحمة الله وبركاته.

۶۵

وفات الامام موسى الكاظم عليه السلام

قال الخطيب البغدادى هو من أعاظم علماء العامّة وثقات المؤرخين وقدمائهم فى تاريخ بغداد ونقله عنه ابن خلّكان فى كتابه[1] قال كان موسى يدعى العبد الصالح من شدّة عبادته واجتهاده روى انه دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فسجد سجدة فى اوّل الليل فسمع وهو يقول: **عظم الذنب من عندى فليحسن العفو من عندك يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة**. فجعل يردّدها حتى أصبح وكان سخيّا كريماً وصفوها حليماً، فكان يبلغه عن الرجل انه يأذيه فيبعث اليه بصرة فيها ألف دينار، ثم يزداد فى اكرامه وكان يصرّ الصرر ثلثمأة دينار واربعمأة دينار ومأتى دينار ثم يقسمها بالمدينة انتهى.

اقول: وقد عاصر سلام الله عليه أربعة من خلفاء الجور أواخر المنصور ثم المهدى ثم الهادى ثم هارون الرشيد وكلّهم تصدى لقتله وايذائه وأبدى صفحته لهتكه وظلمه قال الخطيب: كان موسى عليه السلام يسكن المدينة فاقدمه المهدى بغداد،

---

(۱) انظر، ج ٤ ص ۳۹۳ ط مصر.

فحبسه فرأى فى النوم على ابن ابيطالب عليه‌السلام وهو يقول: **يا محمّد هل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم**. قال الربيع: فارسل الىَّ ليلاً فراعنى ذلك فجئته فاذا هو يقرء هذه الاية وكان أحسن الناس صوتاً وقال: علىَّ بموسى بن جعفر فجئته به يعنى من الحبس فقام له وعانقه واجلسه الى جانبه وقال: يا ابا الحسن عليه‌السلام انى رأيت أميرالمومنين عليه‌السلام فى النوم يقرء علىَّ كذا فتؤمننى ان تخرج علىّ او على أحد من أولادى فقال: والله لافعلت ذلك ولا هو من شأنى قال: صدقت أعطه ثلاثة الاف دينار وردّه الى أهله بالمدينة قال الربيع: فاحكمت أمره ليلاً فما أصبح الّا وهو فى الطريق خوف العوائق.

اقول: ولم يزل صلوات الله عليه مدة خلافة المهدى والهادى والرشيد يحبس تارة ويطلق أخرى ويعرض على القتل مرّة ويعفى عنه مرة اخرى وحتى ان الخبيث الهادى مازال يهدّده قتله يحلف بالايمان المغلّظة على قتله ولما قتل سادات «فخ» ورئيسهم الحسين بن على من اولاد الحسن عليه‌السلام وحمل رأسه اليه مع الأسرى من أصحابه جعل يأبخهم وينال من الطالبين الى ان ذكر موسى بن جعفر عليه‌السلام فقال والله ماخرج حسين الّا عن أمره ولا اتبع الارأيه لانه صاحب الوصية فى اهل هذا البيت قتلنى الله ان ابقيت عليه، ثم حبسه وعزم على قتله فحال الله سبحانه بينه وبين ما أراد وهلك بعد سنتين من خلافته، ثم انتقل الامر الى الغوى العنيد هارون الرشيد وكان هو من اعراف الناس بمنزلة الامام موسى عليه‌السلام ومعجزاته وباهر كراماته حتى ان ولده المأمون كان يقول: انما تعلّمت التشيع من والدى الرشيد فى حديث طويل وكان يعتقد بامامته ويعتمد على حديثه وانه واقع لامحالة.

وقد ذكر جماعة من المؤرخين منهم الدميرى فى حياة الحيوان من الأصمعى انه دخل على هارون فاحضر له ولديه الامين والمأمون قال فاقبلا كانه قمرا أفق ثم أمرنى بمطارحتهما الأدب فكنت لا ألق عليهما شيئاً من فنون الأدب الا أجابا فيه

وأصابا قال: فكيف ترى ادبهما؟ قلت: يا اميرالمؤمنين ما رأيت مثلهما في ذكائهما وجودة فهمهما فضمهما الى صدره وسبقته عبرته فبكى حتى تحادرت دموعه على لحيته ثم امرهما بالانصراف فانصرفا، فلما خرجا قال لي يا اصمعي كيف بهما اذا ظهر تعاديهما وبدأ تباغضهما و وقع بأسهما بينهما حتى نسفك الدماء و يودّ كثير من الأحياء انهم كانوا موتى؟ قلت يا اميرالمؤمنين: هذا شيء قضى به المنجّمون عند ولادتهما؟ أو شيء اثرته العلمأ في امرهما؟ قال: لابل شيء اثرته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء في امرهما.

وكان المأمون في ايام خلافته بعد قتل أخيه وسلبه ملكه يقول: كان الرشيد سمع جميع ماجرى بيننا عن موسى بن جعفر عليه السلام ومع هذا فقد كان كثيراً ما يقول له اذا اجتمع بالامام: يا موسى اني قاتلك لامحالة فيقول له الامام عليه السلام: لاتفعل يا أميرالمؤمنين فاني سمعت عن ابي عن جدي ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: ان الرجل يهمّ أن يصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين فيمدها الله الى ثلاثين وقديهمّ بقطع رحمه ويكون بقي من عمره ثلاثون سنة فينقصها الله الى ثلاث سنين.

ولم يزل ينقله من سجن الى سجن وذلك ان الرشيد حجّ في أوائل خلافته ودخل المدينة فبدء بقبر النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله اني أعتذر اليك من شيء اني أريد ان أحبس موسى بن جعفر عليه السلام فانه يريد التشتّت بين أمّتك وسفك دمائها ثم أمر بالامام عليه السلام فأخذ من المسجد وهو قائم يصلّي، فقطعوا عليه صلاته وحمل وهو يبكي ويقول: اليك اشكو يا رسول الله ما القى واقبل الناس من كل جانب يبكون ويصحيون، فلما أوقف بين يديّ الرشيد شتمه وجفاه، ثم أمر به فقيّد واخرج من داره بغلان عليهما قبتان مغطاتان الامام في احديهما ووجّه مع كل واحدة خيلان فاخذ بواحدة على طريق البصرة والأخرى على طريق الكوفة ليعمى على الناس أمره وكان في القبّة التي توجّهت الى البصرة وامر الرسول ان يسلّمه الى عيسى

ابن جعفر بن المنصور وكان والياً على البصرة حينئذ، فقدم بـه حسـان السروى ودفعه الى عيسى بن ابى جعفر نهاراً علانية حتى عرف ذلك وشاع خبره، فحبسه عيسى فى بيت من بيوت المحبس الذى كان يحبس الناس فيه واقفل عليه وشغله عنه العيد، فكان لايفتح عنه الباب الّا فى حالتين حال يخرج فيها الى الطهور وحال يدخل اليه فيها الطعام.

فلما مضت عليه سنة كاملة على ذلك كتب عيسى الى الرشيد ان خذه منى وسلّمه الى من شئت والّا خليت سبيله فقد اجتهدت ان اجد عليه حجة فما قدرت على ذلك حتى انى لأتسّمع عليه اذا دعا لعلّه يدعو علىّ او عليك فما اسمعه يدعو الّا لنفسه بالمغفرة والرحمة، فوجّه من تسلّمه منه واتى بـه الى بغداد وحبسه عند الفضل بـن الربيع فبقى عنده مدة طويلة فاراده الرشيد على شئ من أمره يعنى على قتله فابى وكان يظهر له عليه السلام فى الحبس من الدلايل والآيات والمعجزات ما شاع حتى بلغ الرشيد واقلقه ذلك وتحيّر فى امره فدعا يحيى بن خالد البر مكى فقال له: يا اباعلى ما ترى ما نحن فيه من هذه العجائب وما نلاقى من موسى بن جعفر ألا تدبّر فى أمر هـذا الرجل تدبيراً تريحنا من غمّه فقال له يحيى بن خالد: الذى اراه لك يا أميرالمؤمنين أن تمنن عليه وتصل رحمه فقد والله افسد علينا قلوب شيعتنا وكان يتولّاه وهارون لايعلم فقال هارون: انطلق اليه واطلق عنه الحديد وأبلغه عنى السلام.

ثم امر بتسليمه الى الفضل بن يحيى بن خالد فتسلّمه منه وأراد منه الرشيد أن يسعى فى قتله فلم يفعل وبلغه انه عنده فى رفاهية وسعة وهو حينئذ بالرقة فانفذ سرورا الخادم الى بغداد وأمره ان يدخل من فوره الى موسى بن جعفر عليه السلام فيعرف خبره فان كان الامر على ما بلغه أخذه منه وسلمه الى السندى بن شاهك فقدم سرور ودخل دارالفضل ولايعلم احد ما يريد ثم دخل على الامام فوجده على ما بلغ الرشيد، فامره بتسليمه الى السندى وهذا هو الحبس الرابع من حبوسه سلام الله عليه وهذه

المحبوس الأربع التى أولها عند عيسى ابن ابى جعفر، ثم عند الفضل بن الربيع، ثم عندالفضل بن يحيى، ثم عند السندى بن شاهك كلّها فى خلافة هارون.

واما حبوسه من المهدى والهادى قبل خلافة هارون فهى كثيرة وأشدّ المحبوس عليه هو الحبس الأخير حبس السندى بن شاهك عليه اللعنة والعذاب الاليم. فان هذا الخبيث قد ضيق وشدد عليه بل ربما كان يسبّه ويتجاسر عليه حتى صار الامام سلام الله عليه من تواتر هذه المصائب والمحن وطول زمن الضرو البلوى كالشبح والخيال او كعود الخلال ولم يكن لبدنه جرم ولاحجم ولم يبق فى جسده الشريف لحم ولادم.

وقد ذكر ابن الجوزى فى كتاب التذكرة ان مدة حبس الرشيد له احدى عشر سنة وعن احمد بن عبدالله القزوينى عن ابيه قال: دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح فقال لى: ادن منى فدنوت حتى حاذيته، ثم قال لى: اشرف على البيت فاشرفت على صحن الدار فقال لى: ماترى فقلت: ثوبا مطروحا فقال: انظر حسنا، فنظرت وتأملت فقلت: رجل ساجد فقال لى: تعرفه ؟قلت: لاقال: هذا مولاك، قلت: ومن مولاى ؟ فقال: تتجاهل علىّ، هذا مولاك ابوالحسن موسى بن جعفر انى اتفقده الليل فلا أجده فى وقت من الاوقات الاّ على الحال التى اخبرك بها انه يصلى الفجر فيعقّب ساعة فى دبر صلاته الى أن تطلع الشمس، ثم يسجد سجدة فلايزال ساجداً حتى يزول الشمس وقد وكلّ من يترصّدله الزوال فلست أدرى متى يقول الغلام: قد زالت الشمس اذيثب فيبتدء بالصلاة من غير ان يجدد وضوء، فاعلم انه لم ينم فى سجوده ولا اغفى فلايزال كذلك الى ان يفرغ من صلاة العصر، فاذا صلى العصر سجد سجدة طويلة الى مغيب الشمس، فاذا غابت وثب من سجدته فصلّى من غير ان يحدث حدثا ولايزال فى صلاته وتعقيبه الى ان يصلى العتمة، فاذا صلى العتمة افطر على شوى ثم يجدد الوضوء ثم يسجده ثم ينام نومة

خفيفة، ثم يقوم فيجدد الوضوء ثم يقوم فلايزال يصلى فى جوف الليل حتى يطلع الفجر فهذا دأبه مذحول الىّ.

فقلت: اتق الله ولاتحدثن فى أمره حديثا يكون منه زوال النعمة فقد تعلم انه لم يفعل احد باحد منهم سوءً إلّا كانت نعمته زائلة فقال: ارسلوا الىّ غير مرّة يأمرونى بقتله فلم اجبهم الى ذلك واعلمتهم انى لاافعل ولو قتلونى.

والغوى هارون لم يزل كلما حبس الامام عليه‌السلام عند واحد من ثقاته وخاصته كلّفه بشتمه وقتله فيمتنع من ان يلقى الله بدمه ويتحرّج ان يبوء باثمه ولمّا كان الشّقى السندى ممن اشترى سخط الخالق برضا المخلوق وباع آخرته بدنياه اجابه الى ما دعاه و وافقه على سمّ الامام ففى بعض مؤلفات اصحابنا ان هارون لما اراد أن يقتل الامام عليه‌السلام عرض قتله على سائر جنده وفرسانه فلم يقبل احد منهم حتى احضر من بلاد الافرنج قوماً لايعرفون الله ولارسوله ولا الاسلام ولاشيئا من لغة العرب وادخلهم على الامام ليقتلوه فلما رأوه خرّواً سجداً بين يديه ولما عزم السندى بامر فرعونه هارون على سمّ الامام عليه‌السلام وعلم هارون منه ذلك احضر رطبا وأخذ منه عشرين رطبة وأخذ سلكا فعركه فى السم وادخله فى سم الخياط واقبل يردد السلك فى كل رطبة حتى علم ان السمّ قد حصل فيها، ثم وضعه فى صينية وبعثه الى السندى فقدمه الى الامام عليه‌السلام وقال له أن الخليفة اكل من هذا الرطب وانفذلك وهو يقسم عليك حقّه لما أكلتها عن آخرها فأكل الامام عليه‌السلام شيئاً قليلا فامره السندى أن يزداد فقال: حسبك فقد بلغت ماتريد.

وروى عن بعض الثقات قال: جمعنا السندى ونحن ثمانون رجلاً من الوجوه ممّن ينسب الى الخير فادخلنا على موسى بن جعفر عليه‌السلام فقال لنا السندى يا هؤلاء انظر واالى هذا الرجل هل حدث به حدث فانّ الناس يزعمون انه قدفعل مكروه به ويكثرون فى ذلك وهذا منزله وفرشه موسّع عليه فى جميع أمره فسئلوه

فقال عليه السلام: اما ذكر من التوسعة واما اشبه ذلك فهو على ما ذكر غير انى اخبركم ايها النفر أنى قد سقيت السم فى تسع تمرات فانى اخضر غداً وبعد غد أموت قال: فنظرت الى السندى بن شاهك لعنه الله يرتعد ويضطرب مثل السعفة ثم انّ الامام عليه السلام بعد ان أكل الطعام المسموم بقى ثلاثة ايام وقيل سبعة.

قال على بن سويد كتبت الى ابى الحسن موسى عليه السلام أسأله عن حاله وعن مسائل كثيرة فاحتبس الجواب علىّ ثم اجابنى بجواب هذه نسخته بسم الله الرحمن الرحيم الحمدلله العلى العظيم الذى بعظمته ونوره ابصر قلوب المؤمنين وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون وابتغى من فى السماوات والارض اليه الوسيلة بالاعمال المختلفة والأديان المتضادة فمصيب ومخطىء ومهتد وسميع واصم وبصير واعمى وحيران اما بعد فانك امرء انزلك الله من آل محمّد بمنزلة خاصة وحفظ مودة لما استرعاك من دينه وما الهمك من رشدك وبتفضيلك اياهم وردك الامور اليهم كتبت تسلئنى عن أمور كنت منها فى تقية ومن كتمانها فى سعة فلما انقضى عنى سلطان الجبابرة وجاء سلطان ذى السلطان العظيم بفراق الدنيا المذمومة الى اهلها العتاة على خالقهم رأيت ان افسّر لك ماسئلتنى عنه مخافة ان تدخل الحيرة على ضعفاء شيعتنا من قبل جهالتهم فاتق الله جل ذكره وخص بذلك الامر أهله واحذر ان تكون سبب بليّة الاوصياء او حارشا عليهم بافشاء ما استودعتك واظهار ما استكتمك ولن تفعل ان شاء الله ان اول ما انهى اليك انى انعى اليك نفسى فى ليالى هذه غير جازع ولانادم ولاشاك فيما هو كائن مما قد قضى الله جل وعزوحتم فاستمسك بعروة الدين آل محمّد والعروة الوثقى الوصى بعد الوصى والمسالمة لهم والرضا بما قالوا ولاتلتمس دين من ليس من شيعتك ولاتحبّ دينهم فانهم الخائنون الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أماناتهم وتدرى كيف خانوا اماناتهم ائتمنوا على كتاب الله فحرّفوه وبدلوه ودلّوا على ولاة الامر منهم فانصرفوا عنهم الى ان قال عليه السلام: وسئلت عن الشهادات

لهم فاقم الشهادة لله عزوجل ولو على نفسك او الوالدين الاقربين فيما بينك وبينهم فان خفت على أخيك ضيما فلا وان من واجب حق اخيك ان لاتكتمه شيئا تنفعه بـه لأمر دنياه وآخرته ولاتحقد عليه وان اساء وأجب دعوته اذا دعاك ولاتخـل بـينه وبين عدوّه من الناس وان كان اقرب اليه منك وعدّه فى مرضه ليس مـن اخـلاق المؤمنين الغش ولا الأذى ولا الخيانة ولا الكبر ولا الخنا ولا الفـحش ، فـاذا رأيت المشوّه الاعرابى فى جحفل جرار فانتظر فرجك ولشيعتك المـؤمنين ، فـاذا انكسـف الشمس فاربع بصرك الى السماء وانظر ما فعل الله بالمجرمين وقد فسرت لك جملاً و صلى الله على محمّد وآله الاخيار .

فلما كان اليوم الثالث قال عليه السلام للمسّيب بن زهير وهو من مواليه وكان مـوكّلاً بالامام عليه السلام : انى على ماعرفتك من الرحيل الى الله عزوجل ، فاذا دعوت بـشربة من ماء فشربتها واصفر واحمر واخضر وأتلون ألوانا ، فاذا رأيت بى هذا الحدث فاياك ان تظهر عليه أحداً ولاعلى من عندى الا بعد وفاتى قال المسيب : فلم ازل أرقب وعده حتى دعا بالشربة فشربهـا ، ثم دعانى فـقال لى يـا مسـيب ان هـذا الرجس السندى سيزعم انه يتولى غسلى ودفنى وهيهات هيهات ان يكـون ذلك أبداً ، فاذا حملت الى المقبرة المعروفة بمقابر قريش فالحدونى بها ولاترفعوا قبرى فوق اربع اصابع مفرجات قال ثم رايت شخصاً اشبه الاشخاص به عليه السلام جالسا الى جنبه وكان عهدى بسيدى الرضا عليه السلام وهو غلام فأردت سؤاله فـنهانى سـيدى موسى عليه السلام فلم أزل صابراً حتى مضى وغاب الشخص ، ثم انهيت الخبر الى الرشيد فوافى السندى بن شاهك فوالله لقد رأيـتهم بـعينى وهـم يـظنّون انهـم يـغسلونه فلاتصل أيديهم اليه ويظنون انهم يحنطونه ويكفنونه وأراهم لايصنعون به شـيئاً ورأيت ذلك الشخص يتولى غسله وتحنيطه وتكفينه وهو يظهر المعاونة لهم وهـم لايعرفونه ولما قضى سلام الله عليه امر السندى ان يحمل على نعش ونودى عليه

« هذا امام الرافضة فاعرفوه » فلما أتى به مجلس الشرطة اقام اربعة نفر فنادوا عليه بنداء خبيث لايستطيع القلم نشره ولا اللسان ذكره.

وخرج سليمان بن أبي جعفر عمّ الرشيد من قصره الى الشطّ فسمع الصياح والضوضاء فقال لغلمانه: ما هذا؟ قالوا: السندى ينادى على نعش موسى بن جعفر عليه السلام كذا وكذا، فقال لولده وغلمانه: يوشك ان يفعل به هذا في الجانب الغربي، فاذا عبر به فانزلوا وخذوه من أيديهم فان مانعوكم فاضربوهم فلمّا عبروا به نزلوا اليهم فأخذوه من أيديهم وضربوهم وخرقوا عليهم سوادهم ووضعوه في مفرق أربعة طرق وأقام المنادين ينادون ألامن أراد ان يرى الطيّب بن الطيّب موسى بن جعفر عليه السلام فليخرج وحضر الخلق وحنط بحنوط فأخّروا كفنه بكفن فيه حبرة استعمل عليه بالفين وخمس ماءة دينار عليها القرآن كلّه واحتفى ومشى في جنازته مشقوق الجيب الى مقابر قريش فدفنه هناك وكتب بخبره الى الرشيد، فكتب اليه: وصلتك رحم يا عم وأحسن الله جزائك والله ما فعل السندى لعنه الله ما فعله عن أمرنا.(١)

وروى ان السندى سئل الامام عليه السلام أن يكفنه فأبى وقال: **انا اهل بيت مهور نسائنا وحج صرورتنا واكفان موتانا من طهرة اموالنا وعندى كفني**، فلما مات ادخل عليه الفقهاء و وجوه اهل بغداد وفيهم الهيثم بن عدى وغيره فنظروا اليه لااثربه وشهد واعلى ذلك واخرج فوضع على الجسر ونودى عليه هذا موسى ابن جعفر الذى تزعم الرافضة انه لايموت فانظروا اليه فجعل الناس يتفرّسون في وجهه وهو ميّت وفي هذا من الهون والاستخفاف والجرأة على هتك حرمات الله العظيم وهياكل توحيده المقدسة انواره وخزائن علمه واسراره ما يتذوّب له فؤاد المؤمن

---

(١) الا لعنة الله على الكاذبين من أهل النكراء والشيطنة والسياسة الغاشمة منهم الرشيد العباسي وأمثاله من أولى الامر على اعتقاد المخالفين لنا في المذهب.

الغيور وينشق منه قلب المتجلّد الصبور ان يكون مثل الامام موسى بن جعفر عليه السلام صفي الله وابن اصفيائه وامينه وابن امنائه مطروحاً في الشوارع مكشوف الوجه وهوميّت يتفرج عليه الرايح والغار والعاكف والباد والمسلم والكافر والوارد والصادر بعد تلك المحن والسجون والشئون والشجون كما ورد في بعض زياراته الشريفة صلوات الله عليه حيث ورد فيها: اللهم صل على محمّد واهل بيته الطاهرين وصل على موسى بن جعفر وصي الابرار وامام الاخيار وعيبة الانوار و وارث السكينة والوقار والحكم والاثار الذي كان يحيي الليل بالسهرالى السحر بواصلة الاستغفار حليف السجدة الطويلة والدموع الغزيرة والمناجات الكثيرة والضراعات المتصلة ومقرالنهى والعدل والخير والفضل والندى والبذل ومألف البلوى والصبر المضطهد بالظلم المقهور[1] بالجور المعذب في قعر السجون وظلم المطامير ذي الساق المرضوض بحلق القيود والجنازة المنادى عليها بذل الاستخفاف والوارد على جده المصطفى وأبيه المرتضى وأمّه سيدة النساء بارث مغصوب وولاء مسلوب وأمر مغلوب ودم مطلوب وسمّ مشروب اللهم فكما صبر على غليظ المحن وتجرّع غصص الكرب واستسلم لرضاك واخلص الطاعة لك ومحض الخشوع واستشعر الخضوع وعادى البدعة واهلها ولم يلحقه في شيء من أوامرك ونواهيك لومة لائم صل عليه صلاة نامية زاكية منيفة توجب له بها شفاعة امم من خلقك وقرون من براياك بلّغه عنّا تحية وسلاماً وآتنا من لدنك في موالاته فضلاً واحساناً ومغفرة ورضوانا انك ذوالفضل العميم والتجاوز العظيم برحمتك يا ارحم الراحمين.

(١) مقبور.

﴾ ٦٦ ﴿

بعض أسرار الحج

﴿ وَ أَذِّنْ فِي النّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَ عَلىٰ كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَميقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ ﴾ .(١)

بما انّ الانسان متكوّن من جوهرين جسم وروح ، فقد جعل شارع الشريعة الاسلامية لكل من الجوهرين فرائض ، وتكاليف ، ليس الغرض منها سوى سعادة الانسان ، وتعاليه فى معارج الكرامة ومدارج العظمة ، وأهمّ فرائض الروح العقيدة والايمان ، واهمّ فرائض البدن ، اعمال خاصة يسمّيها الشرع بالعبادات والفروع أى فروع الدين ، كما يسمّى تلك باصول الدين ، وتلك العبادات خمسة : الصلاة والصوم ، وهى بدنية محضة ، والخمس ، والزكاة وهي مالية محضة ، والحج يتضّمنهما معاً ، فهو عبادة مالية ، وبدنية وقد جمعت كلّ واحدة من هذه العبادات أسراراً وحكماً اذا لم يكن الحج اكبرها مقاصد واكثرها أسراراً وفوائد فليس هو باقلّها وقد اشارت الآيات الى بعض تلك الاسرار والمزايا ، وهي مادية اقتصادية ،

---

(١) سورة الحج ، آية : ٢٧ ـ ٢٨.

واخلاقية اجتماعية، ورموز علوية، ورياضات روحية، نعم الناظر الى أعمال الحج نظرة سطحية قد ينسبق الى ذهنه أنّها الاعيب من العبث، واضراب من اللهو والنصب ولكن لا تلبث تلك النظرة العابرة حتى تعود عبرة وفكرة، تذهل عندها الالباب وتطيش فى سبحات جلالها العقول، امّا الذى فيه من الفوائد المادية، والاجتماعية، والاخلاقية، فلعل سطحه الاول ظاهر مكشوف، والتوسع فيه يحتاج الى مجال اوسع ونظر اعلى وارفع، وهى التى اشير اليها بقوله عزّ شأنه ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ ولكن اذا لم يتسع لنا المجال للاشارة الى تشريح هذه المنافع أفلا يمكن التلويح الى بعض تلك النفحات التى تهب نسائمها من الكنوز والرموز الروحية التى تتضمنها أعمال الحج أوّلها الاحرام، أرايت المحرم حين يتجرد من ثيابه التى يتجمل بها بين الناس فيستبدل بها قطعتين من القطن الابيض اشارة الى قطعه جميع علائق هذه الحياة، وزخارفها، واكتفائه بثوبين، كمن ينتقل من هذه الحياة الى الحياة الاخرى، لابساً أكفانه، منصرف النفس عن كلّ شهواتها، وعازفاً عن كلّ لذاتها، أتراه حين يرفع صوته كلما على جبلاً أوهبط وادياً او نام او استيقظ (**لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك**) كانه يجيب داعياً، ويخاطب مناديا، نعم يجيب داعى الضمير، وخطاب الوجدان خطاباً يجيب به نداء ربّه، واذان أبيه ابراهيم، ودعوة نبيه محمّد ﷺ أتراه كيف يتجرّد عن الدنيا ويتحلى عن الروح الحيوانية فيصير روحاً مجرداً، وملاءكاً بشراً فيحرّم على نفسه التمتّع حتى من النساء والطيب والطيبات، بل حتى العقد على النساء ويحرم عليه أن يؤذى حيواناً، ولو من الهوام وأن يصيد صيداً ولو من الانعام، وان يقطع شجراً؛ أو يقطع نباتاً، واذا عقد على امرأة فى احرامه حرمت عليه ابداً، أرأيته حين يطوف حول الكعبة رمز الخلود، ومركز الابدية وتمثال العرش الذى تطوف حوله الملائكة ﴿ وَ تَرَى

﴿المَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾[١] طالباً أن تفتح أبوابها فيدخل فی فردوسها الأبهى؛ ويخلد فی نعيمها الابدی، مع الخالدين، أتراك حيث يبتدء بطوافك من الحجر فتلمسه قاصداً انك تبايعه وتأخذ العهد منه وتقبله وكأنك تقبل يد الرحمن، وانّه قد نزل من السماء أبيض من اللجين ولكن ذنوب العباد كسته حلة السواد كناية انه تحمل ذنوبهم وتعهد بغفرآنهامن خالقهم، أرأيت كيف ينقلب الطائف حول الكعبة بعد الفراغ من طوافه الى مقام ابراهيم فيصلّی فيه اشارة الى أنّه بعد طوافه على القلب قام مقام أبيه ابراهيم فی دعائه الى الرّب **واتخذوا من مقام ابراهيم مصلّى ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وتب علينا انك أنت التواب الرحيم**، أتراه حين ينفلت بعد الفراغ من الطواف الى السعی بين الصفا والمروة مهرولاً يدفعه الشوق الى السوق حذار أن تعرضه خطرات الوساوس فتكون حجر عثرة فی طريقه الى مشاهدة الحق وتكدر عليه ذلك الصفا المتجلّی عليه من اشعة تلك اللمعات والصفا هو الصخرة التی وقف عليها نبی الرحمة فی أول دعوته الناس الى التوحيد، والدخول فی دين الاسلام، والتخلّی عن عبادة الاصنام، ما بين الصفا والمروة هو الموقع الذی سعت فيه هاجر أم اسماعيل سبع أشواط فی طلب الماء لولدها الذی تركته فی المسجد الحرام حول الكعبة ولما أيست رجعت لولدها، رجعت اليه فوجدت ماء زمزم قد نبع من تحت قدميه ثم بعد اكمال السعی يقصر من شعره، ولعله اشارة الى أن السالك الى الحق مهما جد فی المسير، فان مصيرة ومنتهاه الى القصور فی شعوره، أو التقصير، فاذا عرف قصوره، واعترف به، حلّ من احرامه، وأحل الله له الطيبات التی حرمها عليه، ورجع من الحق الى الخلق، وهو أحد الاسفار الاربع، والى هنا تنتهی عمرته، ثم يوم الثامن يوم التروية يعقد

---

(١) سورة الزمر، آية ٧٥.

الاحرام ثانياً ، وهو احرام الحج ، ويتوجّه الى منى وقبل الظهر يوم التاسع يكون فى عرفات من الظهر الى غروب الشمس ، ثم يفيض الى المشعر ، وقبل طلوع الشمس يعود الى منى ، فيأتى بمناسكها الثلاثة الرمى ، والذبح ، والحلق يوم عيد الأضحى ، وبعد الحلق يحل من كل ما حرم عليه بالاحرام الا الطيب ، والصيد ، والنساء ، ثم يعود الى مكة ، لاحرام الحج و يحل له بعده الصيد ، والطيب ؛ ثم يعود الى منى ويبيت فيها ليالى النفر ؛ الحادية والثانية عشر ويرمى الجمرات فى اليومين ، او الثلاث بعد الاضحى ثم يطوف طواف النساء فتحل له وهنا تنتهى أعمال الحج والمناسك بأجمعها وفى كل واحد من هذه الاعمال رموز واسرار وحكم ومصالح لو أردنا شرح بعضها فضلاً عن كلّها لاحتجنا الى مؤلف مستقل لا نستطيع القيام به ، وقد وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ، ولكن ليعلم أنّ الاسرار والمصالح التى فى الحج ، بل وفى كلّ عبادة ، نوعان خاصة ، وعامّة ، أمّا الخاصة فهى الاسرار التى يتوصّل اليها السالكون والعلماء الراسخون ، والعرفاء الشامخون ولا تنكشف استارها ، وكنوزها لعامّة الناس ، بل ولا يتصورها بلمح الخيال احد منهم وأمّا العامّة فهى الواضحة المكشوفة التى يستطيع كل متفكر ومتدبر أن يعرفها ويتوسل اليها وأعظمها وأهمّها واجلى المصالح والاهداف التى يرمى اليها ويتطلبها على الظاهر المكشوف والتى يدركها كل ذى شعور هى الناحية الاجتماعية ، ومن المعلوم أنّ الاسلام دين اجتماعى وقد أعطى للنواحى الاجتماعية أعظم الأهمية فشرّع صلاة الجماعة فى مسجد المحلة كلّ يوم ثلاث مرّات أو خمس وصلاة الجمعة فى المسجد كل اسبوع وصلاة العيدين لعموم أهل كل بلد وضواحيها كل سنة مرتين ولم يكتف بذلك كله حتى دعى الى مؤتمر عام بجميع أهل الحجى ، والثروة ، والطبقة الرّاقية ، مالاً وعقلاً من المسلمين المتفرقين فى اقطار الارض الشاسعة فى صعيد واحد ، ليتعارفوا أولاً فاذا تعاروفا تآلفوا واذا تآلفوا تكاثفوا وصار كل واحد منهم

قوة للآخر يتفقد شؤونه ، ويشاركه فى سرّائه وضرّائه ، ونعيمه وشقائه ، فتكون من ذلك للمسلمين قوّة هائلة ، لا تقاومها كلّ قوة فى العالم ، أذكر انّى عام (١٣٣٠ هـ) أعنى قبل احدى واربعين سنة لما تشرفت للحج اجتمعت على ربوة[١] مساء حول مسجد الخيف بجماعة من الحجاج ، فكان فيهم الصينى ، والمراكشى ، واليمانى ، والعراقى ، والهندى ، وكان فيهم من يحسن اكثر اللغات ، فانجرّ الحديث الى الحج ومنافعه ، وفوائده ، مع كثرة متاعبه ، وتكاليفه ، فقلت أىّ فائدة تريدون أعظم من اجتماعنا هذا وهل كان يدور فى خلد أحد أن يجتمع الصينى فى أقصى الشرق بالمراكشى وهو فى أقصى الغرب والعراقى والفارسى وهو فى طرف الشمال باليمانى وهو فى أقصى الجنوب ، ولكنّ المسلمون ويا للأسف لو كان يجدى الأسف انّهم لما فاتهم الحجى واللبّ أصبحت أعمالهم بل وعباداتهم قشراً بلا لبّ ، يجتمعون وهم متفرّقون ، ويتقاربون وهم متباعدون ، متقاربة أجسامهم متضاربة أحلامهم ، يحجّون ولا يتعرّف احدهم باخيه ولا يرى الّا صورته ، ولا يعرف شيئاً من أحواله بل ولا اسمه ، وبهذا ومثله وصلنا الى الحال التى نحن فيها اليوم ، فلا حول ولا قوّة ، وبالله المستعان على هذا الزمان وأهل الزمان .

---

(١) الربوة المكان المرتفع بضم الراء قال الفيومى وهو الاكثر والفتح لغة بنى تميم والكسر لغة سميت ربوة لانها ربت فعلت والجمع ربى مثل مدية ومدى .

٦٧

بعض أسرار الصوم وامتيازه عن سائر العبادات

تشترك العبادات عموماً بأنّها أفعال وجودية ، هي بمنزلة الجسد وروحها النيّة ، فالصلاة ، والطواف ، والسعي ، كالغسل والوضوء ، وامثالها اعمال جسدية ، اذا لم يأت بها المكلف بداعي القربة فهي كجسد ميت لا حياة فيه ، وكاشباح بلا ارواح ، ولكن مهما كان فهو جسم عبادة ؛ وصورة طاعة ؛ وكل العبادات في ذلك سواء أعني أنّها أجساد ولها ارواح فان كانت تلك الروح فيه فهو حيّ ، والّا فهو ميت الّا الصوم فقد كادبل كان روحاً مجردة ، وحياة متمحضة لاجسم له ولا مادة ، وهذه ميزة امتاز بها الصوم عن سائر العبادات ، ولم يشاركه فيها سوى الاحرام ؛ فان الصيام والاحرام كل منهما تروك محضة ، وعدميات صرفة ، ليس فيها من الأعمال الجسمانية شيء ، ولكن الاحرام فضحته ثياب الاحرام ولبسها وبقي الصيام محتفظاً بروحيّته وتجرّده من كل عمل ظاهري ، ولم يتجاوز عن كونه نيّة خالصة ، وعبادة قلبية حفيّة ، لا يعلم بها الاصاحبها وربّه العالم بالسرائر ، ومن هنا اختص الصوم بميزة انفرد بها دون كلّ عبادة ، وهي عدم امكان دخول الرياء فيه بل يستحيل ذلك إلّا بالقول ، فيكون الرياء حين ذاك بالعبارة لا بالعبادة ، وبالكلام لا بالصيام

والاحرام أيضاً بجوهره وان كان نيّة وتروكاً كالصوم الا أن الا حرام فيه عمل واحد وجودى ؛ وهو لبس ثياب الاحرام ، ومنه قد يتأتى تدخّل الريـاء فـيه ، بخلاف الصوم المتمحّض فى النيّة والتروك فقط فهو عبادة صامتة خرساء ، ومعاملة سرّية بين القلب والرّب ، ولعل هذا هو المراد من الحديث المشهور (الصوم لى وأنا أجزى به) مبنيّاً للفاعل ، فيكون القصد أنه تعالى تكريماً للصائم يتولى جزائه مباشرة من دون وسائط الفيض ، وعلى المفعول : فيكون المراد انه هو جـزائى واللائـق بمقام عظمتى وتجرّدى ، فـانّ الصـائم يـتجرّد ويـصير روحـانياً ، والمـتخلق بـاخلاق الرّوحانيين يلحق بهم ، ويكون لحوقه بهم جزاؤه لهـم ، سـواء عـاد الضـمير الى الصوم ، أو للصائم هذا مضافاً الى ما يتضمّنه الصوم من الفوائد الصحّية ، والرياضة البـدنيّة ، وتـربية قـوّة الارادة ، ومـضاء العـزم ، وتهـذيب النـفس ، وقمعها عن الانقياد الى بواعث الشهوات ، وكبح جماع قوتى الشهوّة والغضب اللتين همـا أصل كل جريمة ، والسبب فى هتك كلّ حرمة ، ومن آثاره تذكر حال الفقراء وأهل الفاقة ومن كضه الطوى وأمضه الجـوع ، فانّ الصيام يوجب رقة القلب وانـدفاع الدمعة فيواسى اخوانـه ، ويكـون حـلياً ورحـيماً ومـهبطاً للـرحمـة ، والراحمـون يرحمهم الله تعالى .

৯ ٦٨ ৩

وحدة الوجود أو وحدة الموجود[1]

« عن سائر العبادات »

هذه القضيّة من أمّهات أو مهمّات قضايا الفلسفة الآلهية وهى تـتصل اتـصالاً وثيقاً بعلم الحكمة العالية والالهى بالمعنى الاعم الذى يبحث فيه عن الامور العامّة ، كالوجود والموجود وكالواجب والممكن ، والعلّة والمعلول والوحـدة والكـثرة ، وأمثالها ممّا لا يتعلق بموضوع خاص ، ولا حقيقة معيّنة من الانـواع لا ذهـناً ولا خارجاً ، وللتمهيد والمقدمة نقول :

انّ من المسائل الخلافية بين حكماء الاسلام وفلاسفة المسلمين مسألة أصـالة الوجود أو الماهية بمعنى أنّ المتحقق فى العين والخارج هل هو الوجود والماهية امر اعتبارى ينتزع من الوجود المحدود المقيّد المتعيّن بـالتعيّن الذى يمـيّزه عـن غـيره

---

(١) مسألة وحدة الوجود او الموجود من معضلات المسائل العلمية والمباحث الغامضة ومقصود شيخنا الامام دام ظله فى هذا المقام هو بيان هذه المسألة وتشريح هذه النظرية وبحثها بحثاً علمياً تـحليلياً على حسب معتقد القائلين بها واظهار حقيقة رأيهم حول هذا الاعتقاد كما يعتقدون انفسهم باجلى بيان واوضح عبارة .

بالجنس والنوع وغيرهما من الاعتبارات او أنّ المتحقق فى ظرف العين والخارج ونفس الأمر والواقع هو الماهية والوجود مفهوم اعتبارى خارج عنها منتزع منها محمول عليها من خوارج المحمول لا المحمولات بالضميمة ، فماهيّة النار مثلا اذا تحققت فى الخارج وترتبت عليها آثارها الخاصة من الاضائة والاحراق والحرارة صحّ انتزاع الوجود منها وحملة عليها فيقال النار موجودة وإلا فهى معدومة وهذا القول أعنى اصالة الماهية ، وأنّ الوجود فى جميع الموجودات حتى الواجب اعتبار محض على الظاهر كان هو المشهور عند الحكماء الى أوائل القرن الحادى عشر ، وعليه تبتنى شبهة الحكيم (ابن كمونه)[1] التى اشكل بها على التوحيد زاعماً أنه ما المانع من أن يكون فى ظرف التحقّق ونفس الأمر والواقع هو بتان مجهولتا الكنه والحقيقة ؛ بسيطتان متبائنتان بتمام ذاتيهما وينتزع وجوب الوجود من كلّ منهما ويحمل على كل واحدة منهما من قبيل خارج المحمول لا المحمول بالضميمة لأنّ ذات كلّ منهما بسيطة لا تركيب فيها إذا التركيب يلازم الامكان وقد فرضنا وجوب كلّ منهما وقد اعضلت هذه الشبهة فى عصره على اساطين الحكمة واستمر

---

(١) عز الدولة سعد بن منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله بن كمونة البغدادى الشهير بـ(ابن كمونة) له مؤلفات بخطه فى الخزانة الغروية فى النجف الاشرف ، انظر كتاب (خزائن الكتب القديمة فى العراق ، ص ١٣٥ ط بغداد) لمؤلفه الجاثة العراقى كوركيس عواد عضو المجمع العلمى العربى بدمشق ـ يظهر منها اسلامه وحسن عقيدته وجده الاعلى هبة الله بن كمونة الاسرائيلى كان من فلاسفة اليهود فى عصر الشيخ الرئيس ابن سينا وصاحب الشبهات المعروفة ونسب الى عز الدولة كتاب (تنقيح الابحاث فى البحث عن الملل الثلاث) انظر كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٤٩٥ ط اسلامبول سنة (١٣٦٠ هـ) ، والحوادث الجامعة ، ص ٤٤١ ط بغداد ، وفى الذريعة لشيخنا البحاثة الكبير مد ظله ، ج ٢ ، ص ٩٧ ـ ٢٨٦ ـ ٣٥٨ ط نجف وأيضاً ، ج ٤ ، ص ٤٦٠ ط طهران ان نسبة هذا الكتاب اليه من تهمة العوام له وله شرح الاشارات فرغ منه سنة (٦٧٩ هـ) ، واهداه لشمس الدين الجوينى صاحب ديوان الممالك وتوفى سنة (٦٩٠ هـ) او (٦٨٣ هـ) فلاوجه لما فى كشف الظنون انه توفى سنة (٦٧٦ هـ) ومن ملاحظة ما ذكرناه الاجمال وكذا المصادر التى او عزنا اليها يظهر مواضع الخلل فيما ذكره اللغوى المعاصر (دهخدا) فى كتابه الكبير الفارسى (لغتنامه) ، ج ١ ، ص ٣٤٣ ط طهران فراجع .

اعضاها عدّة قرون حتى صار يعبّر عنها كما فى أوّل الجزء الاوّل من الاسفار (افتخار الشياطين) وسمعنا من اساتذتنا فى الحكمة انّ المحقق الخونسارى[١] صاحب (مشارق الشموس) الذى كان يلقب بالعقل الحادى عشر، قال: لو ظهر الحجة عجل الله فرجه لما طلبت معجزة منه الاّ الجواب عن شبهة ابن كمونة ولكن فى القرن الحادى عشر الذى نبغت فيه أعاظم الحكماء كالسيد الداماد،[٢] وتلميذه ملاصدرا،[٣] وتلميذيه الفيض[٤] واللاهيجى صاحب الشوارق الملقب بالفيّاض[٥] انعكس الامر وأقيمت البراهين الساطعة على أصالة الوجود، وأنّ الماهيات جميعاً اعتبارات صرفة ينتزعها الذهن من حدود الوجود، امّا الوجود الغير المحدود كوجود الواجب جلّ شأنه فلا ماهيّة له بل (ماهيته انيته) وقد ذكر الحكيم السبزوارى ﷺ[٦] فى منظومته البراهين القاطعة على أصالة الوجود مع أنّه من أوجز كتب الحكمة فما ظنّك بالاسفار وهى اربع مجلدات بالقطع الكبير، ويكفيك

---

(١) الحسين بن محمّد الخونسارى المحقق علامة زمانه فى العلوم له مؤلفات نافعة ولد سنة (١٠١٦هـ)، وتوفى سنة (١٠٩٨هـ).

(٢) مولانا محمّدباقر الحسينى الشهير بـ(الداماد) سيد الحكماء، ومن اعظم رؤساء الدين لهمقام شامخ فى العلوم ومرتبة سامية فى الفقاهة والرياسة والسياسة له مؤلفات نفيسة توفى سنة (١٠٤١هـ)، انظر سلافة العصر، ص ٤٨٥ـ٤٨٧ ط مصر. الاعلام للزركلى، ج ٣، ص ٨٦٨ط مصر.

(٣) محمّد بن ابراهيم صدر الدين الشيرازى الشهير بـ(ملاصدرا) و (صدر المتألّهين) اكبر فيلسوف عارف متشرع أعلم حكماء الاسلام وافضلهم وهو امام من تأخر عنه واقتفى أثره كل من نشأ بعده من حكماء الامامية توفى سنة (١٠٥٠هـ) انظر روضات الجنات، ض ٣٣١ط ١ـطهران.

(٤) محمّد بن المرتضى الشهير بـ(ملا محسن القاشانى) الفقيه العارف المحقق الحكيم المتأله صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة توفى (١٠٩١هـ) انظر الكنى والالقاب للقمى، ج ٣، ص ٣٢ـ٣٣ط صيدا.

(٥) المولى عبدالرزاق اللاهيجى العالمى الحكيم المحقق المدقق صاحب التصانيف الجيدة توفى سنة (١٠٥١هـ)، وقد كتبنا فى ترجمته رسالة مستقلة لم يطبع.

(٦) المولى هادى بن مهدى السبزوارى من اكبر حكماء الامامية الفيلسوف الفقيه المعارف صاحب التصانيف الجليلة ولد سنة (١٢١٢هـ)، وتوفى سنة (١٢٨٩هـ) انظر المآثر والاثار، ص ١٤٧ط تهران.

منها برهان واحد وهو اختلاف نحوى الوجود حيث نرى بالضّرورة والوجدان أنّ النار مثلاً بوجودها الذهنى لا يترتب عليها شيء من الآثار من احراق وغيره بخلاف وجودها الخارجيء ولو كانت هى المتأصلة فى كلا الوجودين لترتبت آثارها ذهناً وخارجاً واليه أشار فى المنظومة بقوله :

وانه منبع كل شرف　　　والفرق بين نحوى الكون يفى

وحيث اسفرت الابحاث الحكمية عن هذه الحقيقة الجلية من اصالة الوجود الخارجى الغير المحدود الذى نعبر عنه بواجب الوجود جلّت عظمته يستحيل أن يفرض له ثانى. فان كل حقيقة بسيطة لا تركيب فيها يستحيل أن تتثنى وتتكرر لا ذهناً ولا خارجاً ولا وهماً ولا فرضاً، وقد أحسن المثنوى[١] فى الاشارة الى هذه النظرية القطعية حيث يقول: عن أستاذه شمس التبريزى.[٢]

شمس در خارج اگرچه هست فرد　　　مى‌توان هم مثل او تصوير كرد
شمس تبريزى كه نور مطلق است　　　آفتاب است و ز انوار حق است
شمس تبريزى كه خارج از أثير　　　نبودش در ذهن و در خارج نظير

وبعد أن اتضح بطلان أصالة الماهية، وأشرق نور الوجود باصالته اختلف القائلون باصالة الوجود بين قائل بأنّ الوجودات بأجمعها واجبها وممكنها الذهنى منها، والخارجى المتبائنة فى تشخصها وتعيينها قطعاً هل اطلاق الوجود عليها من باب المشترك اللفظى، وهو اطلاق اللفظ على المعانى المتكثرة والمفاهيم المتبائنة التى لا تندرج تحت حقيقة واحدة، ولا يجمعها قدر مشترك كالعين التى تستعمل فى

---

(١) المولى جلال الدين محمّد المولوى البلخى الرومى من أشهر مشايخ العرفاء وقادتهم الاكابر صاحب ديوان (المثنوى) الفارسى المشهور ولد سنة (٦٠٤هـ)، وتوفى سنة (٦٧٢هـ).

(٢) شمس الدين محمّد بن ملك داد التبريزى من مشاهير العرفاء والصوفية ومشايخهم الاكابر توفى سنة (٦٤٥هـ)، انظر (ريحانة الادب)، ج ٢، ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩ط طهران.

الباصرة وفى النابعة والذهب الى آخرها لها من المعانى الكثيرة المتبائنه على عكس المترادف الفاظ كثيرة لمعنى واحد والمشترك معانى كثيرة تحت لفظ واحـد، وقـد نسب هذا القول الى المشائين أو لأكثرهم.

أو أنّه من المشترك المعنوى موجود النار ووجود الماء فى باب المفاهيم ووجود زيد، ووجود عمر وفى باب المصاديق شيء واحد وحقيقة فـاردة وانّما التـبائن والتعدّد فى الماهيّات المنتزعة من حدود الوجود وتعيّنات القيود، فحقيقة الوجود من حيث هو واحدة بكل معانى الوحدة، وما به الامتياز هو عين ما به الاشتراك فتدبّر هذه الجملة جيداً كى تصل الى معناها جيداً، وحيث أنّ القول الاوّل يستلزم محاذير قطعية الفساد وما يستلزم الفاسد فاسد قطعاً، ومـن بـعض محـاذيره لزوم العزلة بين وجود الواجب ووجود الممكن وعدم السـنخية بـين العـلة والمـعلول المنتهى الى بطلان التوحيد من أصله واساسه، والى هذا أشار سيد الموحدين وامام العرفاء الشامخين أمير المؤمنين سلام الله عليه حيث يقول:

(توحيده تمييزه عن خلقه وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عـزلة) ولله هـذه الحكمة الشامخة والكلمة الباذخة ما أجلّها وأجمعها لقواعـد التـوحيد والتـجريد والتنزيه ودحض التشبيه، والأصح الذى لا غبار عليه أنّ حقيقة الوجود من حيث هى واحدة لا تعدّد فيها ولا تكرار بل كلّ حقيقة من الحقائق وماهية من الماهيّات أيضاً بالنظر الى ذاتها مجردة عن كل ما سواها يستحيل تعددها وتكررها ومن قواعد الحكمة المتفق عليها أنّ (حقيقة الشىء لا تتثنى ولا تتكرر والماهيّات انّمـا تـتكثرو تتكرر بالوجود) كما ان الوجود انما يتكثر بـالماهيّات والحـدود يـعنى أنّ مـاهية الانسان وحقيقته النوعية انّما تكثرت بالافراد العينية والمصاديق الخارجية والتعيّن انّما جاء من الوجود وبه تكررت الماهية وتكثرت، ولو لا الوجود لما كانت الماهية من حيث هى الّا هى لا تعدد ولا تكثر وكما أنّ الماهيّة بالوجود تكرّرت وتكثّرت

فكذلك الوجود انّما تكرر وتكثر بالحدود والتعيّنات التى انتزعت منها الماهيّات ، فالقضية مطردة منعكسه تكثر الوجود بالماهية ، وتكثرت الماهية بالوجود .

ثم انّ الوجود نوعان : ذهني وخارجي ، اما الذهنى : فهو اعتبار صرف ومفهوم محض كسائر المفاهيم الذهنية المنتزعة من المصاديق يحمل عليها بالحمل الشايع الصناعى من المحمولات بالضميمة لا خوارج المحمول فقولك زيد موجود كقولك : زيد كاتب وهو كلى واحد منطبق على افراده التى لا تحصى ومن المعقولات الثانوية باصطلاح الحكيم .

امّا الوجود العينى الخارجى الذى يحكى عنه ذلك المفهوم وينتزع منه : فهو بانواعه الأربعة الذاتى وهو بشرط لا والمطلق وهو لا بشرط والمقيد وهو بشرط شيء ويندرج فيه الوجود الرابط وهو مفاد كان الناقصة والرابطى وهو ما يكون وجوده فى نفسه عين وجوده لغيره كالاعراض والربطى وهو ما يكون وجوده لنفسه فى نفسه ولكن بغيره كالجواهر فانها موجودة لنفسها وفى نفسها لكن بغيرها أى بعلتها اما واجب الوجود فوجوده لنفسه فى نفسه بنفسه ، وهو أى الوجود أيضاً بذاته وبجميع هذه الأنواع وحدانى ذو مراتب متفاوتة بالقوّة والضعف والأوّليّة والأولوية أعلى مراتبه واولها واولاها الوجود الواجب الجامع لكمالات جميع مادونه من مراتب الوجود بنحو البساطة والوحدة الجامعة لجميع الكثرات وكل الكثرات نشأت منها ورجعت اليها ﴿ **إِنَّا لِلّٰهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رٰاجِعُونَ** ﴾ واليه الاشارة بقولهم (بسيط الحقيقة كل الاشياء وليس بشيء من الاشياء) والتوحيد الكامل (رد الكثرة الى الوحدة والوحدة الى الكثرة) وهذا الوجود الخارجى من أعلى مراتبه الوجوبيّة الى أخسّ مراتبه الامكانية وهى الهيولى التى لها أضعف حظّ من الوجود وهى القوة القابلة لكلّ صورة ولعلها هى المشار اليها فى دعاء السمات وانزجر لها **العمق الاكبر** كله واجبه وممكنه وماديه ومجرده حقيقة واحدة وان

اختلف فى القوة والضعف والوجوب والامكان والعلّية والمعلولية ولكن كل هـذا الاختلاف العظيم لا يخرجه عن كونه حقيقة واحدة ولا يصيره حقائق متبائنة وان كان بالنّظر الى حدوده ومراتبه متعدداً ومتكثراً ولكن حقيقته من حيث هى واحدة لا تعدد فيها ولا تكثر ألاترى أنّ الماء من حيث انواعه واصنافه ما اكثره واوسعه فماء السماء وماء البحر وماء النهر وماء البئر وهكذا ولكن مهما تكـثّرت الانـواع وتعدّدت المصاديق فحقيقة الماء وطبيعته فى الجميع واحدة وهكذا سائر الماهيات والطبائع اذاً فوحدة الوجود بهذا المعنى تكاد أن تكون مـن الضروريـات التى لا تستقيم حقيقة التوحيد الّا بها ولا تنتظم مراتب العلّة والمعلول والحق والخلق الا بها فالوجود واحد مرتبط بعضه ببعض من أعلى مراتبه من واجب الوجود نازلاً على أدناها وأضعفها وهو الهـيولى التى لا حـظ لهـا مـن الوجـود سـوى القـوة والاستعداد ثم منها ساعداً الى المبدء الاعلى والعلة الا ولى منه المبدء واليه المعاد، ثم انّ اول صادر منه واقرب موجود اليه هو العقل الكلى والصادر الاول (**اول ما خلق الله العقل**) الحديث وهو العقل الكلى الخارجى العينى لا الكلى الذهـنى المـفهومى وهو ظل الله وفيضه الاقدس ــــــ وظلّ الله المـمدود مـن سماء الجـبروت عـالم السكون المطلق ومركز الثبات، الى عالم الملك والملكوت والناسوت موطن التغيّر والحركات، ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً، وهذا هو وجه الله الكريم الذى لا يفنى ولن يفنى أبداً وهو اسم الله العظيم الأعظم ونوره المشرق على هياكل الممكنات الذى يطلق عليه عند الحكماء بالنفس الرحمانى وعـند العـرفاء بالحق المخلوق به، وفى الشرع رحمته التى وسعت كـل شىء والحـقيقة المحـمدية، والصادر الاول (**أوّل ما خلق الله نورى**) وهو الجـامع لكل العوالم عالم الجـبروت والملكوت والملك والناسوت، وجميع العقول المـفارقة والمجـردة والمـادية الكـلية والجزئية عرضية وطولية، والنفوس كذلك كـلية وجـزئية والارواح والاجسـام

والمثل العليا، وارباب الانواع التى يعبّر عنها فى الشرع بالملائكة والروح الاعظم الذى هو سيد الملائكة ورب نوعها. كل هذه العوالم صدرت من ذلك الوجود المطلق والمبدأ الاعلى الذى هو فوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى قوّة وشدّة وعدّة ومدّة، أو جد عزّ شأنه ذلك الصادر الاوّل الجمع لجميع الكائنات والوجودات الممكنات، أو جده بمحض المشيئة، وصرف الارادة فى أزل الآزال الى أبد الآباد ﴿ وَ مٰا أَمْرُنٰا إِلاّٰ وٰاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾[1] والتشبيه من ضيق نطاق الالفاظ، والّا فالحقيقة أدقّ وأرقّ من ذلك وهو المثل الاعلى الحاكى بنوع من الحكاية عن تلك الذات المقدّسة المحتجّبة بسرادق العظمة والجبروت وغيب الغيوب (**يا من لا يعلم ما هو الّا هو**) وذلك العقل الكلى أو الصادر الاول (ما شئت فعبرّ) أو الحقيقة المحمّديّة متصلة بمبدأها غير منفصلة عنه، لا فرق بينك وبينها الّا أنّهم عبادك وخلقك؛ بدؤها منك وعودها اليك، (**أنا أصغر من ربى بسنتين**) والكل وجود واحد ممتد بلا مدة ولا مادّة، من صبح الازل الى عشية الابد بلاحدّ ولاعدّ، ولا بداية ولا نهاية، ومن المجاز البعيد، وضيق خناق الالفاظ قولنا: هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن، وجوده قبل القبل فى أزل الآزال، وبقاؤه بعد البعد من غير انتقال ولا زوال.

همه عالم صداى نغمهٔ اوست — كه شنيد اين چنين صداى دراز

﴿ مٰا خَلْقُكُمْ وَ لاٰ بَعْثُكُمْ إِلاّٰ كَنَفْسٍ وٰاحِدَةٍ ﴾[2] وذلك النفس الرحمانى والعقل الكلّى، والصادر الاول ـ هو كتاب الله التكوينى ـ الذى لا نفاد لكلماته ﴿ قُلْ لَوْ كٰانَ الْبَحْرُ مِدٰاداً لِكَلِمٰاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمٰاتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنٰا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾[3]

---

(١) سورة القمر، آية ٥٠.

(٢) سورة لقمان، آية ٢٨.

(٣) سورة الكهف، آية ١٠٩.

ولو أردنا التوسع في هذه الغوامض والاسرارا وكشف الرموز عن هذه الكنوز ملأنا القماطير بالاساطير ولم نأت الاّ بقليل من كثير.

(مثنوى هفتاد من كاغذ شود)

ولكن ما ذكرناه مع غاية ايجازه لعلّه كاف للمتدبّر في أثبات المعنى الصحيح (لوحدة الوجود) وأنّه مترفّع الأفق عن الانكار والجحود، بل هو من الضروريات الأوليّة، وقد عرّفنا الضروري في بعض مؤلفاتنا بأنّه ما يستلزم نفس تصوّره حصول التصديق به ولا يحتاج الى دليل وبرهان، مثل أنّ الواحد نصف الاثنين فوحدة الوجود بالمعنى الذي ذكرناه لا ريب فيها ولا اشكال، انّما الاشكال والأعضال في وحدة الموجود فانّ المعقول في بادیء النظر وحدة الوجود، وتعدّد الموجود المتحصّل من الحدود والقيود والتعينات، ولكنّ الذي طفح وطغى في كلمات العرفاء الشامخين ومشايخ الصوفية السالكين والواصلين هو وحدة الوجود ووحدة الموجود أيضاً، وكانت هذه الكلمة العصماء يلوح بها أكابر العرفاء والأساطين في القرون الاولى كالجنيد[١] والشبلي[٢] وبا يزيد البسطامي،[٣] ومعروف الكرخي،[٤] وأمثالهم حتى وصلت الى الحلّاج وأقرانه الى أن نبغ في

---

(١) سعيد بن محمّد بن الجنيد القواريري الزاهد المشهور سلطان الطائفة الصوفية توفي سنة (٢٩٧هـ).

(٢) ابوبكر دلف بن جحدر الشبلي الخراساني البغدادي من كبار مشايخ الصوفية نقل: انه كان يبالغ في تعظيم الشرع المطهر توفي سنة (٣٣٤هـ).

(٣) ابويزيد البسطامي طيفور بن عيسى الصوفي الزاهد المشهور توفي سنة (٢٦١هـ).

(٤) معروف بن فيروز الكرخي ابومحفوظ احد اعلام الزهاد والعرفاء كان من موالي الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام توفي ببغداد سنة (٢٠٠هـ)، انظر تنقيح المقال، ج ٣، ص ٢٢٨؛ الاعلام، ج ٢، ص ١٠٥٦ ط مصر.

القرون الوسطى محى الدين العربى وتلميذاه القونوى.[١]

والقيصرى[٢] فجعلوها فناً من الفنون والمؤلّفات الضخام كالفتوحات المكية وغيرها، والمتون المختصرة كالفصوص والنصوص التى شرحها ونقحها صدر الدين القونوى، وانتشرت وعند عرفاء القرون الوسطى من العرب كابن الفارض وابن عفيف التلمسانى[٣] وغيرهما، ومن الفرس كثير لا يحصى عددهم كالعطّار[٤] والهاتف[٥] والجامى[٦] واضرابهم واحسن من أبدع فيها نظماً العارف التبريزى الشبسترى فى كتابه المعروف (كلشن‌راز) وخلاصة هذه النظرية أنّ تلك الطائفة لمّا ارادوا ان يبالغوا ويبلغوا أقصى مراتب التوحيد الذى ما عليه من مزيد، وان لا يجعلوا للحق شريكا لا فى الربوبية كما هو المعروف عند ارباب الاديان بل نفوا الشريك له حتى فى الوجود فقالوا لا موجود سوى الحق، وهذه الكائنات من المجرّدات والماديّات من أرضين وسماوات، وما فيها من الأفلاك والانسان والحيوان والنبات بل العوالم باجمعها كلها تطوراته وظهوراته وليس فى الدار غيره ديّار، وكل ما نراه أو نحسّ به أو نتعقله لا وجود له، وانّما الوجود والموجود

---

(١) ابوالمعالى صدر الدين محمّد بن اسحق الشافعى القونوى صاحب التصانيف توفى سنة (٦٧٣هـ).

(٢) داود بن محمود الرومى الساوى نزيل مصر صاحب شرح فصوص الحكم القيصرى توفى سنة (٧٥١هـ).

(٣) شمس الدين محمّد بن سليمان بن على المعروف بـ(ابن العفيف التلمسانى) وبـ(الشاب الظريف)؛ شاعر مترقق مقبول الشعر ولد سنة (٦٦١هـ) وتوفى سنة (٦٨٨هـ)، الاعلام، ج ٣، ص ٩٠٢.

(٤) فريد الدين محمّد بن ابراهيم النيشابورى المعروف بـ(الشيخ العطار) صاحب الاشعار والمصنفات فى التوحيد والمعارف توفى سنة (٦٢٧هـ).

(٥) الهاتف هو السيد احمد الاصفهانى الشاعر المشهور توفى سنة (١١٩٨هـ) والهاتفى هو المولى عبد الله ابن اخت الجامى توفى سنة (٩٢٧هـ).

(٦) المولى عبدالرحمن الجامى الدشتى الصوفى النحوى المنتهى نسبه الى محمّد بن الحسن الشيبانى وهو صاحب شرح الكافية فى النحو توفى سنة (٨٩٨هـ)، وقد يطلق الجامى على ابى نصر احمد بن محمّد البجلى المعروف (زنده پيل) احد مشايخ الصوفية توفى حدود سنة (٥٣٦هـ).

هو الحق جل شأنه، ونحن أعدام وليس وجودنا الّا وجوده.

ما عدمائيم وهستيهانما — تو وجود مطلق و هستی ما
که همه اوست و نیست جز او — وحده لا اله الا هو

وقد تفنّن هؤلاء العرفاء فى تقريب هذه النظرية الى الاذهان، وسبّحوا سبحاً طويلاً فى بحر هذا الخيال، وضربوا له الامثال (فصوّروه) تارة بالبحر وهذه العوالم والكائنات كامواج البحر فانها ليست غير البحر وتطوراته؛ وليست الامواج شيء سوى البحر فاذا تحرك ظهرت، واذا سكن عدمت واندحرت، وهو معنى الفناء المشار اليه بقوله تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَ يَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّکَ﴾[1] يفنى وجه الممكن ويبقى وجه الواجب.

چه ممکن گرد امکان برفشاند — بجز واجب دیگر چیزی نماند

نعم الامواج تطورات البحر لا شيء موجود غير وجود البحر.

چه دریای است وحدت لیک پر خون — کز او خیزد هزاران موج مجنون
هزاران موج خیزد مردم از وی — نگردد قطرهٔ هرگز کم از وی

قالوا: الوجه واحد والمرايا متعددة.

وما الوجه الا واحد غير أنه — اذا انت عدّدت المرايا تعددا

وكذلك العدد ليس الا تكرار الواحد الى ما لا نهاية له:

وجود اندر کمال خویش ساری است — تعینها أمور اعتباری است
أمور اعتباری نیست موجود — عدد بسیار و یک چیز است معدود
چه واحد گشته در اعداد ساری

---

(١) سورة الرحمن، آية ٢٦ ـ ٢٧.

ومن هذا القبيل التمثيل بالشعلة الجوّالة التى ترسمّ دائـرة نـارية مـن سرعـة حركتها وليست هى الا تلك الشعلة الصغيرة.

همه از وهم تـو ايـن صـورت غـير   چه نقطه دائره است از سرعت سير

والوجود واحد والموجود واحد له ظهورات وتطورات، يترآئى أنهـا كـثرات وليس الا الذات ومظاهر الا سماء والصـفات وشـؤون الجـمال والجـلال والقـهر واللطف؛ وقد رفع الكـثير مـنهم حـجب الاسـتار عـن هـذه الاسرار حـتى أنّ محى الدين العربى[1] عبّر عن كل هذا بتغيير كلمة فى البيت المشهور.

وفى كـــل شىء له آيــة   تـــدل عــلى أنّــه واحــد

فقال: (تدل على أنّه عينه) ثم تحامل وتقحم الى ما هو اصرح واعظم حيث قال:

سبحان مـن حـجّب نـاسوته   نـــور سـنا لا هـوته الثـاقب
ثم بـــــدا فى خـــلقه بـــارزا   بـــصورة الآكـــل والشـارب

ومشى على السبيل المتوعر كـثير مـن شـعراء العـرب وعـرفائهم فى القـرون الوسطى يحمل رأيتهم ويفرضها ابن الفارض[2] فى اكـثر شـعره ولا سـيما تـائيته الصغرى والكبرى التى يقول فيها:

هو الواحـد الفـرد الكـثير بـنفسه   وليس ســواه ان نــظرت بــدقة
بـدا ظـاهرا للكـل فى الكـل بـيننا   نشـــاهده بـــالعين فى كــل ذرّة

فكل مشاهد محسوس من الذرة الى الذرى ومن العرش الى الثرى هى اطواره

---

(١) ابو عبد الله محمّد بن على الحاتمى الطائى الاندلسى المكى الشامى صاحب كتاب الفتوحات المكية المعروف بين العرفاء بـ(الشيخ الاكبر) توفى سنة (٦٣٨هـ).

(٢) شرف الدين ابو القاسم عمر بن على الحموى المصرى العارف المـهشور صـاحب القـصيدة التـائية المعروفة توفى سنة (٦٣٢هـ)، بالقاهرة.

وانواره ومظاهره وتجلياته وهو الوجود الحق المطلق ولا شيء غيره فاذا قلت لهم فالاصنام والاوثان يقول لك العارف الشبستري.

مسلمان گر بدانستی که بت چیست بدانستی که دین در بت پرستی است

واذا قلت فالقاذورات قالوا نور الشمس اذا وقع على النجاسة هو ذلك النور الطاهر ولا تؤثر عليه النجاسة شيئاً.

نور خورشيد أر بيفتد بر حدث نور همان نور است نپذيرد خبث

وما اكتفوا بهذه التمثيلات والتقريبات حتى أخضعوا هذه النظريّةَ المتمردة على العقول لسلطان البرهان الساطع والدليل القاطع وبيانه بتنقيح وتوضيح منّا بعد مقدمتين وجيزتين «الاولى» أنّ الوجود والعدم نقيضان والنقيضان لا يجتمعان ولا يقبل أحدهما الاخر بالضرورّة فالوجود لا يقبل العدم والعدم لا يقبل الوجود يعني أنّ الموجود يستحيل أن يكون معدوما والمعدوم يستحيل أن يكون موجوداً والاّ لزم أن يقبل الشيء ضده ونقيضه وهو محال بالبداهة، (الثانية) أنّ قلب الحقائق مستحيل، فحقيقة الانسان يستحيل أن تكون حجراً، وحقيقة الحجر تستحيل أن تكون انساناً، وهذا لمن تدبّره من أوضح الواضحات، فالعدم يستحيل أن يكون وجوداً، والوجود يستحيل أن يكون عدماً، وبعد وضوح هاتين المقدمتين نقول: لو كان لهذه الكائنات المحسوسة وجود بنفسها لاستحال عليها العدم لأنّ الوجود لا يقبل العدم وهو منافر له وضد له بطبيعته، مع أننّا نراها بالعيان توجد وتعدم وتظهر وتفنى فلا محيص من الالتزام بانّها غير موجودة وليس الموجود الا وجود واجب الوجود الازلى الحق الذى يستحيل عليه العدم بطبيعة ذاته المقدسة وكل ما نراه من هذه الكائنات التى نحسبها بالوهم موجودة هى اطواره ومظاهره يفيضها ويقبضها يبقيها ويفنيها ويأخذها ويعطيها وهو المانع

والمعطى والقابض والباسط وهو على كلّ شيء قدير وكل شيء هالك الا وجهه، وكلّ الاشياء تجلياته وظهوراته واشراقاته وانواره وكل الكائنات والممكنات كلها مضافة اليه بالاضافة الا شراقية لا المقولية اطرافها اثنان لا ثلاثة وسواء قلنا بأنّ هذا البرهان صخرة صماء لا تمسه اظافر الخدشة أو أنّ للمناقشة فيه مجال فهو برهان منطق على أصول الحكمة والمنطق هذا عدا ما يدعونه من الشهود والمكاشفة والعيان الذى هو اسمى من الدليل والبرهان اذ يقولون انّ الدليل عكازة الاعمى :

پاى استدلاليان چوبين بود　　　پاى چوبين سخت بى‌تمكين بود

* * *

زهى احمق كه او خورشيد تابان　　　بنور شمع جويد در بيابان

در آن جائى كه نور حق دليل است　　　چه جاى گفتگوى جبرئيل است

سبحانك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك، ومتى بعدك حتى تحتاج الى ما يوصلنا اليك، عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيبا.

ومع هذا كله فانّ علماء الظاهر وامناء الشرع يقولون ان سالك هذا الطريق كافر زنديق و هذه الطريقة أعنى وحدة الوجود والموجود عندهم زندقة والحاد، تضاد عامّة الشرائع والأديان مهما قام عليها الدليل والبرهان، اذ حينئذ اين الرّب والمربوب، أين الخالق والمخلوق، وما معنى الشرائع والتكاليف، وما هو الثواب والعقاب، وما الجنة والنار، وما المؤمن والكافر، والشقى والسعيد، الى آخر ما هنالك من المحاذير واللوازم الفاسدة، ولعلّ هذا هو مدرك ما ذكره السيد الاستاذ ﵀ «فى العروة الوثقى» ما نصّه[1] (القائلين بوحدة الوجود من الصوفيّة اذا

---

(١) فى فصل النجاسات وان منها الكافر باقسامه مسألة : ٢.

التزموا باحكام الاسلام فالاقوى عدم نجاستهم) واذا أحطت خبراً بما ذكر ناتعرف ما فى هذا وأمثاله من كلمات الفقهاء رضوان الله عليهم، وانى لا ارى من العدل.

والانصاف، ولا من الورع والسداد، المبادرة الى تكفير من يريد المبالغة فى التوحيد وعدم جعل الشريك لله تعالى فى كل كمال والكمال والوجود كله لله وحده لا شريك له، ومع ذلك فهم يؤمنون بالشرائع، والنبوات والحساب، والعقاب، والثواب، والتكاليف، بأجمعها على ظواهرها فالحقيقة لا تصح عندهم ولا تنفع بدون الطريقة والطريقة لا تجدى بدون الشريعة والشريعة هى الاساس وبها يتوصل ملازم العبادة، الى أقصى منازل السعادة وعندهم فى هذه المسائل مراحل ومنازل وتحقيقات أنيقة وتطبيقات رشيقة ومعارج يرتقى السالك بها الى اسمى المناهج ومؤلفات مختصرة ومطوّلة فوق حد الاحصاء نظما ونثرا و اذكار سرّاً وجهراً ورياضات ومجاهدات لتهذيب النفس وتصفيتها كى تستعد للحوق بالملاء الاعلى والمبد الاول وهناك من البهجة والمسرة والجمال والجلال ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهيهنا أسرار عميقة ومباحث دقيقة لا تحيط بها العبارة ولا تدركها الاشارة فلنتركها لاهلها، ونسأله تعالى أن يفيض علينا من فضله بفضلها، نعم لا ريب انّ كل طائفة اندس فيها من ليس من أهلها من الدخلاء وأهل الاهواء حتى يكاد أن يغلبوا على أربابها الاصحاء، فلا ينبغى ضرب الجميع بسهم واحد وأخذهم أو نبذهم على سواء كما أنّ بعض المتطرفين المتوغّلين فى الغرام والهيام والشوق الى ذلك المقام الاسمى قد توقدت شعلة المعرفة فى قلوبهم فلم يستطيعوا ضبط عقوهم والسنتهم فصدرت منهم شطحات لا تليق بمقام العبودية مثل قول بعضهم (أنا الحق) (وما فى جبتى الا الحق) وأعظم منها فى الجرأة والغلط والشطط قول بعضهم (سبحانى ما اعظم شأنى) وهذه الكلمات قد حملها الثابتون منهم على أنها صدرت من البعض حالة المحو لا حالة الصحو، وفى

مقام الفناء فى الذات ، لافى مقام الاستقلال والثبات ، ولو صدرت فى غير هذه الحال لكانت كفراً على انّ المنقول عن الحلّاج[١] انه قال للذين اجتمعوا على قتله اقتلونى فان دمى لكم مباح لانى قد تجاوزت الحدود ومن تجاوز الحدود (أقيمت عليه الحدود) ولكن العارف الشبستري[٢] التمس العذر لهذه الشطحات وحملها على احسن وجه حيث قال :

انا الحق كشف آن اسرار مطلق — بجز حق كيست تا گويد أنا الحق
روا باشد انا الحق از درختى — چرا نبود روا از نيک بختى

يقول من ذا يستطيع غير الحق أن يقول انا الحق واذا صح وحسن من الشجرة ان تقول انا الله فلماذا لا يحسن ذلك من العارف الحسن الحظ وحقاً أقول انّ من أجال فكره وأمعن النظر فى جملة من آيات القرآن العزيز وكلمات النبى والائمة المعصومين سلام الله عليهم وادعيتهم واورادهم سيجد فى الكثير منها الاشارة الى تلك النظرية العبقرية ، وقد شاعت كلمة رسول الله ﷺ وهى قوله سلام الله عليه : (اصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد) .[٣]

---

(١) ابو معتب الحسين بن منصور الحلاج الصوفى الشهير قتل فى سنة (٣٠٩هـ) ببغداد اختلف الناس حتى الصوفية فى حقه . انظر الفهرست لابن النديم ، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٢ ط مصر . تنقيح المقال ، ج ١، ص ٣٤٥ ط نجف . الكنى والالقاب ، ج ٢، ص ١٦٤ ط صيدا .

(٢) سعد الدين محمود بن أمين الدين التبريزى الشبسترى من اكابر العرفاء والحكماء صاحب كتاب (گلشن راز) الذى ناهز شروحه عن احد عشر شرحا توفى سنة (٧٢٠هـ) ولم يتجاوز عمره عن (٣٣) سنة وقد عد فى كشف الظنون بعض مؤلفاته من كتب الشيعة وكذا شيخنا البحاثة المحقق فى الذريعة انظر ، ج ٤، ص ١٥٨ و ج ٧، ص ٤٢ ط طهران .

(٣) لبيد بن ربيعة العامرى الانصارى من الشعراء الخضرمين يقال انه مات فى زمن معاوية وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة ولم يقل شعرا فى الاسلام الا بيتاً واحداً وهو قوله :

الحمد لله اذ لم يأتنى أجلى — حتى كسانى من الاسلام سر بالا

←

(ألا كل شيء ما خلا الله باطل)[١]

وقد تضمنت هذه الكلمة في طيّاتها كل ما قاله العرفاء الشامخون من أنّ الاشياء أعدام اذليس الباطل الّا العدم وليس الحق الّا الوجود فالاشياء كلّها باطلة وأعدام وليس الحي والموجود الّا واجب الوجود وهذا كل ما يقوله ويعتقده اولئك القوم أفاض الله سبحانه هذه الكلمة على لسان ذلك الشاعر العربي الذي عاش أكثر عمره في الجاهلية وأدرك في أخريات حياته شرف الاسلام فاسلم وقد صدق تلك الجوهرة الثمينة الصادق الامين ومثلها كلمة ولده صادق أهل البيت سلام الله عليه (العبودية جوهرة كنهها الربوبية) بل لو أمعنت النظر في جملة من مفردات القرآن المجيد تجدها وافية بذلك الغرض واضحة جلية مثل قوله تعالى: ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** ﴾[٢] و ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾[٣] فان المشتق حقيقة فيمن تلبس بالمبدء حالاً فكلّ شيء فان فعلاً وهالك حالاً لا أنّه سوف يهلك ويفنى.

ومهما أحاول أن أوضح الحقيقة أجدها عني أبعد من الشمس بيد أنّها أجلى منها وأنّى لهذا اليراع القصير والعقل الصغير أن يجرء فيتناول جرعة من ذلك البحر الغزير يا من بعد في دنوه، ودنى في علوه، ربنّا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير، سبحانك لا احصى ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك وفوق ما يقول القائلون وانا لله وانا اليه راجعون.

← وقال له عمر أنشدني من شعرك فقراء سورة البقرة وقال: ما كنت لا قول شعراً بعد اذ علمني الله سورة البقرة.

الشعر والشعراء لابن قتيبة، ص ٥٠ ط ١ مصر سنة (١٣٢٢هـ).

(١) والمصرع الثاني قوله: (وكل نعيم لا محالة زائل) وبعده هذا البيت.

سوى جنة الفردوس ان نعيمها   يدوم وان الموت لابد نازل

(٢) سورة الرحمن، آية ٢٦.

(٣) سورة القصص، آية ٨٨.

٦٩

المعاد الجسمانى

المهمّ والأعضال فى هذا الموضوع هو تصوّر كيف يعود هذا الجسم العنصرى التى تعتور عليه الاطوار والادوار المختلفة المتنوعة التى ينتقل فيها من دور الى دور لا يدخل فى واحد الا بعد مفارقة ماقبله ولا يتشكّل الا بشكل يباينه ما بعده ينشأ جنيناً، ثم طفلاً رضيعاً ثمّ صبيّاً وغلاماً، ثم شباباً وكهلاً، ثم شيخاً وهرماً، فبايّ صورة من هذه الصور يبعث وأيّ جسم من هذه الأجسام يعود ؟ ثم كيف يعود ؟ وقد تفرّق ورجع كلّ شيء الى أصله غازاً وتراباً، وكل ما فيه من عناصر، ولو جمعت كلها واعيدت فهو خلق جديد وجسد حادث، غايته أنّه مثل الاوّل لا عين الأوّل، مضافاً الى الشبهات الكثيرة، كاستحالة أعادة المعدوم، وشبهة الآكل والمأكول وغير ذلك، وحيث أنّ الاعتقاد بالمعاد روحاً وجسماً يعدّ من اصول الدين الخمسة، أو من دعائم الاسلام الثلاثة : التوحيد، والنبوة، والمعاد، ومهما كان فلا مجال للشّك بانّ المعاد الجسمانى على الاجمال من ضروريّات دين الاسلام، وهل الضرورى من الدّين الاّ ما يكون التدين بذلك الدين مستلزماً للاعتقاد والتدين به مثلاً وجوب الصلاة من ضروريات دين الاسلام فهل يعقل الالتزام

بدين الاسلام مع عدم الالتزام بوجوب الصلاة ؟ والتصديق بنبوّة النبى صلى الله عليه وآله عبارة عن التصديق بانّ كلّ ما جاء به حق وهو من الله جلّ شأنه وهذا القدر يكفى فى الاعتقاد بالمعاد ولا حاجة الى أكثر من هذا للخروج من عهده التكليف الشرعى أو العقل ولا يلزم معرفة كيف يعود ؟ ومتى يعود ؟ وأين يعود ؟

فانّ التكليف بمعرفتها تكليف شاقٌّ على الخواص فكيف بغيرهم فانه يكاد يكون تكليفاً بما لا يطاق والعلم اللازم فى أصول الدين لا يقدح فيه الاجمال ولا يلزم فيه أن يكن قادراً على البرهنة والاستدلال بل يكفى فيه حصوله من أىّ سبب كان وعدم جواز التقليد فى أصول الدين يراد منه عدم كفاية الظن ولزوم القطع واليقين لا لزوم اقامة الحجج والبراهين ، والغاية من هذا البيان والغرض الاقصى به أنه لا يجب على المكلفين ولا سيّما العوام البحث عن كيفية المعاد الجسمانى بل قد لا يجوز لهم ذلك كسائر قضايا القواعد النظرية والمباحث الحكمية مثل قضية القضاء والقدر والخير والشر والاختيار والجبر ما الى ذلك من المعضلات العويصة اذ قد تعلق الشبهة بذهن أحدهم[1] ولا يقدر على التخلّص منها فيكون من الهالكين كما هلك ابليس اللعين بشبهة خلقتنى من نار وخلقته من طين ، فالاولى بل الاسلم هو الالتجاء الى العلم الحاصل من النقل من كتاب وسنّة واعتبارات يستفاد من مجموعها اليقين بأنّ المعاد الجسمانى مثلاً من اصول الدين ويلتزم به ويقف عند هذا

---

(١) فان الشبهة قد تثبت بالخاطر وتعلق به ويضل فهم احدهم عن ذكر الجواب اذا لشبهة قد تكون جلية واضحة ولكن الجواب عنها يكون دقيقاً علمياً غامضاً لا يحتمله عقله فيتورط فى الهلكة كما صرح به الامام المحقق نصير الدين الطوسى رحمه الله أيضاً فى كلام أجاب به عن بعض من سأله عن ايمان الجاهل بادلة المعارف الخمسة وصدع رحمه الله بايمانه وان كان جاهلا بأدلتها تفصيلا ونقل تلك الرسالة الوجيزة بتمامها العلامة ابن ابى‌جمهور الاحسائى رحمه الله فى كتابه (معين المعين) المخطوط ـ ونقلها ايضاً القاضى نور الله الشهيد رحمه الله فى مجالس المؤمنين رحمه الله والعلامة الفيض القاشانى رحمه الله فى كتابه محجة البيضاء ولكن بتغيير فى بعض العبارات والظاهر أن الرسالة المذكورة هى التى اشار اليها الشيخ الانصارى رحمه الله فى (الرسائل) ـ فى الكلام فى اعتبار الظن فى اصول الدين .

الحدوعلى هذه الجملة والاجمال لا يتجاوزه الى تفاصيل الاحوال، اما الاستدلال عليه كما قد يقال، بأنّه ممكن عقلاً وقد أخبر به الصادق الامين فيجب تصديقه فهو دليل لا مناعة فيه لدفع الاشكال فانّ المانع يمنع الصغرى ويدعى أنّه ممتنع عقلاً امّا لاستحالة أعادة المعدوم أو لغير ذلك من المحاذير المعروفة وحينئذ، فاذا ورد ما يدل عليه بظاهر الشرع فاللازم تأويله كي لا يعارض النقل دليل العقل كما فى سائر الظواهر القرآنية مثل يد الله فوق أيديهم والرحمن على العرش الى كثير من امثالها مما هو ظاهر فى التجسيم المستحيل عقلاً اذاً أليس الاسد والاسعد للانسان القناعة بالسنّة والقرآن وترك البحث والتعمق وطلب التفصيل فى كل ما هو من هذا القبيل ؟ ولعلّ هذا المراد من الكلمة المأثورة[1] «**عليكم بدين العجائز**» أى اعتقاد

---

(١) مراد شيخنا الامام رحمه الله من كون تلك الكلمة مأثورة هو كونها مأثورة عن بعض السلف لا انها مأثوره بهذه العبادة عن أحد المعصومين عليهم السلام لانها ليست من المأثورات عن النبى صلى الله عليه وآله أو أهل بيته عليهم السلام ولم يروها أحد من المحدثين بطرق اصحابنا الامامية أو بطرق أهل السنة فى الجوامع الحديثية عنهم صلوات الله عليهم كما حققنا ذلك تفصيلا فى بعض مجاميعنا . وقال الحافظ ابو الفضل محمّد بن طاهر بن أحمد المقدسى فى كتابه (تذكرة الموضوعات)، ص ٤٠ ط ٢ مصر سنة ١٣٥٤ (عليكم بدين العجائز ليس له أصل من رواية صحيحة ولا سقيمه الا لمحمد بن عبدالرحمن اليلمانى بغير هذه العبارة له نسخة كان يتهم) . وذهب جماعة من العلماء كالشيخ البهائى وتلميذه الفاضل الجواد والفاضل المازندرانى الى ان تلك الكلمة من كلام سفيان الثورى من متصوفة العامة وقال القوشجى فى شرح التجريد ان عمرو بن عبيدة لما اثبت منزلة بين الكفر والايمان فقالت عجوزة قال الله تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن فلم يجعل الله من عباده الا الكافر والمؤمن فقال سفيان عليكم بدين العجائز وقال المحقق القمى رحمه الله صاحب القوانين (المذكور فى الالسنة والمستفاد من كلام المحقق البهائى رحمه الله فى حاشية الزبدة ان هذا هو حكاية دولابها وكف اليد عن تحريكها لاظهار اعتقادها بوجود الصانع المحرك للافلاك المدبر للعالم) وحكى سيد الحكماء السيد الداماد رحمه الله فى (الرواشح السماوية)، ص ٢٠٢ ط طهران، عن بعض العلماء ان (عليكم بدين العجائز) من الموضوعات وعن كتاب (البدر المنير) انه لا اصل له بهذا اللفظ .

ولكن روى الديلمى مرفوعاً اذا كان فى آخر الزمان واختلفت الاهواء فعليكم بدين اهل البادية والنساء قفوا على ظواهر الشريعة واياكم والتعمق الى المعانى الدقيقة اى فانه ليس هناك من يفهمها انتهى .

الطاعنين أو الطاعنات في السنّ فانّ من نشأ على عقيدة وشب وشاب عليها تكون في أقصى مراتب الرسوخ والقوة، ولا تزيله كلّ الشبهات والتشكيكات عنها، وان كانت العقيدة عنده مجردة عن كل دليل بل تلقاها من الآباء والامهات انّا وجدنا آبائنا على امة وانّا على آثارهم مقتدون، ولعلّ في الكلمة (العجائز) تلميحاً أيضاً الى العجز عن اقامة الدليل، فان أهل الاستدلال والصناعات العلمية غالبا اقرب الى التشكيك من اولئك البسطاء المتصلبين في عقائدهم غلطاً كانت في الواقع أو صواباً ولذلك كانت الانبياء سلام الله عليهم يقاسون أنواع البلاء وأشدّ العناء في اقناع أمتّهم بفساد عقائدهم واقلاعهم عنها من عبادة الاصنام أو غيرها، والبساطة في كل شيء أقرب الى البقاء والدوام من التركيب والانضمام، والبسائط أثبت من المركباب، لقبول الاجزاء الانحلال والتفكك، ولعل هذا هو السبب في جعل الاعتماد في الاعتقاد بالمعاد والجسماني منه خاصة على ظواهر الشرع والادلة النقلية دون العقلية من بعض أكابر الحكماء كالشيخ الرئيس ابن سينا ﵀ حيث قال في المقالة التاسعة من الهيات الشفاء (فصل في المعاد) وبالحرى أن نحقق ههنا احوال النفس الانسانية اذا فارقت أبدانها وانّها الى اى حالة تعود فنقول: يجب أن يعلم ان المعاد منه ما هو مقبول من الشرع ولا سبيل الى اثباته الا من طريق الشريعة وتصديق خبر النّبوة وهو الذى البدن عند البعث وخيرات البدن وشروره معلومة وقد بسطت الشريعة الحقة التى أتانا بها سيّدنا ونبينا ومولانا محمّد بن عبدالله ﷺ حال السعادة والشقاوة التى بحسب البدن، ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهانى وقد صدقته النبوة وهما السعادة او الشقاوة التى للأنفس انتهى محل الحاجة منه. وعليه فمن حصل له الاعتقاد بالمعاد من الادلة السمعية ولم تعرض له فيه شبهة توجب تشكيكه لرسوخ عقيدته وقوتها فقد وفق وأصاب، وبلغ النصاب، ولا ينبغى بل قد لا يجوز له الخوض في الادلة العقلية والاصول

النظرية ولكن من عرضته الشبهة واعتقد بالاستحالة والامتناع عقلاً وأنّه لابد من تأويل الظواهر الشرعيّة كي لا يتنافى الشرع مع العقل ويسقط عنده قول المستدل: انّه ممكن وأخبر به الصادق الامين لاندفاعه عنده بما أشرنا اليه قريباً فلابد حينئذ من رفع هذه الدعوى أعني دعوى الاستحالة والامتناع واثبات انّه ممكن عقلاً بل واقع فاللازم اثبات امكانه الذاتي وامكانه الوقوعي ابقاء للادلة الشرعية على ظواهرها، وقطع أيدي التأويل عن منيع مقامها.

وحيث أنّ الحاجة الى النظر في هذه القضية لابد أن يكون من غير الظواهر النقلية بل من المبادء العقلية، فاعلم اوّلا أنّ الاقوال في المعاد أربعة: (احدها) انكاره مطلقاً لا جسماً ولا روحاً، وهو قول جميع الملاحدة والطبيعيين الذين ينكرون المبدأ، فكيف المعاد وهما متلازمان في المفاد وبينهما أقوى مراتب الاتحاد واثبات المبدأ يكفي في ابطال هذا القول. راجع الجزء الاول من (الدين والاسلام) تجد فيه لا ثبات الصانع ما يغنيك عن غيره، باجلى بيان، وأقوى برهان.

(ثانيها) اثبات المعاد الروحاني فقط نظراً الى أنّ الارواح مجرّدة والمجرد باق، والجسم مركب من عناصر شتى، واذا فارقته الروح، ودخلت في عالم المفارقات انحل هذا المركب ولحق كل عنصر باصله. وانعدم وتلاشى ذلك المركب، وانعدمت تلك الصورة، والمعدوم يستحيل عوده والروح باقية، وهي التي تعاد للحساب وانجاز عملية الثواب والعقاب، ولعل الى هذا الرأي المثالي أو الخيالي بشير المعلم الثاني ابو نصر الفارابي ﵀[1] في ارجوزته التي يقول فيها.

---

(١) محمّد بن محمّد بن طرخان ابو نصر الفارابي ويعرف بالمعلم الثاني من اكبر حكماء المسلمين وفلا سفتهم المشاهير. وهو تركي الاصل مستعرب ولد في (فاراب) «٢٦٠هـ» وانتقل الى بغداد فنشأ فيها ورحل الى الشام واتصل بسيف الدولة الهمداني وتوفي في دمشق سنة ٣٣٩هـ وصلى عليه سيف الدولة

←

. . . .

← في اربعة من خواصه متستراً. وكان مقدما في كل الفنون لم يشاركه في التعليم أحد الا المعلم الاول (أرسطو) وله نحو مائة تصنيف وبكتبه تخرج الشيخ الرئيس ابو علي ابن سينا ولولاه لم يكن أبو علي رئيساً لحكماء الاسلام كما نقل عن ابن سينا نفسه وكان يحسن أكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره. وكان ازهد الناس في الدنيا والاعراض عنها. ولا شك في تشيعه وحسن عقيدته ولكنه أيضاً كامثاله من الاكابر وقع هدفا لسهام اللوم والتكفير والطعن والتفنيد. وقد تقدم منا أنه لا وقع في التاريخ الصحيح بهذه التهم والافاتك لان اغلب الاكابر لم يسلموا عن هذه السهام المسمومة ولم يشذ أحد منهم عن القذف بالمروق والشذوذ وما شابه ذلك ولم يسلم أكثرهم سواء في حياتهم أو بعد مماتهم عن الكلمات الخاطئة والتحامل عليهم بالقول الزور وبكل أفيكة. ولذا لا ينبغي التسرع الى تلقي تلك الكلمات الشائنة في حقهم بالقبول والاصغاء اليها كما صرح به العلامة الوحيد البهبهاني ﷺ وغيره لان للرمي بالتكفير والتفسيق وما شابههما جهات واسباب مختلفة لا يسعنا المقام ذكر هامنها الجهل وقصور الفهم وعدم القابلية والاستعداد لدرك الحقائق ونقصان الغريزة عن فهم المطالب الغامضة والمعاني الدقيقة التي دبجوا الاكابر تضاعيف عباراتهم المعضلة وكلماتهم المتشابهة بها وهي ودائع منهم لاهلها ولمن نال استعداد فهمها وحفظها فصلوات الله وتسليماته على من تكلم بهذه الكلمة النيرة ان (هذه القلوب اوعيه وخيرها اوعاها). ومن الواجب على رواد العلم وحملة الفضيلة أن ينعموا النظر في تلك الكلمات والعبارات والمطالب الغوامض ويحملوها على الصحة والسداد لا على الاعوجاج والفساد مع الذهول عن المقصود والغفلة عن المراد، ويتركوا الجمود والخمود، مع التجنب عن الاضطهاد والتباعد عن البغضاء والعناد ونبذ المعادات والتهمات، والى غيرها من الصفات والموبقات. وأن يحملوا كلمات كل طائفة على ما هو ظاهر عندهم ومعلوم لديهم مع رعاية مصطلحاتهم ومعرفد اصطلاحاتهم واياهم والتداخل في العلوم التي لم يحوموا حولها ولم يدرسوها بالدراسة التحليلية عند اساتذتها كما أشار بذلك شيخنا وأستاذنا الامام العلامة ادام الله ايامه فيما تقدم من ترجمة كلماته الشريفة، ص ٤١ ـ ٤٣ فانهم ان لم يراعوا هذه الطريقة المثلى والشرعة الوسطى، ولم يرفضوا المشاغبات والمضاربات من جميع الجهات، ولم يتركوا المطاعنات والمشاحنات من كافة نواحيها، فلا محالة يتورطون في المهالك والمسالك الوعرة، والغياهب المدهشة. وأخزى تلك النكبات والهلكات تكفير قوم بغير حق وهذه هلكة هلكاء وشقة سوداء. ولذا لم يكد يسلم اكثر الاكابر في كل الاعصار وحتى اليوم عن طعن الطاعنين ورمي المغرضين وغمز الجاهلين وتكفير القاصرين.

أليس مثل الشيخ الرئيس ابن سينا والفقيه الحر المتضلع ابن ادريس الحلي صاحب السرائر وآيةالله العلامة الحلي والشيخ ابن أبي جمهور الاحسائي صاحب غوالي اللئالي وشيخنا البهائي وتلميذه صدر المتألهين صاحب كتاب الاسفار الذي هو من جلائل كتب الامامية ومن أنفس آثارهم العلمية

←

....

← والحكيم الالهى المولى رجبعلى التبريزى وتلميذه القاضى سعيد القمى والمحقق الثانى صاحب جامع المقاصد والفيض القاشانى صاحب الوافى والمحقق السبزوارى صاحب الكفاية والذخيرة ونظرائهم من حماة الحق وذادته، واعضاد الدين وقادته، لقوا ما لقاه أمثالهم من الطعن والتشنيع ؟ بل جم غفير من علمائنا قبل هؤلاء العظماء لم يسلموا من الرمى بالغلو والتكفير، والتصوف البغيض، أليس القميين رموا جمعاً من علمائنا بالغلو والتكفير وأخرجوا رجالا من (قم) بأدنى غمز فيهم وكانوا ينسبون اليهم الانحراف فى العقائد الدينية بمجرد رؤية رواية فى كتابهم أو نسبة أحد ذلك اليهم حتى أفرطوا فى الجمود وطعنوا فى مثل يونس بن عبدالرحمن الثقة الكبير الذى كان من أكابر رجال الشيعة وعلامة زمانه ؟ وقد وبخ سيدنا مفخرة الامامية السيد المرتضى علم الهدى ﵀ فى بعض رسائله (وتشرفت بمطالعة هذه الرسالة وهى مخطوطة) القميين بسبب جمودهم على الظواهر وافراطهم فى التمسك بها واستثنى منهم رئيس المحدثين الشيخ الصدوق ﵀ حيث أن الافراط فى الجمود على ظواهر عدة من أخبار الاحاد ـ التى لابد من تأويلها ورفع اليد عن ظاهرها ـ يفضى الى بعض المحظورات والاخطار من الجبر والتشبيه وأمثال ذلك ولذا وبخهم سيد الامامية وحذرهم من ذلك ولم يكن مقصود السيدان القميين كانوا يعتقدون بعض العقائد الفاسدة. حاشا سيد الامامية من نسبة العقائد السخيفة اليهم وحاشاهم أيضاً أن يعتقدوا العقائد الباطلة كما هو معلوم بالضرورة وقد ذهل العلامة المولى ابى الحسن العاملى ﵀ تلميذ العلامة المجلسى ﵀ عن مقصود سيد الامامية وزعيمها ولم يصل الى مغزى مرامه فصنف رسالته (تنزيه القميين) المطبوعة «بقم» سنة (١٣٦٨) حيث تخيل ان مراد السيد ﵀ أن القميين يعتقدون بعض العقائد السخيفة حقيقة فتصدى فى تلك الرسالة للذب عنهم واثبات نزاهة ساحتهم المقدسة عنها مع أن جلالة السيد ﵀ الاسمى أجل وأسنى من أن ينسب اليهم بعض الاعتقادات الممقوتة فما نسبه المولى العاملى ﵀ الى السيد ﵀ وتصدى للجواب عنه فلعله ذهول منه ﵀ ولكن هو أبصر وأعرف بما جادت به يراعته فلوجمعنا ما ضبطه التأريخ من الطعون على الاكابر لصار كتابه مستقلا وسفراً لطيفاً. وقال الوحيد البهبهانى ﵀: (الذى نراه فى زماننا انه لم يسلم جليل مقدس وان كان فى غاية التقدس عن قدح جليل فاضل متدين فما ظنك بغيرهم ومن غيرهم حتى آل الامر الى انه لو سمعوا من احد لفظ «الرياضة» وامثال ذلك اتهموه بالتصوف وجمع منهم يكفرون معظم فقهائنا بانهم يجعلون لاهل السنة نصيبا من الاسلام).

فالتكفير الذى تفوه به بعض فى حق الحكيم الفارابى وأمثاله انما هو من هذا القبيل وناش من عدم تأمل وتحليل وقال بعض الاعلام ﵀ (اعلم أن بعض العلماء تسرع فى تكفير الفارابى حيث وجد فى كتبه مايدل على قدم العالم وانكار المعاد وأمثال ذلك ولم يلتفت أن هذا كله ترجمة بالعربى لكتب بعض الفلاسفة لا أنّه كتاب عقيدة لابى نصر الفارابى أو ليس فى رسالة النصوص المنسوبة اليه خلاف هذه ←

أصبح فى بلابلى وامسى | أمسى كيومى وكيومى أمسى
يا حبذا يوم حلال رمسى | مطلع سعدى ومغيب نحسى
من عرض يبق بدار الحس | وجوهر يرق لدار القدس

وكل جنس لاحق لجنس

ويعنى بالعرض الجسم التعليمى، ذا الابعاد الثلاثة. والكيفيات الخاصة وهو الذى تتفرق بالموت اجزاؤه، ويلحق كل جزء بأصله من العناصر ولم يعلم رأيه انما تعود أولا تعود وكيف تعود، وعلى كل فبطلان هذا القول يبتنى على منع صيرورة البدن معدوماً بالموت أو بعد الموت كما سيأتى قريباً ان شاء الله تعالى.

(ثالثها) القول بالمعاد الجسمانى فقط، وهو مذهب جميع أهل الظاهر من المسلمين وبعض المتكلمين، وهو لازم كل من أنكر وجود النفس والروح المجردة، بل أنكر وجود كل مجرد سوى الله (**فلا مجرد الا الله**) أمّا الملائكة، والعقول، والنفوس والارواح، فكلّها اجسام، غايته انّها تختلف من حيث اللطافة والكثافة والعنصرية والمثالية، يظهر هذا من كلمات عدة من العلماء ولكنّى اجلهم عن ذلك؛ وكلماتهم محمولة على غير ما يترائى منها، ومغزاها معانى أخرى جليلة.[1]

(رابعها) وهو أحقها وأصدقها اثبات المعاندين الجسمانى والروحانى أى معاد

← الكلمات؟ وبالجملة لا ينبغى التسرع فى مثل هؤلاء الاعاظم المعلوم بالضرورة اسلامهم وايمانهم بمجرد السواد على البياض الذى لم يتحقق موضوعه ولا حقيقة نسبته ولا صاحب قيله نعوذ بالله من سوء الرأى فى الاعاظم). ونسأل الله تعالى أن يحفظنا من الاعوجاج وأن يجمع كلمتنا على الخير والهدى وامانة المطاعنات وهو مجيب الدعوات وغافر الخطايا والسيئات.

(١) ولعل من معانى كلامهم أنه اذا أعيدت الاجسام لزمت اعادة الارواح أيضاً باعتبار المشاركة للطافتها وسريانها فيها كما حمل قولهم على ذلك بعض العلماء اذلا معنى لحشر الاجساد فقط فانها حينئذ جمادات ولا يقول بذلك عاقل فهذا القول يرجع أيضاً الى القول بالمعادين الجسمانى والروحانى معاً وحمله على الجسمانى فقط بديهى البطلان ولذا قال شيخنا الامام دام ظله: (ولكنى اجلهم عن ذلك).

هذا الجسد الذى كان فى الدنيا بروحه وجسمه ! فيعود للنشر يوم الحشر كما كان، ويقف للدينونة بين يدى الملك الديان كما هو ظاهر جميع ما ورد فى القرآن الكريم من الآيات الدالة على رجوع الخلائق الى الله عزّ شأنه والرد على منكرى البعث والمعاذ لمحض العناد، او الاستبعاد أو اخذاً بقضية استحالة اعادة المعدوم المرتكزة فى الاذهان، وقد رد عليهم الفرقان المحمدى بانحاء من الاساليب البليغة البالغة، الى أقصى مراتب البلاغة والقوة، يعرفها من يتلو القرآن يتدبر وامعان، وحيث أنّ غرضنا المهم من تحرير هذه الكلمات هو اثبات الامكان، ودفع الاستحالة ؛ كى تبق ظواهر الأدلة على حالها، لذلك لم نتعرض لسرد تلك الآيات النيّرات واتجهنا الى تلك الوجهة، ودحض تلك الشبهة، بأوضح بيان، وأصحّ برهان، ومنه تعالى نستمد وعلى فضل فيضه نعتمد، ونقول: حيث أنّ من الواضح المعلوم بل المحسوس لكل ذى حس، أنّ كل شخص من البشر مركب من جزئين، الجزء المحسوس وهو البدن العنصرى الذى يشاهد بعين الباصرة ويشغل حيزاً من الفضاء، وجزء آخر يحسّ بعين البصيرة ولا تراه عين الباصرة، ولكن يقطع كل أحد بوجود شيء فى الانسان، بل والحيوان غير هذا البدن، بل هو المصرف والمتصرّف فى البدن، ولولاه لكان هذا البدن جماداً لأحس فيه ولا حركة ولا شعور ولا ارادة ؛ اذاً فيلزمنا للوصول الى الحقيقة والغاية المتوخّاة البحث عن هذين الجزئين فاذا عرفناهما حق المعرفة فقد عرفنا كل شيء واندفع كل اشكال ان شاء الله.

(واليك البيان) يشهد العيان والوجدان وهما فوق كل دليل وبرهان واليهما منتهى أكثر الادلة أن هذا البدن المحسوس الحى المتحرك بالارادة لا يزال يلبس صورة ويخلعها وتفاض عليه أخرى وهكذا لا تزال تعتور عليه الصور منذ كان نطفة فعلقة فعظاماً فجنيناً فمولوداً فرضيعاً فغلاماً فشاباً فكهلاً فشيخاً فميتاً فتراباً،

تكونت النطفة من تراب ، ثم عادت الى التراب ، فهو لا يزال بعد أن انشأه باريه من أمشاج ليبتليه فجعله سميعاً بصيراً ، اما شاكراً أو كفوراً ، فى خلع ولبس ، افعيينا بالخلق الاوّل بل هم فى لبس من خلق جديد يخلع صورة ويلبس أخرى وينتقل من حال الى حال ومن شكل الى آخر مريضاً تارة وصحيحاً وهزيلاً وسميناً وابيضاً واسمراً وهكذا تعتوره الحالات المختلفة ، والاطوار المتبائنة ، وفى كلّ ذلك هو هو لم تتغير ذاته وان تبدلت احوله وصفاته فهو يوم كان رضيعاً هو يوم صار شيخاً هرماً لم تتبدل هويته ولم تتغير شخصيته بل هناك أصل محفوظ يحمل كل تلك الأطوار والصور ، وليس عروضها عليه وزوالها عنه من باب الانقلاب فان انقلاب الحقائق مستحيل فصورة المنوّية لم تنقلب دموّية أو علفية ولكن زالت صورة المنى وتبدلت بصورة الدم وهكذا فالصور متعاقبة متبادلة لا متعاقبة منقلبة (اذ صورة لصورة لا تنقلب) وهذه الصور كلها متعاقبة فى الزمان لضيق وعائه مجتمعة فى وعاء الدهر لسعته والمتفرقات فى وعاء الزمان مجتمعات فى وعاء الدهر ولابدّ من محل حامل وقابل لتلك الصور المتعاقبة ماشئت فسمه مادّة أو هيولى أو الأجزاء الاصلية كما فى الخبر الآتى ان شاء الله وكما أن المادة ثابتة لا تزول فكذلك الصور كلها ثابتة فى محلها فى كتاب لا يضل ربي و لا ينسى ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقد عرفت فى ما مرّ عليك من المباحث انّ الشىء لا يقبل ضده والموجود لا يصير معدوماً والمعدوم لا يصير موجوداً وانقلاب الحقائق مستحيل .

ثم انّ هذا البدن المحسوس العنصرى لا ريب فى أنّه يتحصّل من الغذاء وأنّ أجزائه تتحلل وتتبدل فهذا الهيكل الجسمانى بقوّة الحرارة الغريزية التى فيه المحرّكة للقوى الحيوانية العاملة فى بنائه وحفظه وتخريبه وتجديده كالجاذبة والهاضمة والدافعة والماسكة وغيرها لايزال فى هدم وبناء واتلاف وتعويض كما قال شاعرنا الحكيم فى بيته المشهور :

والمــتلف الشيء غــارمه   وقاعدة: (المتلف ضامن)

وفي بيان أوضح أنّ علماء (الفزيولوجيا) علم اعضاء الحيوان قد ثبت عندهم تحقيقاً أنّ كل حركة تصدر من الانسان بل ومن الحيوان يلزمها يعني تستوجب احتراق جزء من المادة العضلية والخلايا الجسمية وكلّ فعل اراديّ أو عمل فكرى لابد وأن يحصل منه فناء في الاعصاب واتلاف من قلايا الدماغ بحيث لا يمكن لذرّة واحدة من المادّة أن تصلح مرّتين للحياة ومهما يبدو من الانسان بل مطلق الحيوان عمل عضلي أو فكرى فالجزء من المادّة الحية التي صرفت لصدور هذا العمل تتلاشى تماماً ثمّ تأتي مادة جديدة تأخذ محل التالفة وتقوم مقامها في صدور ذلك العمل مرة ثانية وحفظ ذلك الهيكل من الانهيار والدمار وهكذا كلما ذهب جزء خلفه آخر خلع ولبس كما قال عزّ شأنه ﴿ **أَ فَعَيِينا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ** ﴾[١] ويكون قدر هذا الاتلاف بمقدار قوة الظهورات الحيويّة والاعمال البدنية فكلّما اشتدّ ظهور الحياة وتكاثرت مزاولة الاعمال الخارجية ازداد تلف المادّة وتعويضها وتجديدها ومن هنا تجد أرباب الاعمال اليدويّة كالبنّائين والفلّاحين واضرابهم أقوى أجساماً وأعظم أبداناً بخلاف ذوى الاعمال الفكرية الذين تقل حركاتهم وتسكن عضلاتهم ثم انّ هذا التلف الدائم لا يزال يعتوره التعويض المتصل من المادة الحديثة الداخلة في الدم المتكونة من ثلاث دعائم هي دعائم الحياة وأسسها الجوهرية الهواء، والماء، والغذاء، ولو فقد الانسان واحداً منها ولو بمدة قصيرة هلك وفقدت حياته.

وهذا العمل التجديدى عمل باطنّي سرّى لا يظهر في الخارج الّا بعد دقّة في الفكر، وتعمق في النظر، ولكن عوامل الاتلاف ظاهرة للعيان يقال عنها انّها

---

(١) سورة ق، آية ١٥.

ظواهر الحياة، وما هي في الحقيقة الّا عوامل الموت، لانّها لاتتم الّا باتلاف أجزاء من أنسجتنا البدنية والياقنا العضويّة فنحن في كلّ ساعة نموت ونحيا ونقبر وننشر، حتى تأتينا الموتة الكبرى، ونحيا الحياة الاخرى، اذاً فنحن بناء على ما ذكر في وسط تنازع هذين العاملين. عامل الاتلاف، وعامل التعويض، يفنى جسمنا، ويتجدّد في مدار الحياة عدة مرات، بمعنى أنّ جسمنا الذى نعيش به من بدء ولادتنا الى منتهى أجلنا في هذه الحياة تفنى جميع اجزائه في كلّ برهة وتتحصل أجزاء يتقوم بها هذا الهيكل ليس فيها جزء من الاجزاء السابقة، ولا يمكن تقدير هذه البرهة على التحقيق يعنى أى مقدار به تتلاشى تلك الاجزاء جميعاً وتتجد غيرها بموضعها نعم لا نعلم ذلك ولكن ينسب الى الفى لوجى (موليشت)[1] انّ مدة بقائها ثلاثين يوماً ثم تفنى جميعاً ونقل عن (فلورنس)[2] انّ المدة سبع سنين وقد أجرى العلماء المحققون في هذه الاعصار الامتحانات الدقيقة في بعض الحيوانات كالأرانب وغيرها فأثبت لهم البحث والتشريح تجدد كلّ انسجتها بل وحتى عظامها ذرّة في مدة معينة، فكيف يتفق هذا مع ما يرتأيه الماديون ومنكروا النفس المجردة في زعمهم انّ الذاكرة قوة تنشأ من اهتزازات فسفورية تخزن في القلية العصبية من الدماغ عند وصول التأثيرات الخارجية اليها، نعم كيف يجتمع هذا مع ما تقرر في الفنّ وشهد به الاختيار والاعتبار من انّ كلّ ما فينا من الانسجة والعظام والقلالى العصبية تتلاشى ثم تجدد بمدة معلومة أقصى ما تجدد به السبع سنوات، ولو كانت

---

(١) مولشت: عالم في علم وظائف الاعضاء ولد في هولندا (١٨٢٢ـ١٨٩٣م) وكان مادياً في تعاليمه وكتبه. انظر مبادى الفلسفة تعريب الاستاذ احمد امين، ص ٢٦٨ ط ٤ قاهرة.

(٢) فلورانس: عالم فرنسى من اشهر علماء وظائف الاعضاء وله تأليفات كثيرة في هذا الفن ولد سنة ١٧٩٤م، وتوفى سنة ١٨٦٧م، انظر قاموس الاعلام، ج ٥ ط اسلامبول لمؤلفه شمس الدين سامى بك المتوفى سنة ١٩٠٤م.

قوة التذكر والتفكر ماديّة وقائمة فى خلايا الدماغ لكان اللازم أن نضطر فى كلّ سبع سنين الى تجديد كلّ ما علمناه وتعلمناه سابقاً ، والحالة المعلومة بالضرورة والوجدان عندنا انّ سيال المادة المتجدد والمجدد لما يندثر منا على الاتصال لم يحدث أدنى تغيير فى ذاكرتنا ، ولم يطمس أىّ شعلة من علومنا ومعارفنا ، ولعمرى أن هذا الأقوى دليل على وجود قوّة فينا مدركة شاعرة مجردة عن المادّة باقية بذاتها ، مستقلة فى وجودها ، بقيومية مبدأها ، محتاجة الى آلاتها المادية فى تصرفها متحدة معها فى أدنى مراتبها ، ودثور المادة لا يستوجب دثورها ، ولا دثور شىء من كمالاتها وملكاتها ، ولا من مدركاتها ، ولا من معلوماتها ، كيف لا ولا تزال تخطر علىَّ بالنافى وقت الهرم أمور وقعت لنا ايّام الشباب بل ايّام الصبا وما قبله ، وكيف كان فانّ من الوضوح بمكان أنّ كل ما فينا يؤيد ثبات شخصيتنا وعدم تغييرها مع تغيّر وتبدل جميع ذرات اجسامنا ، ولمزيد الايضاح وبيان ما يتفرّع على هذا الاصل الرصين لا بدلنا من ذكر أصول فى فصول للحصول على الوصول الى حل عقدة المعاد الجسمانى التى أعضل حلها كما عرفت على أكبر حكماء الاسلام .

١ ـ فصل وأصل

قد تلونا عليك ما هو المعلوم لديك من أن هذه الاجسام من الانسان والحيوان لا تعيش ولا تمتد حياتها الّا بدعائم الحياة الثلاث الهواء ، والماء ، والغذاء ، وما يلزمها من الحركة ، والحرارة والضياء ، ولكن لعلك تحسب ان الغذاء الذى نعيش به هو بذاته وصورته يكون جزء من أبداننا ومقوماً لا عضائنا وأنسجتنا كلّا فان هذا الوهم يذهب شعاعاً عند أوّل نظرة عن تدبر وفكرة وذلك ان كسرة الخبز التى نأكلها وفدرة اللحم التى نمضغها وتدخل فى جوفنا تعتور عليها عدة صور تخلع صورة وتلبس أخرى من الكيموس الى أن تصير دماً ، ثم توزعه العناية الكبرى

المدبرة للكائنات والمربيّة للعوالم تلك العناية التى تحير العقول وتدهش الالباب؛ فتجعل من ذلك الدم لحماً وعظماً وشحماً وعصباً والياقاً وعروقاً وكبداً وقلباً ورية وطحالاً الى آخر ما يحتوى ويتّكون منه هذا الهيكل الانسانى والجسد الحيوانى، اضرب باجواء فكرك ما اتّسع لك التفكير وأعرف سرّ قولهم عليهم آلاف التحية والتسليم (تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة) فكرّ وكبرّ عظمة المبدع كيف أنشأ من كسرة الخبز التى نأكلها سبعين نوعاً من الانواع المختلفة والاجناس المتبائنة : فأين العظم من اللحم، وأين الشحم من الغاز، وأين الغاز من المخ، وأين المخ من الشعر، وهكذا، وهلم جرّاً.

كلّ هذا تكون من لقمة الخبز التى نأكلها، فهل فى لقمة الخبز كل هذه الانواع مندمجة مطويّة ؟ أم انقلبت وتحولت من صورة الى صورة ومن حقيقة الى أخرى ؟ أو أنّها كانت معدة للنطفة بأن تفيض العناية اليها صورة العلقة والمضغة وهكذا حتى تصير انساناً كاملاً ؟ كل ذلك مما تقف عنده العقول حائرة خاسرة مهما سطروا وحرّروا، وألّفوا وصنفوا، فانّهم دون الحقيقة وقفوا، وعنها صرفوا، ولكن مهما تغلغل الامر والواقع فى مجاهل الغيب والخفاء فانّ من الواضح الجلى أنّ تلك اللقمة التى تدخل فى جوفنا وتتصرف بها المشية تلك التصاريف المتنوعة لم تدخل هى فى كياننا، ولم تصر جزءاً من اجسامنا، بل تطورت عدة أطوار وتعاورتها صورة بعد صورة، دخلت فى معامل مكانيكية وتحليلات كيمياوية الى أن بلغت هذه المرحلة ونزلت من أجسامنا بتلك المنزلة، فلو أنّ مؤمناً أكل كل لحم فى بدن الكافر، أو أكل الكافر كل لحم فى بدن المؤمن فلا لحم الكافر صار جزءاً من بدن المؤمن ولا لحم المؤمن دخل فى بدن الكافر، بل اللحم لما دخل فى الفم وطحنته الاسنان وهو الهضم الاول زالت الصورة اللحمية منه وارتحلت الى رب نوعها حافظ الصور واكتست المادة صورة أخرى، وهكذا صورة بعد صورة، ومن القواعد المسلّمة

عند الحكماء بل عند كل ذى لب: انّ الشيء بصورته لا بمادته اذاً فأين تقع شبهة (الآكل والمأكول)؟ وكيف يمكن تصويرها وتقريرها فضلا عن الحاجة الى دفعها والجواب عنها؟ وكيف استكبرها ذلك الحكيم الكبير الالهى فقال: (يدفعها من كان من فحول)؟ ويزيدك وضوحاً لهذا: أنّ جميع المركبات العنصرية يطرّد فيها ذلك الناموس العامّ: ناموس التحوّل والتبدل والدثور والتجدد، انظر حبة العنب مثلاً فهل هى الأماء وسكر؟ وهل فيها شيء من الخمر أو الخل أو الكحول؟ ولكنّها بالاختمار تصير خلاً ثم خمراً ثم غازاً أو بخاراً وهكذا، أترى أنّ العنب صار جزءاً من الخل والخل صار جزءاً من الخمر؟ اذاً فمن أين جاءت شبهة الآكل والمأكول التى لا يدفعها الّا من كان من الفحول؟ ومن أين اتّجه القول بأنّ لحم الكافر يصير جزءاً من بدن المؤمن ولحم المؤمن جزءاً من بدن الكافر؟ لا أدرى.

٢ ـ فصل ووصل

لعلّك تقول: اذا كان هذا الهيكل الانسانى عبارة عن صور متعاقبة يتلو بعضها بعضاً ويتصل بعضها ببعض اذاً فشخصية كل فرد من هذا النوع بماذا تتحقق؟ وتعينّة بأى شيء يكون؟ والمادّة بنفسها غير متحصلة فكيف يتحصل بها غيرها وهى صرف القوّة والاستعداد؟ فنقول: فليكن هذا أيضاً من أحد الادلة على وجود النفس المجرّدة ذاتاً الماديّة تعلقاً وتصرفاً وتشخّص كلّ فرد وتعينّه انّما يكون بتلك النفس التى تتعلق بتلك الصوّر المختلفة المتعاقبة بنحو الاتصال على المادّة المبهمة والهيولى الاولى التى لا توجد ولا تخرج من القوة الى الفعل الّا بصورة من الصور وهى متحدّة معها وجوداً منفكة عنها تعقلاً ومفهوماً والنفس الجزئية المستمدة من النفوس الكلية حافظة لها معاً وهى أيضاً متحدة بها وجوداً ومتصلة بها ذاتاً وتواكب وتصاحب كل تلك الصور المتعاقبة على نحو الاتّصال والواحد السيّال.

وأضرب لك مثلاً محسوساً لتقريب ذاك الى ذهنك واستحضاره بعقلك أرأيت النهر الجارى فى الليلة القمراء ؟ حيث يطل القمر على الماء المتدافع وكل موجة تأتى يشعّ القمر عليها وترتسم صورته فيها ثم تمضى وتأتى موجة أخرى ترتسم صورة القمر فيها وهكذا حتّى يجفّ الماء ويغيب البدر فالقمر هو النفس والنهر هو البدن والموجات المتدافعة من الينبوع هى الصور المتعاقبة على البدن التى يشرق عليها ويتّحد مع كل واحدة منها وهى مع كثرتها واحدة ومع انفصال بعضها عن بعض متصلة والنهر واحد سيّال على الاتصال وكذلك البدن من حيث الصور المتعاقبة عليه واحد كثير متّصل منفصل والنفس مشرقة عليه هى المدبرة له الباعثة فيه النور والحرارة والحركة والحياة وهذا العالم الصغير يحكى لك العالم الكبير بل (وفيك انطوى العالم الاكبر) وهو المثل (ولله المثل الاعلى) (أيّها الانسان أعرف نفسك تعرف ربّك) نعم النهر يجرى من ينبوع الارض والجسد والنفس تجرى من ينبوع السماء بل من ينابيع العرش بل من ينابيع ربّ العرش عظمت جلالته، وجلت عظمته.

شد مبدل آب اين جو چند بار عكس ماه و عكس أختر برقرار

تبدّل ماء هذا الجدول عدّة مرات وعكس القمر والشمس لم يتحول ولم يتبدل عن ذلك القرار.

٣ ـ فصل وأصل

هل فى هذا الهيكل الانسانى سوى ما هو المعروف والمحسوس من أنّه : جسد وروح ؟ روح مجردة بسيطة ، وجسد مادى مركب من العناصر ، فهل ثمّة شيء ثالث ؟ ـ الجواب نعم ولكن لا تستغرب ولا تعجب لو قلت لك ان فى كلّ جسم

حيّ مادى عنصرى ـ جسم آخر أثيرى سيال شفاف أخف وألطف من الهواء هو برزخ بين الجسم المادى الثقيل، والروح المجرد الخفيف، ولعلّ هذا هو الجسم البرزخى الذى يسأل فى القبر ويحاسب، وينعمّ ان كان تقياً ويعذّب ان كان شقياً ويبقى فى نعيم أو حميم الى يوم البعث الى يوم القيامة الذى تعود فيه هذه الأبدان العنصريّة للحياة الابديّة وقد تلونا عليك من قبل انّ الحقائق الحكمية والدقائق الفلسفية لا تسعها العبارات اللفظية، وأنّ الالفاظ لا يقتنض منها شوارد المعانى، واوابد الاسرار، ولكنها اذا كانت لا تحكى عن الحقيقة من كل وجه فقد تحكى عنها من وجه، أرايتك حين تقول: روحى وجسدى وعقلى من تعنى بياء المتكلم؟ ومن هو الذى تقصده بقولك (أنا وأنت وهو) وامثالها من الضمائر؟ فهل تريد بقولك: أنا لهذا الجسد الخاص ولشخصيتك المتعيّنة من الجسد والنفس؟ اذاً فماذا تريد بقولك جسدى؟ ومن هو الذى أضفت اليه جسدك أو اضفت جسدك أو نفسك أو عقلك اليه؟

ثمّ هل تدبّرت حالك حين تتلو سورة من القرآن؟ تحفظها فى نفسك وتقرزها فى خاطرك من دون ان تحرّك لسانك أو يظهر صوتك وأنت فى تمام السكوت والسكون كانّ فى داخلك شخصاً يقرأ ويتلو عليك بغير صوت ولا لسان فقد تقرأ سورة من الطوال أو قصيدة ساحبة الاذيال مرتلاً لها ومترسلاً فيها واللسان صامت والمقول ساكت وقد قرأتها كلمة كلمة وتلوتها حرفاً حرفاً، فمن ذا الذى املاها عليك؟ وأين كانت مخزونة ومجتمعة، ثم جاءت واحدة بعد واحدة متقطعة، حقّاً انّ التفكّر فى هذه السلسلة سلسلة الفكر والذكر والحفظ والنسيان والتصور والتفكر والتصديق والشك واليقين وكل ما هو خارج عن المادة الجسمانية والاعضاء الحسية، حقاً انّ معرفة كل ما هو من هذا النطلق أمر لا يطاق ولا تصل أنسرة العقول مهما حلقت فى سماء التفكير الى كبرياء معراجه ومفتاح رتاجه،

ولكن مهما استعصى على اولى الحجى سره فهو يدل دلالة واضحة على انّ فى الانسان بشخصه الخاص جوهر مفيض وآخر مستفيض وغلاف وقشر يحمل هذين الجوهرين فالمفيض هو النفس الجزئية المتّصلة بالنفس الكلية والمبدأ الأعلى، والمستفيض هو ذلك البدن المثالى الاثيرى، والغلاف هذا البدن العنصرى، على انّ التحقيق والبحث الدقيق أوصلنا الى حقيقة جليّة وهى أنّ هذه الحقائق الثلاث شىء واحد وأنّها تنشأ نشأة واحدة وانّ النفس جسمانية الحدوث روحانية البقاء فهى تتدرج فى تكونها ونشوها ونموها من النطفة الى ان تصير انساناً كاملاً عاقلاً بل الى أن تصير عقلاً مجرداً ملكاً أو شيطاناً، فهذا العنصرى هو النفس ولكن بمرتبتها السالفة، والنفس هى البدن ولكن بمرتبته العالية، وكلّ ما فيه من الحواسّ الظاهرة والباطنة والقوى العاملة من الهاضمة والماسكة والدافعة والمصوّرة والمقدّرة الى غير ذلك كلّها آلات للنفس وأدوات تمدّها وتستمدها وتتعاكس معها وتتعاون أخذاً ورداً وسلباً وايجاباً فكلّ الانفعالات النفسية تظهر فورها على البدن ألاترى حمزة الخجل وصفرة الوجل وضربان العقول وخفقان القلب عند الخوف وابتهاج البدن عند الفرح وبالعكس كلّ ما يصيب البدن من ضربة أو صدمة أو جرح تنفعل النفس به وتتألم؟

وكلّ هذا شاهد ودليل على وحدة النفس مع البدن، وانّ البدن المادىّ والبدن الامتدادى المجرد عن المادّة والروح المجردة عنهما شىء واحد، وهذا البدن الامتدادى الاثيرى هو همزة الوصل بين الروح المجردة عن المادة ذاتاً المتعلقة بها تصرفاً وبين البدن المادىّ ذاتاً والذى هوآلة الروح تعلّقاً و تصرفاً وهو الذى تجد الاشارة عنه حيناً والتصريح به حيناً آخر فى كلمات أكابر الفلاسفة الأقدمين والحكماء الشامخين والعرفاء السالكين مثل قول أرسطو فيما نقل عنه: أنّه ربما خلوت بنفسى وخلعت بدنى وصرت كانّى جوهر مجرد بلا بدن فأكون داخلاً فى

ذاتي خارجاً عن جميع الاشياء فأرى في ذاتي من الحسن والبهاء ما ابق له متعجبا مبهوتا فاعلم انى جزء من اجزاء العالم الاعلى الشريف، وعن الوصية الذهبية لفيثاغورس(١) اوديوجانس(٢) اذا فارقت هذا البدن اصبحت سابحا في عوالم الفلك غير عائد الى الانسانية ولا قابلا للموت وقال آخر: من قدر على خلع جسده صعد الى الفلك وجوزى هناك باحسن الجزاء، والصعود الى الفلك انما هو بذلك الجسم الاثيرى بحكم التناسب فكما أنّ الجسم العنصرى أخلد الى الارض لانه منها ويعود اليها فكذلك الجسم يرقى الى الاجسام الفلكية الاثيريّة لانّه منها ويعود اليها لا غرابة لو قال بعض العرفاء: ربّما تجردت من بدنى هذا وارتقيت الى الافلاك وسمعت تسبيح الملائكة، وكل هذه الاحوال انّما هى لهذا البدن الاثيرى المثالى لا للعنصرى ولا للروح فانها ترقى الى عالم المجردات المحضة بعد كمالها لا الى الاجسام الفلكية والعوالم الاثيريّة. وعلى كلّ فيغنيك الوجدان عن البرهان في اثبات تلك الابدان ـ الابدان المثالية التى هى أنت وأنت هى وبقاؤك به لا بهذا الجسد العنصرى الذى قد عرفت أنّه فى كلّ برهة يتلاشى ولا يبقى منه شيء ثم يتجدد وتتعاقب فى تقويمه الصّور صورة بعد صورة وهيئة بعد هيئة وهو الذى يستعمل الحواس ويستخدمها وتملى عليه الروح المعارف والامور العامّة فيمليها على القلب واللسان.

أنظر اذا كنت تحفظ سورة من القرآن أو خطبة من الخطب أو قصيدة من الشعر

---

(١) فيثاغورس: فيلسوف يونانى كان فى القرن السادس قبل الميلاد، لم يعرف عن حياته الا القليل، وتعاليمه التى نقلت الينا موضع شك ولكن مما لا شك فيه انه كان يقول بتناسخ الارواح وينسب اليه القول بان نهاية الاشياء كلها العدد. انظر كتاب مبادى الفلسفة ٢٦٣ ـ ٢٦٤ ط ٤ قاهرة.

(٢) ديوجانس: (ديوژن) الكلبى من مشاهير الحكماء فى المأة الرابعة قبل الميلاد. وسمى بهذا الاسم خمسة من حكماء يونان. انظر كتاب (مطرح الانظار فى تراجم اطباء الاعصار وفلاسفة الامصار) لفيلسوف الدولة ميرزه عبدالحسين خان التبريزى ﷺ، ج ١، ص ٣٧٣ ـ ٣٧٥ ط تبريز سنة (١٣٣٤ هـ).

فربّما تلوتها فى نفسك وقرأتها فى خاطرك فتجد كأنّ شخصاً فى طويتك يتلوها عليك كلمة كلمة وأنت سامد ساكن لم تفتح فماً ولم تحرك لساناً وطالماً كنت أمسك القلم بأنا ملى فأجد كأن انساناً أو ملاكاً يملى على الخطبة أو الشعر أو المقال ويجرى مع القلم من دون فكرة ولا روية كأنى أنقله من كتاب امامى وليس شىء من هذه الاعمال من وظائف الروح والنفس وانّما وظائفها العلم والادراك ومعرفة الكليّات المجردة والامور العامة مثل أن الكثرة هى الوحدة والوحدة هى الكثرة وانّ العلة تعالى المعلول والمعلول تنازل العلة وانّ الغاية هى الرجوع الى البداية والبداية هى النهاية وأمثال هذه من قواعد الحدوث والقدم والوجوب والامكان والجواهر والاعراض كما انّها أيضاً ليست من وظائف الجسد المادّى الحى فانّ وظيفته ادراك الجزئيات وثورة العواطف من تأثير الحسّ الظاهرى أو الباطنى نعم بحكم الوحدة والاتصال بين تلك القوى يستمدّ بعضها من بعض ويتقّوى بعضها ببعض وحكم العالم الصغير مثل العالم الكبير فكما أنّ الجسمانيات العنصريّة مرتبطة بالفلكيات وهى مرتبطة بالمجردات، والنفوس الجزئية تستمد من النفوس الكلية، وهى تستمد من العقول المجردة، فكذلك هذا الجسد الانسانى الذى انطوى فيه العالم الاكبر، ولا تعدّ قواه ولا تحصر.

مواضيع الكتاب